# نصوص من النقد العربي القديم

إعداد

الأستاذ الدكتور

عثمان موافي

أستاذ النقد الأدبي

كلية الآداب - جامعة الإسكندرية



دار المعرفة الجامعية

٤٠ ش سوتير - اسكندرية

ت : ٤٨٣٠١٦٣

# نصوص من النقد العربي القديم

إعداد
الأستاذ الدكتور
عثمان موافي
أستاذ النقد الأدبي
كلية الآداب - جامعة الإسكندرية

دار المعرفة الجامعية
٤٠ ش سوتير - إسكندرية
ت : ٤٨٣٠١٦٣

بسم الله الرحمن الرحيم

## مقدمة الطبعة الثانية

لايخفى على الدارس لتاريخ النقد العربي القديم ، مايكتنف هذه الدراسة من صعوبات في سبيل الحصول على نصوص التراث النقدى محققة تحقيقا علميا أصيلا ، وعدم توافر مصادر هذه النصوص بالقدر الذى يتناسب وازدياد عدد الدارسين عاما بعد عام .

ولما كان درس تاريخ النقد العربي القديم ، يعتمد اعتمادا كبيرا على النص النقدى ، فقد رؤى وضع نماذج مختارة من نصوص هذا النقد بين أيدى الدارسين ، لتكون عونا لهم على المضى قدما فى هذا السبيل .

وهذه النصوص تغطى الفترة النقدية موضوع الدراسة أى منذ نشأة النقد العربي حتى نهاية القرن الثالث الهجرى . وهى مختارة من ابرز المصادر النقدية ، التى يرجع تاريخ تأليفها الى هذة الفترة الزمنية . مثل كتاب طبقات فحول الشعراء لابن سلام ، والشعر والشعراء لابن قتيبة ، وكتاب البديع لابن المعتز ، وطبقات الشعراء للمؤلف نفسه .

وقد أضفت الى هذه النصوص دراستين من بعض مؤلفاتي العلمية ، تتصل كل واحدة منهما بموضوعات هذه النصوص اتصالا وثيقا .

احداهما عن قضية الشكل الفنى والموضوع ، والاخرى عن قضية الطبع والتكلف . وآمل أن يجد الدارس فى هذه النصوص النقدية وهاتين الدراستين النقديتين مايعينه على تمثل اتجاهات النقد العربى وقضاياه حتى نهاية القرن الثالث الهجرى تمثلا واضحا .

د . عثمان موافى

بسم الله الرحمن الرحيم

## مقدمة

لايخفى على الدارس الفطن لتاريخ النقد العربى القديم ، مايكتنف هذه الدراسة من صعوبات ومشاق ، فى سبيل الحصول على نصوص التراث النقدى فى طبعات محققة تحقيقا علميا اصيلا وعدم توافر مصادر هذه النصوص ، بالقدر الذى يتناسب وازدياد عدد الدارسين عاما بعد عام .

ولما كان درس تاريخ النقد العربى ، يعتمد اعتمادا كبيرا على النص النقدى ، فقد رؤى وضع نماذج مختارة من نصوص النقد العربى القديم بين ايدى الدارسين ، لتكون عونا لهم على المضى قدما فى هذا السبيل .

وهذه النصوص تغطى الفترة النقدية موضوع الدراسة ، اى منذ نشأة النقد العربى حتى نهاية القرن الثالث الهجرى . وقد تم اختيارها من ابرز المصادر النقدية ، التى يرجع تاريخ تأليفها الى هذه الفترة الزمنية .

مثل كتاب طبقات فحول الشعراء لابن سلام ، والشعر والشعراء لابن قتيبة ، وكتاب البديع لابن المعتز ، وطبقات الشعراء للمؤلف نفسه .

ونأمل ان يجد الدارس فى هذه النصوص مادة نقدية تعينه على تمثل اتجاهات النقد العربى وقضاياه حتى نهاية القرن الثالث الهجرى تمثلا واضحا .

وبالله العون والتوفيق

عثمان موافى

الاسكندرية ـ نوفمبر

من كتاب طبقات فحول الشعراء

لمحمد بن سلام الجمحي

٢٣١ هـ

تحقيق محمود محمد شاكر

بسم الله الرحمن الرحيم

## ( مقدمة الكتاب )

[ وأخبرنا أبو القاسم سُلَيْمٰن
ابن أحمد بن أيُّوب الطَّبَرانىُّ
قال : قُرِئ على الفَضْل بن
الحبابِ وأنا أسمع ]

- . . [ أبو نصر ، أخبرك أبو سعد إذناً ، أنبا أبو نعيم :

١ — [ أبو عبد ] الله محمَّد بنِ عبدِ الله بنِ أَسِيد قال : قُرِئ على القاضى

. . . . . قرأه عليه . . . سنة إحدى وسبعين وثلثمائة . . . قال القاضى

[ وهو ] [ الفَضْلُ بن الحُبَاب الجُمَ]حىُّ أبو خَلِيفة ، قال محمَّدُ بن سَلّام الجمحى :

٢ — (١) ذكرنا العربَ وأشعارَها ، والمشهورين المعروفين من شُعَرائها وفُرْسانِها وأشرافِها وأيّامها ، إذْ كان لا يُحاطُ بشعرِ قبيلةٍ واحدةٍ من قبائلِ العرب ، (٢) وكذلك فُرْسانُها وساداتُها وأيّامُها . فاقتصرنا من ذلك على ما لا يَجهلُهُ عالم ، ولا يستغنى عن علمه ناظِرٌ فى أمر العرب ، فبدأنا بالشعر . (٣)

* * *

---

( ١ ) رقم : ٢ ، ٣ ، أخلت به « م » .

( ٢ ) نقل السيوطى هذه الفقرة فى المزهر ٢ : ٤٧٣ .

( ٣ ) بعد هذا كلام معترض حتى رقم ٢٥ . فهو اعتراض باعد بين طرفى الكلام . وهو فى المزهر ١ : ١٧١ — ١٧٤ ، من رقم : ٣ إلى آخر رقم : ١٠ ، مع اختصار قليل .

٣ — وفى الشعر مصنوعٌ مفتعَلٌ موضوعٌ كثيرٌ لاخيرَ فيه،[١] ولا حُجّةَ فى عَرَبيَّةٍ، ولا أدبٌ يستفاد، ولا معنًى يُستخرج، ولا مَثَلٌ يُضْرب، ولا مديحٌ رائع، ولا هجاءٌ مُقذِعٌ،[٢] ولا فخرٌ مُعجِبٌ، ولا نَسيبٌ مُستطرَفٌ. وقد تداوله قومٌ من كتاب إلى كتاب، لم يأخذوه عن أهل البادية، ولم يَعرِضوه على العلماء.[٣] وليس لأحدٍ — إذا أجمع أهلُ العلم والرواية الصحيحة على إبطال شيء منه — أن يَقبَل من صحيفة، ولا يَرْوِى عن صُحُفِيّ.[٤]

وقد اختلفت العلماءُ بَعْدُ فى بعض الشعر، كما اختلفت فى سائر الأشياء، فأمّا ما اتّفقوا عليه، فليس لأحدٍ أن يَخرج منه.[٥]

* * *

(١) «مصنوع» سيرد هذا اللفظ فى رقم: ٥، ورقم: ٦٠، ولا أدرى، مايريد به ابن سلام، أيريد ما صنعته القبائل، أو بعض الكذابين، أم يريد أنه محمول على الشاعر، وهو من عمل شاعر غيره، فإنى رأيت سيبويه يقول فى الكتاب ١: ٣٣٦، وذكر بيتاً من الشعر: «قال: وهو مصنوع على طرفة، وهو لبعض العباديين». فهذا معناه: محمول على طرفة، لا لأنه مما صنعه الكذابون أو القبائل. وانظر أمالى القالى ٣: ١٠٥: عن ابن سلام، عن يحيى بن سعيد القطان، فى مصنوع الحديث، ومصنوع الشعر.

(٢) قذعه قذعاً، وأقذعه، وأقذع له إقذاعاً: رماه بالفحش والخنى وأساء القول فيه. وفى حديث بريدة الأسلمى: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «من قال فى الإسلام شعراً مقذعاً فلسانه هدر». وفى الحديث: «من روى هجاء مقذعاً فهو أحد الشاتمين»، وهو الذى فيه فحش وقذف يأثم قائله وراويه.

وروى صاحب العمدة ٢: ١٦٢ عن محمد بن سلام الجمحى، عن يونس بن حبيب أنه قال: «أشد الهجاء الهجاء بالتفضيل، وهو الإقذاع عندهم»، أى عند العرب. وذلك لغيرتهم على أحسابهم، فاشتد أمر التفضيل عليهم، حتى بلغ عندهم مرتبة القذف الصريح».

(٣) فى المخطوطة: «ولا يعرضوه»، والتصحيح من كتاب المزهر.

(٤) الصحفى: الذى يأخذ عن صحيفة، لم يعرض على العلماء، ولم يتلق علمه بالرواية.

(٥) من أول رقم: ٤ تبدأ مخطوطة «المدينة» «م» على صاحبها أفضل صلاة وتسليم. ونقل الفقرة رقم: ٤ بتمامها، ابن رشيق فى العمدة ١: ٩٨، ٩٩، وأشار إليها الآمدى فى الموازنة ١: ٣٩١.

٤ — وللشعر صَناعة وثَقافة يعرفها أهل العلم ، (١) كسائر أصناف العلم والصِّناعات : منها ما تثقفه العين ، ومنها ما تثقفه الأذن ، ومنها ما تثقفه اليد ، ومنها ما يَثقفه اللسان . (٢)

من ذلك اللؤلؤ والياقوت ، لا تعرفه بصفة ولا وزن ، دون المعاينة ممن يُبْصِره . (٣) / ومن ذلك الجَهْبَذَةُ بالدِّينار والدِّرْهم ، (٤) لا تُعرَف جَوْدتُهما بلونٍ ولا مَسٍّ ولا طِرازٍ ولا وَسْمٍ ولا صفة ، (٥) ويعرفه الناقدُ عند المعايَنة ، فيعرفُ بَهْرَجها وزائفها وسَتُّوقها ومُفْرَغها — (٦) ومنه البَصَرُ بغريب النَّخل ، والبصر بأنواع المتاع وضروبه واختلافِ بلاده ،

---

( ١ ) كتب فى المخطوطة « صناعة » بكسر الصاد ، ثم ضرب على الكسرة ، ووضع على الصاد فتحة ، وكذلك فعل بعد فى لفظ « الصناعات » . وقد خلت كتب اللغة من النص على « صَناعة » بفتح الصاد ، إلا أنى وجدت فى كتاب « الكليات » لأبى البقاء مانصه : « والصناعة ، بالفتح ، تستعمل فى المحسوسات ، وبالكسر فى المعانى » ، ولكن إجماع كتب اللغة على ذكر « الصناعة » بالكسر ، وأنها حرفة الصانع وعمله بيديه ، دال على أن الصناعة بالفتح فى المعانى ، دون المحسوسات ، وأنه الحذق والدربة على الشىء .

( ٢ ) فى المخطوطة : « والصناعات ، منها تثقفه اللسان : من ذلك اللؤلؤ … » ، ووضع قبل لفظ « اللسان » علامة إلحاق بالهامش ، ولكن أكله البلى ، فأتممته من « م » ، ومن المزهر والعمدة . والثقافة : الحذق والإتقان وضبط الأصول ، والمعرفة بجيد الشىء ورديثه وإقامة مايعرفه على أحسن وجوهه . ثقف الشىء يثقفه ثقفاً : حذقه وأتقنه ، وكان سريع الفهم لجيده ورديثه .

( ٣ ) فى المخطوطتين : « لا يعرف » والبصر : هو العلم وإدراك كنه الشىء . يقال هو بصير بالأشياء : عالم بها مدرك لحقيقتها .

( ٤ ) الجهبذة : أراد بها هنا نقد الزيوف والصحاح من الدنانير والدراهم .

( ٥ ) الطراز : هو فى الأصل التقدير المستوى : يعنى صيغة الدينار والدرهم . والوسم : مايسك عليه من صورة أو نقش أو كتابة . وفى « م » ، والمزهر : « ولا جس ولا صفة » .

( ٦ ) البهرج : الردىء الفضة ، فيبطل ويرد . والستوق : إذا كان من ثلاث طبقات ، يرد ويطرح . والمفرغ : المصمت المصبوب فى قالب ليس بمضروب .

مع تشابُهِ لَوْنه ومَسِّه وذَرْعه ، حتى يُضاف كلُّ صِنْفٍ إلى بلده الذى خرج منه . وكذلك بَصَرُ الرقيق ، فتوصفُ الجاريةُ فيقال : ناصعةُ اللون ، جيِّدةَ الشَّطْب، (١) نقيَّةُ الثَّغْر ، حسنةُ العين والأنف ، جيِّدةَ النُّهُود ، ظريفةُ اللسان ، واردةُ الشَّعَر ، (٢) فتكون فى هذه الصفة بمئة دينار وبمئتى دينار ، وتكون أخرى بألف دينار وأكثر ، ولا يجد واصفُها مزيدًا على هذه الصفة ، (٣) وتوصف الدابة (٤) فيقال : خفيفُ العِنان ، لَيِّنُ الظَّهْرِ شديد الحافر ، فتىُّ السنّ ، نقىٌّ من العيوب ، فيكون بخمسين دينارًا أو نحوها ، وتكون أخرى بمئتى دينار وأكثر ، وتكون هذه صفتها .

ويقال للرجل والمرأة ، فى القراءة والغناء : إنّه لَندِىُّ الحَلْق ، طَلُّ الصوت ، (٥) طويل النَّفَس ، مصيبٌ لِلَّحْن — ويوصف الآخر بهذه الصفة ، وبينهما بَوْن بعيدٌ ، يعرفُ ذلك العلماء عند المعاينة والاستماع له ، بلا صفة يُنتَهى إليها ، ولا علم يُوقَف عليه . وإن كثرة

(١) الشطب هنا من قولهم : شطب الأديم : قده طولا ، وشطب السنام : قطعه قدداً لا تفصله . وعنى به اعتدال القد وطوله ، وانتبار المتن والكفل وسمنهما . وفى اللغة : جارية شطبة ، طويلة حسنة الخلق تارة غضة .

(٢) وشعر وارد : مسترسل حسن النبت طويل يرد كفل المرأة .

(٣) فى « م » ، أسقط مابعد هذا إلى أن قال : « إن كثرة المدارسة . . . » .

(٤) الدابة : للذكر والأنثى سواء .

(٥) ندى الحلق : غير جاف الحلق ، طرى الحلق ، فهو أرفع لصوته ، وأبعد لمذهبه . وطل الصوت : حسنه عذبه ناعمه ، بهيج النغمة ، كأنه صوت طل يهمى .

المدارسة لتُعْدِي على العلم به .[١] فكذلك الشعر يعلمُهُ أهل العلم به .

٥ — قال محمد : قال خلاَّدُ بن يزيد الباهليُّ لخلف بن حَيَّان أبي مُحْرِز[٢] — وكان خلاَّدٌ حَسَنَ العلم بالشعر يَرْويه ويقوله — : بأيِّ شيء تردُّ هذه الأشعار التي تُرْوَى ؟ قال له : هل فيها ماتعلم أنتَ أنه مصنوعٌ لاخيرَ فيه ؟ قال : نعم . قال : أفتعلم في الناس من هو أعلم بالشعر منك ؟ قال: نعم . قال : فلا تنكرْ أن يعلموا من ذلك أكثر مما تعلمه أنت .

٦ — وقال قائل لخلف : إذا سمعتُ أنا بالشعر أستحسنُهُ فما أبالي ما قلتَ أنت فيه وأصحابك . قال : إذا أخذت درهماً فاستحسنته ، فقال لك الصَّرَّاف : إنه رديء ! فهل ينفعك استحسانُك إيّاهُ ؟[٣]

* * *

٧ — وكان مِمَّن أفسد الشعرَ وهجَّنَهُ وحمل كل غُثَاءٍ منه،[٤] محمد بن

---

( ١ ) أعداه على الشيء وآداه : قواه وأعانه عليه . قال يزيد بن خذاق :

ولقد أضاء لك الطَّريقُ ، وأنْهَجَتْ سُبُلُ المكارِمِ، والهُدَى يُعْدِي

أي إبصارك هدى الطريق ، يقويك على الطريق ويعينك .

( ٢ ) محمد ، هو ابن سلام . وخلاد ، هو خلاد الأرقط ، بصري . مات سنة ٢٢٠ وخلف ، هو خلف الأحمر توفي في حدود سنة ١٨٠ ، ( إنباه الرواة ١ : ٣٤٨ ) .

( ٣ ) من الفقرة رقم : ٧ إلى الفقرة : ٣٠ ، فصل فيه استطراد ، عن منحول الشعر ، وعن طبقات النحاة . ورأيت أبا علي القالي ، نقل عن محمد بن سلام ، قوله في خلف ، الآتي رقم : ٢٩ : وقال القالي : « قال محمد بن سلام في كتاب طبقات العلماء » ، فلا أدري أهو إشارة إلى هذا الفصل ، أم هو سهو من ناسخ ، أم هو خطأ من أبي علي .

( ٤ ) هجن الشيء : قبحه وأدخل عليه آفة تعيبه . والهجين : الذي أبوه عربي وأمه أمة ، يعيبه نسب أمه . والغثاء : مايحمله السيل من الزبد وورق الشجر البالي ، فهو ساقط لا خير فيه .

إسحاق بن يَسَار — مَوْلَى آل مَخْرَمة بن المُطَّلب بن عبد مناف ، وكان من علماء الناس بالسِّيَر . قال الزُّهْرِيّ (١) : لا يزال في الناس علمٌ ما بقي مولَى آل مَخْرَمة ، وكان أكثر علمه بالمغازي والسِّيَر وغير ذلك — فقبل الناس عنه الأشعار ، وكان يعتذر منها ويقول: لا علم لي بالشعر ، أُتِينَا به فأحمله . (٢) ولم يكن ذلك له عذراً ، فكتب في السِّيَر أشعارَ الرجال الذين لم يقولوا شعراً قطُّ ، وأشعارَ النساء فضلاً عن الرجال ، ثم جاوز ذلك إلى عادٍ وثمودَ ، فكتب لهم أشعارًا كثيرة ، وليس بشعر ، إنما هو كلامٌ مؤلَّف معقودٌ بقَوَافٍ . (٣) أفلا يرجع إلى نفسه فيقول : من حمل هذا الشعر ؟ ومن أدّاه منذ آلاف من السنين ، (٤) والله تبارك وتعالى يقول : ﴿فقُطِعَ دَابِرُ القَوْمِ الَّذِينَ ظَلَمُوا﴾ [سورة الأنعام : ٤٥] ، أى لا بقيّة لهم ، وقال أيضاً : ﴿وَأَنَّهُ أَهْلَكَ عادًا الأُولَى . وَثَمُودَ فَمَا أَبْقَى﴾ [سورة النجم : ٥٠ ـ ٥١] ، وقال في عادٍ : ﴿فَهَلْ تَرَى لَهُمْ مِنْ بَاقِيَةٍ﴾ [سورة الحاقة : ٨] وقال : ﴿وَقُرُونًا بَيْنَ ذَلِكَ كَثِيرًا﴾ [سورة الفرقان : ٣٨]، وقال : ﴿أَلَمْ يَأْتِكُمْ نَبَأُ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ قَوْمِ نُوحٍ وَعَادٍ وَثَمُودَ

(١) الزهرى : محمد بن مسلم بن عبد الله بن عبيد الله بن الحارث بن زهرة بن كلاب بن مرة القرشي الزهرى ، إمام أهل الحديث ، وعالم الحجاز والشام ، جليل القدر . أول من أثل علم الحديث . اختلف في مولده مابين سنة ٥٠ ـ ٥٨ ، وتوفى في رمضان سنة ١٢٣ أو ١٢٤ أو ١٢٥ ، وهو ابن اثنتين وسبعين سنة . قول الزهرى ، إلى « وغير ذلك » ، أخلت به « م » .

(٢) في « م » ، وفي المزهر : « إنما أوتى به » .

(٣) في المخطوطة « بتواف » ، ومثله في المزهر ، ومن أول قوله : « فكتب لهم » إلى هنا ، أخلت به « م » .

(٤) من هنا إلى آخر الفقرة ، أخلت به « م » .

وَالَّذِينَ مِنْ بَعْدِهِمْ لَا يَعْلَمُهُمْ إِلَّا اللَّهُ ﴾ [سورة إبراهيم : ٩] .

٨ — وقال يونس بن حبيب :[1] أوَّل من تكلم بالعربية ، ونَسِيَ لسانَ أبيه ، إسماعيلُ بنُ إبراهيم صلوات الله عليهما .

٩ — أخبرني مِسْمَع بن عَبْد الملك ،[2] أنه سمع محمد بن عليّ[3] يقول — قال أبو عبد الله بن سلّام : لاأدري / أرفعه أم لا ، وأظنه قد رَفَعَه[4] — : أوّلُ من تكلّم بالعربيّة ونَسِي لسانَ أبيه إسماعيلُ ابن إبراهيم صلوات الله عليهما .[5]

١٠ — وأخبرني يونس ، عن أبي عمرو بن العلاء قال : العربُ كلُّها وَلَدُ إسماعيلَ ، إلا حِمْير وبقايا جُرْهُم . وكذلك يُرْوَي أنّ إسماعيل ابن إبراهيم جاوَرهم وأصْهَرَ إليهم .

---

(١) يونس بن حبيب الضبي ولاء ، من شيوخ النحو ، بصري . قارب التسعين ولم يتزوج ولم يتسر ، مات في خلافة هارون الرشيد سنة ١٨٢ ، أو ١٨٣ هـ .

(٢) مسمع بن عبد الملك بن مسمع بن مالك بن مسمع بن شهاب بن قلع بن عمرو بن عباد ابن جحدر بن ضبيعة بن قيس ، من بني بكر بن وائل ، ويلقب كردين . وسيأتي ذكره . انظر جمهرة الأنساب : ٣٠١ ، والموشح : ١١٨ ، والمعارف : ٢١٤ .

(٣) محمد بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب ، أبو جعفر الباقر ، ولد سنة ٦٠ ومات سنة ١١٨ .

(٤) رفع الحديث : أضافه إلى النبي صلى الله عليه وسلم خاصة .

(٥) هذا الخبر ، روى مثله أبو عبيدة عن مسمع بن عبدالملك ، البيان والتبيين ٣ : ٢٩٠ . ولكن قال السهيلي في أول الروض الأنف ١ : ١٠ : « وعنه عليه الصلاة والسلام أنه قال : أول من كتب بالعربية إسماعيل . وقال أبو عمر ( يعني ابن عبد البر ) : وهذه الرواية أصح من رواية من روى أن أول من تكلم بالعربية إسماعيل . والخلاف كثير في أول من تكلم بالعربية ، وفي أول من أدخل الكتاب العربي أرض الحجاز » .

١١ — ولكن العربيَّةَ التي عَنَى محمدُ بن عليّ ، اللسانُ الذى نزلَ به القرآن ، [1] وما تكلّمت به العربُ على عَهْد النبيّ صلى الله عليه ، وتلك عربيّةٌ أخرى غيرُ كلامنا هذا . [2]

١٢ — لم يجاوز أبناءِ نِزارٍ فى أنسابهم وأشعارهمْ عَدْنان ، اقتصروا على مَعَدّ . [3] ولم يذكر عدنانَ جاهليٌّ قطُّ غيرُ لَبيد بن رَبيعة الكِلابيّ ، فى بيتٍ واحدٍ قاله ، قال :

فإنْ لم تجِدْ من دُونِ عَدْنانَ والدًا ودونَ مَعَدٍّ ، فَلْتَزَعْكَ العواذِلُ [4]

وقد رُوِى لعبّاس بن مِرْداس السُّلَمِيّ بيتٌ فى عدنان ، قال :

وعكُّ بنُ عدنانَ الذين تلعّبُوا بِمَذْحِجَ ، حتى طُرِّدوا كلَّ مَطْرَدِ [5]

---

( ١ ) من هنا الى آخر فقرة : ١٢ ، أخلت بأكثره « م » ، ووضعت « م » أول الفقرة : ١٢ ، بعد قوله فى فقرة : ٠٣ « ولا عربيتهم بعربيتنا » ، مع الإخلال ببعض الجمل .

( ٢ ) هذه الفقرة رواها أبو سليمان الخطابى فى « بيان إعجاز القرآن » ( ثلاث رسائل فى إعجاز القرآن ) : ٤٢ . ونقل الرازى ، صاحب « كتاب الزينة » ١ : ١٤٣ — ١٤٤ ، الفقرات ٩ — ١١ ، وعلق عليها ، فانظره .

( ٣ ) روى خليفة بن خياط فى الطبقات ١ : ٦ عن عروة بن الزبير ، وسليمان بن حثمة قالا : « ما وجدنا فى شعر شاعر ، ولا فى علم عالم ، أحداً يعرف ماوراء معد بن عدنان بحق ، لأن الله يقول : « وقروناً بين ذلك كثيراً » . وانظر أمالى اليزيدى : ٨٩ مثله عن عروة . وانظر تاريخ الإسلام للذهبى ١ : ١٨ ، ١٩ .

( ٤ ) ديوانه : سنة ٢٥٥ ، وسيبويه ١ : ٣٤ . وزعه عن الشيء يزعه : كفه . والعواذل : من العذل ، وهو اللوم والزجر . يريد زواجر الدهر ، وهى أحداثه وغيره . يقول : انظر فى آبائك ، فإن رأيت منهم باقياً ، فاطمع فى الخلود ، وإلا فحسبك بفنائهم زاجراً لك وواعظاً ، فاقطع أملك ، وتزود لما بعد الموت زاداً .

( ٥ ) الخلاف فى عك طويل ، وانظر نسب قريش للمصعب : ٥ ، وجمهرة الأنساب : ٨ ، والهاشميات : ٤٤ ، وابن هشام ١ : ٨ — ١٠ والبيت فى ابن هشام : « الذين تلقبوا بغسان » .

والبيت مُريبٌ عند أبي عبد الله[١] — فما فوقَ عدنان ، أسماء لم تؤخذ إلاَّ عن الكتب ، والله أعلم بها ، لم يذكرها عربيٌّ قطُّ . وإنما كان معدٌّ بإزاء موسى بن عِمْران صلي الله عليه ،[٢] أو قبلَه قليلاً ، وبين موسى وعادٍ وثمود ، الدهرُ الطويل والأمدُ البعيدُ .

فنحنُ لا نقيمُ في النسب ما فوقَ عدنان ، ولا نجدُ لأوّليّة العربِ المعروفين شعراً ،[٣] فكيف بعادٍ وثمود؟ فهذا الكلامُ الواهنُ الخبيثُ ،[٤] ولم يَرْوِ قطُّ عربيٌّ منها بيتاً واحداً ، ولا راويةٌ للشعر ، مع ضَعْفِ أَسْره وقلّة طُلاوته .[٥]

١٣ — وقال أبو عمرو بن العلاء في ذلك : ما لسانُ حِمْيَرَ وأقاصي اليمنِ اليومَ بلساننا ، ولا عربيّتهم بعربيّتنا ،[٦] فكيف بما على عهد عادٍ وثمودَ ، مع تداعيه ووَهْيِه ؟ فلو كانَ الشعرُ مثلَ ما وُضِع لابن إسحاق ، ومثلَ ما رَوَى الصُّحُفيّون ، ما كانت إليه حاجة ، ولا فيهِ دليلٌ على علم .

* * *

---

( ١ ) أبو عبد الله يعني ابن سلام ، وهذا كلام أبي خليفة راوي الطبقات .

( ٢ ) في تاريخ الإسلام للذهبي ١ : ١٩ « قال هشام بن الكلبي : سمعت من يقول إن معد كان على عهد عيسى بن مريم عليه السلام » ، وهذا خطأ فيما أرجح . والصواب ما قاله ابن سلام .

( ٣ ) الأولية : يعني الأوائل القدماء ، وبهذا المعنى جاء في شعرهم .

( ٤ ) « الكلام » خبر المبتدأ ، وهو « هذا » ، والإشارة إلى رواية ابن إسحق شعر لعاد وثمود ، كما سلف رقم : ٧

( ٥ ) الأسر : شدة الخلق والبناء . والطلاوة : الحسن والبهجة والقبول والرونق .

( ٦ ) انظر الخصائص ١ : ٣٨٦ .

١٤ — وكان لأهلِ البصرة فى العربية قُدْمَةٌ ،[١] وبالنحو ولُغاتِ العَرَبِ والغريبِ عنايةٌ.

وكان أوَّلَ من أسّسَ العربيةَ ، وفَتَحَ بابَهـا ، وأَنْهَجَ سبيلَها ، ووَضَع قياسَها :[٢] أبو الأَسْوَدِ الدُّؤَلِىّ ـ وهو ظالم بن عمرو بن سفيان ابن عمرو بن جندل بن يَعْمَر بن نُفَاثة بن حِلْس بن ثعلبة بن عدىّ بن الدُّئِل،[٣] وكان رجلَ أهلِ البصرة ، وكان عَلَوِىَّ الرأى — وكان يونس يقول : هم ثلاثة الدُّول ، من حَنِيفةَ — ساكنةُ الواو ، والدِّيلُ : فى عَبْد القيس ، والدُّئِل : فى كنانة ، رهطُ أبى الأسود[٤] — وإنما قال ذلك حين اضطرب كلام العرب ، فغَلَبَتِ السَّليقيَّةُ ،[٥] ولم تكن نحويَّةً ، فكان سَرَاةُ الناس يلحَنون ، ووجوهُ الناس ،[٦] فوضع بابَ الفاعلِ والمفعولِ به ، والمضافَ ، وحروفَ الرَّفع والنَّصبِ والجرِّ والجَزْم .

* * *

(١) يقال له فى الأمر قدم وقدمة : أى تقدم وسبق ، وأثر حسن يقدمه فى إصلاحه .

(٢) النهج : الطريق الواضح : ونهج الطريق وأنهجه : بينه ووضحه ، فجعله نهجاً .

(٣) رسمت « الدئل » فى المخطوطة « الدؤل » « وزاد ابن سلام فى نسب أبى الأسود ، وهو فى مختصر الجمهرة ٣٨ ، وفى جمهرة ابن الكلبى ١٠٣ : « ... سفيان بن جندل » ، و« ... حلس بن عدى » ، وفى جمهرة ابن حزم . كما فى الطبقات ، فى الأول وحده . « الدئل» عند ابن الكلبى « الديل » بكسر الدال .

(٤) انظر ماقيل فى « الدئل » ، فى اللسان ( دأل ) ، وشرح التصحيف للعكرى : ٤٧٦ ، ٤٧٧ ، والروض الأنف ١:٧٦ ، وغريب الحديث لأبى عبيد ١ : ٣٨ ، وغيرها كثير .

(٥) « السليقية » ،على النسبة إلى «السليقة ».و« السليق» من الكلام مالايتعاهد المرءإعرابه ، وهو فصيح بليغ فى السمع ، عثور فى النحو ، وذلك حين يسترسل المتكلم على سليقته ، أى سجيته وطبيعته ، من غير تعمد إعراب ، ولا تجنب لحن . وهذه الجملة منقولة فى لسان العرب ( سلق ) .

(٦) «السراة» بفتح السين، جمع سرى، علىغيرقياس . وهم أهل الشرف والسخاء والمروءة .

١٥ — وكان ممن أخذَ عنه يحيي بن يَعْمَر، وهو رجل من عَدْوَان، وعِدَادُه في بني لَيْثٍ، وكان مأمو ناً عالمـاً، يُرْوَى عنه الفقهُ. رَوَى عن ابن عُمَر، وابن عبَّاس، وروى عنه قتَادة، وإسحاق بن سُوَيْد، وغيرُهما من العلماء، وأخذ ذلك عنه أيضاً مَيْمونُ الأقْرَن، وعَنْبَسَةُ الفِيل، ونَصْر بن عاصم اللَّيْثي، وغيرهم.

* * *

١٦ — قال ابن سلاّم: أخبرني يونس بن حبيب، قال الحجّاج لابن يَعْمَر: أتسمعني ألحن؟ قال: الأمير / أفصحُ الناسِ — قال يونس وكذلك كان — ولم يكن صاحبَ شعرٍ — قال: تسمعُني ألحن؟ قال: حرفاً. قال: أين؟ قال: في القرآن. قال: ذلك أشنعُ له! فما هو؟ قال: تقول: ﴿قُلْ إِنْ كَانَ آبَاؤُكُمْ وَأَبْنَاؤُكُمْ وَإِخْوَانُكُمْ وَأَزْوَاجُكُمْ وَعَشِيرَتُكُمْ وَأَمْوَالٌ اقْتَرَفْتُمُوهَا وَتِجَارَةٌ تَخْشَوْنَ كَسَادَهَا وَمَسَاكِنُ تَرْضَوْنَهَا أَحَبُّ إِلَيْكُمْ مِنَ اللهِ وَرَسُولِهِ﴾ [سورة التوبة: ٢٤]، قرأها بالرفع، كأنه لما طال عليه الكلامُ نسيَ ما ابتدأ به. والوجْهُ أن يقرأ: «أحبَّ إليكم» بالنصب، على خبر كانَ وفعلها. قال: وأخبرني يونُس قال: قال له: لا جَرَمَ،[1] لا تسمعُ لي لَحْنًا أبداً. قال يونس: فألحقه بخُراسان، وعليها يزيد بن المهلَّبِ —

---

(١) لاجرم: كلمة تدور في الكلام، كانت في الأصل بمنزلة: لابد ولا محالة، فلما جرت على الألسنة وكثرت، تحولت إلى معنى القسم، وصارت بمنزلة «حقاً»، فلذلك يجاب عنها باللام، كما يجاب بها عن القسم، يقولون: لا جرم لآتينك.

— فأخبرنى أبى [1] قال : كتبَ يزيدُ بن المهلَّب [ إلى الحجَّاج ] : « إنَّا لقِينا العدُوَّ ففعلنا ، واضطررناهم إلى عُرْعُرَةِ الجَبَلِ » . [2] فقال الحجاج : ما لابن المهلَّب ولهذا الكلام ؟ فقيل له : إنَّ ابن يعمَرَ هناكَ . فقال : فذاكَ إذاً ! [3]

* * *

١٧ — ثم كان من بَعْدِهم عبدُ الله بن أبى إسحاقَ الحَضْرَمىُّ ، وكانَ أوّلَ من بَعَجَ النحوَ ، ومدَّ القياسَ والعِلَلَ . [4] وكان معه أبو عمرو ابن العلاء ، وبقى بعده بقاءً طويلاً . وكان ابن أبى إسحاق أشدَّ تجريداً للقياس ، [5] وكان أبو عمرو أوسعَ علماً بكلامِ العرب ولُغاتِها وغريبِها . وكان بِلالُ بن أبى بُرْدة يجمع بينهما بالبَصْرة — وهو يومئذٍ والٍ عليها ، ولّاه خالد بن عبدِ الله القَسْرىّ ، زَمَانَ هشام بن عبد الملك — قال أبو عبد الله ، قال يونس ، قال أبو عمرو : فَغَلَبَنى ابن أبى إسحاق بالهَمْزِ يومئذٍ ، فنظرتُ فيه بعد ذلك وبالغتُ فيه .

---

( ١ ) هو محمد بن سلام روى عن أبيه سلام .

( ٢ ) عرعرة كل شىء : رأسه وأعلاه .

( ٣ ) الخبر رواه ابن الأنبارى بإسناده فى الوقف والابتداء ١ : ٤٦ ، ٤٧ ، وأخبار النحويين البصريين لأبى سعيد السيرافى : ٢٣ .

( ٤ ) بعج بطنه بالسكين : شقه شقاً واسعاً . ومنه حديث عبد الله بن عمر : « إذا رأيت مكة قد بعجت كظائم ، وساوى بناؤها رؤوس الجبال ، فاعلم أن الأمر قد أظلك ، فخذ حذرك » . والكظائم : القنوات المدودة بين الآبار . وبعج النحو : شقه ووسعه . ومد القياس والعلل : وسع أصول قياس العربية وأحكامها ، وبين علل النحو .

( ٥ ) أشد تجريداً للقياس : أى أشد معرفة بحقائقه ، واجتهاداً فى ضبطه .

وكان عيسى بن عُمَر أخذ عن ابن أبى إسحاقَ ، وأخذ يونس عن أبى عمرو بن العلاء ، وكان معهما مَسْلَمة بن عَبد الله بن سعد بن مُحَارِبِ الفِهرىّ ،[1] وكان ابنُ أبى إسحاق خالَه ، وكان حمّادُ بنُ الزِّبْرِقان ويونسُ يُفضّلانه .

وسمعتُ أبى يسألُ // يونسَ عن ابنِ أبى إسحاقَ وعلمِهِ قال : هو والنّحْوُ سَواء — أىْ هو الغايةُ .[2] قال : فأين علمُه من علم الناس اليومَ ؟ قال: لو كان فى الناسِ اليومَ مَنْ لا يعلمُ إلا علمَه يومئذٍ ، لضُحِكَ به ، ولو كان فيهم من له ذِهْنُه وَنفَاذُه ، ونَظَر نَظَرَهُمْ ، كانَ أعلمَ النّاسِ .[3]

١٨ — قال : وقلت ليونس : هل سمعتَ من ابن أبى إسحاق شيئًا ؟ قال : قلتُ له : هل يقولُ أحدٌ الصَّوِيقَ ؟ يعنى السَّوِيق .[4] قال : نعم ، عَمْرو بن تَميمٍ تقولُها ، وما تُرِيد إلى هذا ؟ عليك ببابٍ من النحو يطَّرِدُ وَيَنْقاس .

---

(١) ترجته فى طبقات القراء ٢: ٢٩٨ ، ولسان الميزان .

(٢) فى ترجته فى تهذيب التهذيب : (فقال : لو كانَ هو والمُجِدّ سيراً أتَى هو الغايةَ ».

(٣) النظر : هو فى الأصل التأمل ، ثم اصطلحوا على أنه : ترتيب أمور معلومة على وجه يؤدى إلى معرفة ماليس بمعلوم ، أو هو البحث ، وجعلوه أعم من القياس . يقول : لو كان فيهم من جمع إلى ذكائه وذهنه ونفاذه ، بحث المتأخرين ونظرهم ، كان أعلم الناس . وهذا الخبر رقم : ١٧ ، ذكره الأزهرى فى التهذيب ١ : ٨ ، ٩ ، وفى أخبار النحويين للسيرافى : ٢٥ ، ٢٦ ، وطبقات النحويين للزبيدى : ٢٦ .

(٤) السويق : يتخذ من الحنطة والشعير ، يكون طعاماً ، ويكون ثريداً ، ويجعل شراباً يخلط بالماء ويحلى ويشرب . وانظر طبقات النحويين للزبيدى : ٢٦ .

١٩ — وسمعت يونُس يقول : لو كان أحدٌ ينبغى أن يُؤْخَذَ بقوله كلِّه فى شىء واحدٍ ، كان ينبغى لقول أبى عمرو [ بن العلاء ] فى العربية أن يُؤْخَذَ كلُّه ، ولكِنْ ليس أحدٌ إلا وأنتَ آخذٌ من قوله وتاركٌ.(١)

٢٠ — قال : فأُخِذَ على الفرزدق شىء فى شعره فقال : أين هذا الذى يجُرُّ فى المسجد خُصْيَيْه ولا يُصْلِحُه ؟ يعنى ابن أبى إسحاق .(٢)

٢١ — أخبرَنى يُونس : أن أبا عمرٍو كان أشَدَّ تسليماً للعرب ، وكان ابنُ أبى إسحاق وعيسى بن عُمَر يَطْعُنان عليهم. كان عِيسَى يقولُ : أساء النَّابغةُ فى قوله حيث يقول :

[ فَبِتُّ كأنِّى ساوَرَتْنِى ضئيلةٌ  من الرُّقْشِ ]فى أنيابها السُّمُّ ناقِعُ (٣)

يقولُ : موضِعُها « ناقعاً » . وكان يختار السُّمَّ والشُّهْدَ ، وهى عُلْوِيَّة .(٤)

---

( ١ ) تهذيب الأزهرى ١ : ٩ .

( ٢ ) سيأتى خبر العداوة بين الفرزدق وابن أبى إسحاق بعد قليل فى رقم : ٢٢ ومابعدها . وانظر الموشح : ١٠٠ .

( ٣ ) ساورته : واثبته . والضئيلة : الحية التى كبرت فدقت واشتد سمها . والرقشاء : ذات النقط السود . والناقع : المجتمع فى أنيابها ، فهو قاتل بالغ الشدة . والبيت فى ديوانه : ٤٦ ، وسيبويه ١ : ٢٦١ .

( ٤ ) العالية : كل ما كان جهة نجد ، من أرض الحجاز ، وأهلها فصحاء العرب ، والنسبة إليها علوى على غير قياس . وأنشد الجاحظ فى البيان ١ : ١٦٧ .

فإنّ فى المجدِ هِمَّاتى ، وفى لُغَتِى  عُلْوِيَّةٌ ، ولسانى غيرُ لَحَّانِ

وانظر الخبر فى الموشح : ٤١ ، والتهذيب ١ : ٩ : واللسان ( سمم ) وفيه : (قال يونس : أهل العالية يتولون السم والشهد ، يرفعون ، وتميم تفتح السم والشهد) .

٢٢ — وأخبرني يونس ، أنَّ ابن أبي إسحاق قال للفرزدق في مديحه يزيدَ بنَ عبد الملك :

مُسْتَقْبِلِينَ شَمالَ الشَّأْمِ — تَضْرِبُنَا بِحَاصِبٍ كَنَدِيفِ القُطْنِ مَنْثُورِ
عَلَى عَمَائِمِنَا يُلْقَى وأَرْحُلِنَا — عَلَى زَوَاحِفَ تُزْجَى ، مُخُّهَا رِيرِ[1]

قال ابن أبي إسحاق : أسأتَ ، إنما هي رِيرُ ، وكذلك قِيَاس النحو في هذا الموضع . وقال يونس : والذي قال حسنٌ جائزٌ.[2] فلما ألحُّوا على الفرزدق / قال : « عَلَى زَوَاحِفَ نُزْجِيها مَحَاسِيرِ » . قال : ثم ترك الناس هذا ورجعوا إلى القول الأوَّل .[3]

---

(١) من قصيدة في ديوانه : ٢٦٢ ، وتفسير الطبري : ١٥ : ٤ ، ٨ ، ٢٠ : ٩٦ (بولاق) ، والخزانة ١ : ١١٥ .

الشمال : الريح الباردة ، وتأتي من قبل الشام . والحاصب : ما تناثر من دقاق البرد والثلج والعرب تسمى الريح العاصف التي فيها الحصى الصغار ، أو الثلج ، أو البرد والجليد : حاصبا ، قال الأخطل : ( د : ٤٣ ).

تَرْمِي العِضَاهَ بحاصبٍ من ثَلْجِهَا حتى يبيتَ على العِضَاهِ جُفَالاَ

شبهه بالقطن المندوف تلقيه الشمال على عمائمهم . والزواحف : الإبل التي أعيت وأنضاها السفر ، فهي تزحف من الكلال ، تجر قوائمها . أزجى الدابة : ساقها سوقاً رفيقاً لتلحق رفاقها . يقول : نسوقها سوقاً ليناً إبقاء عليها حتى تبلغنا غايتنا . وفي الموشح ٩٩ في خلال هذا الخبر قال : [ قال الفضل ( يعني أبا خليفة راوي الطبقات ) قال التوزي : يقال رير ورار ، وهو المخ الرقيق . وكيح الجبل وكاح الجبل أسفله . وقيد رمح وقاد رمح ] . ومخها رير : أي جهدها السير حتى أنضاها الهزال ، فدق عظمها ورق جلدها وذاب مخ عظامها . وقوله: على زواحف إلخ متعلق بقوله « مستقبلين شمال الشأم » ، وما بينهما حال معترضة . ضبطه في المخطوطة : « وأرحلنا » بالرفع ، وهو وجه ، ولا أستجيده .

(٢) يعني قول الفرزدق ، لا قول ابن أبي إسحاق . وتفسير ذلك في العربية « على زواحف رير مخها ، تزجى » . واختلفت الرواية عن الفرزدق ، فقد رووا أنه أبى من قول ابن أبي إسحاق وأنكره ، وأقام على الذي قال ، ولم يبال بقياسه ونحوه . وحق له .

(٣) انظر الخبر وما بعده في الموشح : ٩٩ ، ١٠٠ ، وأخبار النحويين البصريين : ٢٦ ، ٢٧

٢٣ — وكان يُكثِر الردَّ على الفرزدق ، فقال فيه الفرزدق :

فلوْ كانَ عبدُالله مَوْلًى هَجَوْتُه ، ولكنَّ عبدَ اللهِ مَوْلَى مَوَالِيَا

ردَّ الياءَ على الأصل . وهي أبيات ، [1] ولو كان هذا البيت [ وحده ] تركه ساكناً .

٢٤ — وكان مولى آل الحَضْرمىّ ، [2] وهم حُلَفاء بنى عبد شمس بن عبد مناف . والحليفُ عند العرب مولًى ، من ذلك قول الرّاعى ، يزيد به غنيًّا ، وهم حُلفاؤهم : [3]

جَزَى اللهُ مَوْلانا غَنيًّا ملامةً شِرَارَ مَوالِي عَامرٍ فى العَزَائمِ [4]

وقال الأخطل :

أتَشْتِمُ قوماً أثَّلوكَ بنَهْشَلٍ ولولاهُمُ كنتُمْ كعُكْلٍ مَوَالِيَا؟ [5]

---

( ١ ) لم أجدها فى ديوانه ولا فى غيره بعد . والبيت فى سيبويه ٢ : ٥٨ ، وأخبار النحويين البصريين : ٢٧ ، وتلقيب القوافى لابن كيسان : ٦٥ ، والموشح: ٩٩ ، وما يجوز للشاعر فى الضرورة للقزاز : ٨٨ ، والأضداد : ٤٠ ، واللسان ( عرا ) : وقال ابن برى : هو للمتنخل الهذلى ، وهى نسبة غريبة ، والخزانة ١ : ١١٤ — ١١٨ / ٢ : ٣٤٧ ، وقال : « الصواب فى رواية البيت ... بحذف الواو ( أو الفاء ) ، وجعل البيت مخروماً ، فإنه بيت واحد لم يتقدمه شىء حتى تكون الواو عاطفة » ، وليس هذا بشىء .

( ٢ ) « وكان » يعنى ابن أبى إسحق . والحضرمى : هو عبدالله بن عماد بن أكبر ، من الصدف ، من كندة . والد العلاء بن الحضرمى ، صاحب رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وواليه على البحرين .

( ٣ ) يعنى أنهم حلفاء بنى نمير بن عامر بن صعصعة رهط الراعى . وعامر ، فى الشعر ، بنو عامر بن صعصعة .

( ٤ ) الأضداد : ٤٠ ، فى العزائم : أى فى ساعة العزائم ، يعنى الحرب وماينبغى فيها من الصبر والعزيمة والجد .

( ٥ ) من قصيدة فى ديوانه : ٦٦ : وسيأتى رقم : ٦٨٥ .

أثله : أصل مجده وبناه . وذلك أن جريراً من بنى كليب بن يربوع بن حنظلة ، وكليب أخو نهشل : =

يعني حِلْفَ الرِّبابِ لسَعْدٍ ، وإنما قالَها لجرير .

وقال الـكلبيّ يحضِّض عُذْرة على فَزَارة :[1]

وأَشجعَ ، إن لاقيتُموهُمْ ، فإنهم　　لِذُبْيانَ مَوْلًى فى الحروب وناصِرُ[2]

٢٥— وكان عيسى بن عمرَ إذا اختلفت العرب نَزَعَ إلى النَّصب.[3]
كان عيسى بنُ عُمَر وابن أبى إسحاق يقرآن : ﴿ يا لَيْتَنا نُرَدُّ وَلا نُكَذِّبَ بِآياتِ رَبِّنا وَنَكُونَ مِنَ المُؤْمِنِينَ ﴾ [ سورة الأنعام : ٢٧] — وكان الحسن وأبو عمرو بن العلاء ويونس، يرفعون : نُرَدُّ، ونكذبُ،

---

= ابن دارم بن حنظلة من أمه، أمهما رقاش بنت شهبرة بن قيس بن مالك . ونهشل بن دارم هذا أخو مجاشع بن دارم بن حنظلة ــ رهط الفرزدق . وأما أم مجاشع هذا ، فهى الخلال بنت ظالم بن ذبيان التغلبية . ومن أجل أن كليبا ونهشلا أخوان لأم ، كانا حليفين . فهذا تأثيل بنى نهشل لبنى كليب رهط جرير، الذى زعمه الأخطل التغلبى فقال أيضاً :

فَاخْسَأْ إليكَ كُلَيْبُ ، إنَّ مجاشعاً　　وأبَا الفَوارسِ نَهْشَلاً ، أخوانِ

وتفصيل ذلك فى قصيدة الفرزدق ، ديوانه ٥١٦ ــ ٥٢٢ .

وأما عكل فهم بنو عوف بن عبد مناة بن أد ، وهم من الرباب. والرباب هم بنو عبد مناة بن أد : تيم وعدى وعوف وثور ، اجتمعوا مع بنى عمهم ضبة بن أد ، على بنى عمهم تميم بن مر بن أد ، فجاءوا برب( وهو مايطبخ من التمر ) فغمسوا أيديهم فيه ، فسموا الرباب . ثم خرجت عنهم ضبة ، واكتفت بعددها . ثم تحالفت سائر الرباب مع بنى عمهم بنى سعد بن زيد مناة بن تميم . فهذا هو حلف الرباب لسعد .

( ١ ) ذكر المرزبانى فى معجم الشعراء : ٢٩٩ أبياتاً للعطاف بن أبى شعفرة الكلبي: « يحضض بني عذرة على محاربة بنى فزارة » ، ومنها أبيات فى حماسة البحترى : ٢٩ للعطاف بن وبرة العذرى . وأظنه أخطأ ، أو خلط ناسخ حماسته ، فإن بنى عذرة ، هم : عذرة بن زيد اللات بن رفيدة بن ثور بن كلب بن وبرة .

( ٢ ) من رقم : ٢٢ ــ ٢٤ فى الموشح : ٩٩ ، ١٠٠ ، وبعضها فى أخبار النحويين للسيرافى : ٢٦ ، ٢٨ ، ومن أول قوله : « وقال الكلبى » [illegible]

( ٣ ) «نزع إلى كذا» ، انجذب إليه وما [illegible] «نزع إلى النصب» . [illegible] وانظر الخبر فى إنباه الرواة ٢ : ٣٧٥ : وفيه «

ونسكونُ .(١) قلتُ لسيبويه : كيفَ الوجهُ عندك ؟ قال : الرفعُ . قلت : فالذين قرأوا بالنصب ؟ قال : سمعوا قراءةَ ابن أبى إسحاق فاتّبعوه .

وكان عيسى بن عُمَر يقرأ : ﴿ الزَّانِيَةَ والزَّانِيَ ﴾ [ سورة النور: ٢ ] ﴿ وَالسَّارِقَ وَالسَّارِقَةَ ﴾ [ سورة المائدة : ٣٨ ] ، وكان ينشد :

* يَاعَدِيًّا لِقَلْبِكَ الْمُهْتَاجِ *(٢)

وكان يقرأ : ﴿ هٰؤُلَاءِ بَنَاتِي هُنَّ أَطْهَرَ لَكُمْ ﴾ [ سورة هود : ٧٨ ](٣) فقال له أبو عمرو بن العلاء : هٰؤلاء بنىّ هم ماذا ؟(٤) فقال : عِشْرِين رجُلًا . فأنكرها أبو عمرو .

وكان أبو عمرو وعيسى يقرآن : ﴿ يَا جِبَالُ أَوِّبِي مَعَهُ وَالطَّيْرَ ﴾ [ سورة سبأ : ١٠ ] ، ويختلفان فى التأويل . كان عيسى يقول : على النداء ، كقولك : « يا زيدُ والحارثَ » [لمّا لم يمكنه : « يا زيدُ يا الحارثُ ] .(٥)

---

( ١ ) انظر تفسير الطبرى ١١ : ٣١٦ – ٣٢١ .

( ٢ ) البيت لأبى دواد الإيادى من أربعة أبيات رواها أبو الفرج فى الأغانى ١٦ : ٣٧٢ (دار الكتب) وتمام البيت :

* أنْ عَفَا رَسْمُ منزلٍ بالنِّبَاجِ *

والشاهد فيه أن حق العربية « ياعدى » ، فلما نون ضرورة ما لا ينون — فزع إلى النصب . وهذا معنى قوله آنفاً : « إذا اختلفت العرب » .

( ٣ ) انظر تفسير الطبرى ١٥ : ٤١٥ .

( ٤ ) فى المخطوطة ، يكتب « ماذا » : « ماذى » ، وسيمر مثلها كثير ، فلا أشير إليه .

( ٥ ) فى المخطوطة «لما لم يكنه» (بفتح الياء وضم الكاف) وأرجح أنه خطأ صوابه ما أثبت. ومكانها فى « م » : « يازيد والحارث، الحارث ، والحارث جميعاً ، إذا نصب كأنه قال : ادع حارثاً » .

وانظر تفسير الطبرى ٢٢ : ٤٦ ( بولاق ) ، وسيبويه ١ : ٣٠٥ ، والمقتضب ٤ : ٢١٢ ، ٢٢٥ ، وابن يعيش ٢ : ٣/ ٣ : ٧١ ، ٧٢ ، وأوضح المسالك ٢ : ٩١ .

وكان أبو عمرو يقول : لو كانت على النداء لكانت رفعاً ، ولكنها على إضمار : وسخَّرنا الطيرَ ، كقوله على إثْر هذا : ﴿ وَلِسُلَيْمَانَ الرِّيحَ ﴾ [ سورة سبأ : ١٢ ] ، أي سخَّرنا الريحَ ..

٢٦ — وقال يونس : قال ابن أبي إسحق في بيت الفرزدق :

وعَضُّ زَمَانٍ يَا بْنَ مَرْوَانَ ، لم يَدَعْ     مِنَ المالِ إلاَّ مُسْحَتاً أو مُجرَّفُ[1]

ويروى أيضاً : مجلَّفُ ، [ المجرَّف : الذى تجرَّفته السَّنَةُ وقشرته ،[2] والمجلَّف : الذى صيّرته جِلْفاً ] ،[3] للرفع وجْهٌ . قال أبو عمرو : ولا أعرفُ لها وجهاً . وكان يونس لا يعرف لها وجهاً . قلت ليونس : لعلَّ الفرزدقَ قالهَا على النَّصْبِ ، ولم يَأْبَهْ ؟ فقال : لا ، كان يُنْشِدُها على الرفع . وأنشدنيها رؤبةُ على الرفع .

---

( ١ ) ديوانه ٥٥٦ : تفسير الطبرى ١٠ : ٣٢٤ ( معارف ) / ١٦ : ١٣٥ ( بولاق ) ، الموشح : ١٠١ / الاشتقاق : ٢٩٨ / خزانة الأدب ٢ : ٣٤٧ — ٣٥١ : وغيرها . قوله : « عض » معطوف على ما قبله وهو :

إليْكَ أميرَ المؤمنينَ رَمَتْ بنَا     هُمُومُ المُنَى والهَوْجَلُ المُتَعَسَّفُ

الهوجل : الطريق في المفازة البعيدة لا علم به .

وبيت الفرزدق مما اشتجرت عليه ألسنة النحاة ، ولكنه بقى مرفوعاً حيث هو ، كما قال الفرزدق حين قال له ابن أبى إسحاق : « بم رفعت ، أو مجلف ؟ فقال : بما يسوءك وينوءك ، علينا أن نقول ، وعليكم أن تتأولوا » ، وهكذا كان ! وانظر فى مجالس ثعلب : ٥٠ خبراً شبيها بهذا .

أسحت ماله : استأصله وأفسده واستهلكه .

( ٢ ) السنة : القحط فى سنة مجدبة . وجرفت السيول الوادى : أكلت من أسفل شقه حتى ذهب أكثره . وكذلك المال : ذهب أكثره وبقى أقله .

( ٣ ) ما بين القوسين زيادة من « م » . الجلف : الذى ذهب خيره ، كالجلف من الطعام : وهو الخبز اليابس الغليظ بلا أدم ولا لبن ، وكالجلف من الناس : وهو الجافى الغليظ الذى لا أدب له . وكالجلف من الأنعام وهو ما لا سمن له ولا ظهر ، ولا بطن يحمل .

وتقول العربُ : سَحَتَه وأَسْحَتَه ، يُقرَأ بهما في القرآن جميعاً ،[١] فمن قرأ : ﴿ فَيُسْحِتَكُمْ بِعَذَابٍ ﴾ [سورة طه : ٦١] ؛ فهو من أسحَتَ يُسْحِت فهو مُسْحَتٌ ، وهي التي قال الفرزدق . ومن قرأ : « فَيَسْحَتَكُمْ » ، فهو من سَحَتَ يَسْحَتُ فهو مسحوتٌ .

٢٧ — وأخبرني الحارث البُنانيّ ، أخو أبي الجَحَّاف ،[٢] أنه سمع الفرزدق ينشد :

فَيَا عَجَبَا ، حَتَّى كُلَيْبٍ تَسُبُّنِي ... كَأَنَّ أباها نَهْشَلٌ أو مُجَاشِعُ[٣]

كأنه جعله غايةً نخفض .

٭ ٭ ٭

٢٨ — ثم كانَ الخليل بن أحمد : وهو رجلٌ من الأَزْد ، من فَرَاهِيد . — يقالُ هذا رجل فَرَاهِيدِيٌّ ، ويونس يقول : فُرْهُودِيٌّ ، مثل قُرْدُوسيّ —[٤] فاستخرج [من] العروض ، واستنبط منه ومن عِلَلِه ما لم يستخرج أحدٌ ، ولم يسبقْه إلى مثله سابقٌ من العلماء كلِّهم .[٥]

---

( ١ ) من هنا إلى آخر الفقرة ، أخلت به « م » .

( ٢ ) في المخطوطة : «أخو الجحاف» ، وأثبت ما في «م» لمطابقتها ما نقله المرزباني في الموشح : ١٠١ حيث روى هذا الخبر بنصه .

( ٣ ) ديوانه : ٥١٨ ، والكلام على إعرابه في الخزانة ٤ : ١٤١ .

( ٤ ) في تاج العروس ( فرهد ) : « بالضم ، هكذا كان يقول يونس » . الفراهيد : هم بنو شبابة ابن مالك بن فهم بن غنم بن دوس من بني نصر بن الأزد ( الجمهرة : ٣٥٨ ) . وواحد الفراهيد ، فرهود . وهو الحادر الغليظ من ولد الأسد أو الوعول ولا أدري أرده يونس إلى مفرده ، أم ذهب إلى ماذهب إليه بعض النسابين ، أن فرهودا : بطن من اليمن ؟

( ٥ ) هذا الخبر رواه الأزهري في التهذيب ١ : ١٠ .

٢٩ — رُجِعَ إلى قول الشُّعَراء،[1] وإلى قول العلماء فيه؛ ولكلٍّ مَن ذَكرنا قولٌ فيه.[2]

— قال: / فنقَلْنا ذلك إلى خَلَف بن حَيّان أبي مُحْرِز، وهو خَلَفٌ الأحمرُ، اجتمع أصحابُنا أنّه كانَ أفرَسَ النّاس ببيت شعر،[3] وأصدَقَهُ لساناً.[4] كُنّا لا نُبالي إذا أخذنا عنه [خبراً]،[5] أو أَنشدنا شعراً، أن لا نسمعَه من صاحبه.[6]

٣٠ — وكان الأصمعيُّ وأبو عُبَيْدةَ من أهل العلم. وأعلمُ مَنْ وردَ علينا من غير أهلِ البَصْرةِ: المَفَضَّل بن محمّد الضبيّ الكوفيُّ.[7]

* * *

٣١ —[8] ففصَّلنا الشعراءَ من أهـــل الجاهليّةِ والإسلام،

---

(١) في «م»: «رجع إلى الشعر»، وضبط «رجع» بفتح الجيم بالبناء للمعلوم.

(٢) يعني أنه رجع بعد هذا الاستطراد المستطيل إلى ما بدأه في الفقرة رقم: ٦، عن خلف الأحمر ورواية الشعر.

(٣) من الفراسة: وهي النظر والتثبت، والتأمل للشيء والبصر به. ورجل فارس بالأمر: حاذق به عليم بصير.

(٤) قوله: «وأصدقه لساناً»، أعاد الضمير بعد أفعل التفضيل مفرداً مذكراً، ولم يقل «وأصدقهم» وهو عربي عتيق جيد، في النثر والشعر، منه قوله صلى الله عليه وسلم: «خير النساء صوالح قريش، أحناه على ولد في صغر، وأرعاه على زوج في ذات يده»، وفي خبر عمار ابن ياسر (ابن سعد ٣ / ١ / ١٨٣: «كان عمار من أطول الناس سكوتاً وأقله كلاماً»، انظر الروض الأنف ١: ٤٤، وفيه تأويل جيد، همع الهوامع ١: ٥٦

(٥) بين القوسين زيادة في «م»، وهو مطابق لما رواه الأزهري في التهذيب ١: ١٠.

(٦) انظر هذا الخبر في التهذيب ١: ١٠، ومعجم الأدباء ٤: ١٧٩، وطبقات النحويين للزبيدي: ١٧٨، ثم أمالي القالي ١: ١٥٧، ثم انظر ما قلته آنفاً تعليقاً على رقم: ٥

(٧) التهذيب للأزهري ١: ١٠

(٨) انتهى استطراد ابن سلام. ووصل الكلام بما بدأه في الفقرة: ٢.

والمُخَضْرَمِينَ الذين كانوا فى الجاهليّة وأدركوا الإسلامَ ، فنزّلناهم منازلَهم ، واحتجَجْنا لكلّ شاعرٍ بما وجَدْنا له من حُجّة ، وما قال فيه العلماء .

وقد اختلف الناسُ والرواةُ فيهم . فنظر قوم من أهل العِلم بالشعرِ ، والنَّفاذ فى كلامِ العربِ ، والعلمِ بالعربيّة ، إذا اختلفتِ الرُّواةُ فقالوا بآرائهم ، وقالت العشائرُ بأهوائها ، ولا يُقْنِع الناسَ مع ذلك إلّا الرِّوايةُ عمّنْ تقدَّم . فاقتصرنا من الفُحُول المشهورين على أربعين شاعراً ، فألّفنا من تَشابه شعرُه منهم إلى نُظَرائه ، فوجدناهُمْ عَشْرَ طَبقاتٍ ، أربعةُ رَهْطٍ كلُّ طبقة ، مُتَكافِئين مُعْتدِلين .[1]

* * *

٣٢ — وكان الشعرُ فى الجاهليّة عند العربِ دِيوَانَ علمهم ومُنْتَهَى حُكمهم ،[2] به يأخذون ، وإليه يَصيرون :

— قال ابن سلّام : قال ابن عَوْنٍ ، عن ابن سيرينَ ، قال : قال عمر بن الخطّاب[3] : «كان الشعرُ علمَ قومٍ لم يكن لهم علمٌ أصحُّ منه» .

---

(١) انظر ما ذكرته فى المقدمة عن وجود هذا النص فى مخطوطة المدينة ، وكيف غيره بعض من قرأها ، وأن ماطبع من الطبقات فى أوربة أو مصر ، مشتمل على هذا التغيير القبيح المفسد لعمل ابن سلام .

(٢) الديوان : مجتمع الصحف ، أو الدفتر . يعنى أنه ما يقيد فيه علمهم ويدون . والحكم والحكمة سواء : العلم والفقه ، قال تعالى : « وآتيناه الحكم صبياً » . وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « إن من البيان لسحرا ، وإن من الشعر لحكما » ، أى حكمة نافعة ، تمنع من الجهل والسفه . وانظر المزهر ٢ : ٤٧٣

(٣) عبد الله بن عون بن أرطبان المزنى ، مولاهم ، بصرى . لم يكن بالعراق أعلم منه بالسنة ولد سنة ٦٦ وتوفى سنة ١٥١ . ومحمد بن سيرين الأنصارى ، مولاهم ، إمام وقته . ولد سنة ٣٣ ومات سنة ١١٠ .

فجاء الإسلامُ ، فتشاغَلَتْ عنه العربُ ، وتشاغلوا بالجهاد وغَزْوِ فارسٍ والرُّوم ، ولَهَتْ عن الشعر وروايته.[(١)] فلما كَثُر الإسلامُ ، وجاءتِ الفتوحُ ، واطمأنَّت العربُ بالأمْصار ، راجَعوا رواية الشِّعر ، فلم يَؤُولُوا إلى ديوانٍ مُدَوَّنٍ ولا كتابٍ مكتوبٍ ،[(٢)] وألْفَوْا ذلك وقد هلكَ من العرب مَنْ هلك بالموت والقتل ، فحفظوا أقلَّ ذلك ، وذهبَ عليهم منه كثيرٌ. وقد كان عند النُّعمان بن المُنْذِر منه ديوانٌ فيه أشعارُ الفُحول ، وما مُدِح هو وأهلُ بَيْته به ، صَارَ ذلك إلى بنى مروان ، أو صَارَ منه.[(٣)]

* * *

٣٣ — قال يونُس بن حبيب : قال أبو عمرو بن العلاء : ما انتهى إليكم مِمَّا قالتِ العربُ إلاّ أقلُّه ، ولو جَاءكم وَافراً لجاءكم علمٌ وشعرٌ كثيرٌ.[(٤)]

---

(١) هذا الكلام من كلام ابن سلام ، لا من كلام عمر. وانظر الخصائص لابن جنى ١ : ٣٨٦ : والاقتراح للسيوطى : ٢٧

(٢) لها عن الشيء يلهو ، ولهى عنه ( بفتح فكسر ) يلهى ( بفتح الهاء ) : غفل عنه ونسى ذكره وأضرب عنه : وفى « م » : « ولهيت »

(٣) فى « م » : « فلم يئلوا الى ديوان .. » من « وأل يئل » إذا لجأ الى شيء ، وهو جيد.

(٤) « صار إليه » ، أى آل إليه ، وانتهى اليه.

(٥) الوافر : التام الذى لم ينقص منه شيء. وروى ابن جنى فى الخصائص هذا الخبر وماقبله ١ : ٣٨٦ ، ٣٨٧ ؛ والسيوطى فى الاقتراح : ٢٧.

٣٤ — ومما يدلُّ على ذَهَاب الشعر وسقوطِه ، قلَّةُ ما بقي بأيدى الرُّواة المُصَحِّحين لطرفة وعَبِيدٍ ، اللَّذين صحَّ لهما قصائدُ بِقَدْرِ عشرٍ . وإن لم يكن لهما غيرُهُنَّ ، فليس مَوضِعُهما حيثُ وُضعا من الشُّهْرة والتَّقْدِمَة ،[1] وإن كان ما يُرْوَى من الغُثَاء لهما ، فلَيْسَ يستحقّانِ مكانَهما على أفواهِ الرُّواة[2] . ونُرَى أنَّ غيرَهما قد سَقَط من كلامه كلامٌ كثير ، غيرَ أنَّ الذى نالهما من ذلك أكثر . وكانا أقدمَ الفحول ، فلعلَّ ذلك لذاك . فلمَّا قَلَّ كلامُهما ، حُمِلَ عليهما حَمْلٌ كثير.[3]

٣٥ — ولم يكن لأوَائل العرب مِن الشِّعْر إلاّ الأبيَات يقُولها الرَّجُل في حَاجته ، وإنَّما قُصِّدت القصائدُ وطُوِّلَ الشِّعرُ على عَهْد عبدِ المطَّلِبِ ، وهَاشِم بنِ عبد مَنَاف .[4] وذلك يدلّ على إسقاط شعرِ عادٍ وثمودَ وحِمْيرَ وتُبَّع .

* * *

٣٦ — فمن قديم الشِّعرِ الصحيحِ قولُ العَنْبر بن عمرو بن تميم ،وكان

---

(١) التقدمة : مصدر قدمه تقديماً وتقدمة .

(٢) الغثاء : مايحمله السيل من الزبد والقذر والهالك البالى من ورق الشجر . يعنى ما لا غناء فيه ولا خير .

(٣) حمل عليه : ادعى عليه وقوله مالم يقل . ومنه الحميل : وهو الدعى في النسب .

(٤) هكذا يرى ابن سلام وغيره من المتقدمين . وهو عندى باطل ، فالشعر أقدم مما يزعم ، وطويله أعتق مما يتوهم . وليته قال هنا ما قاله منذ قليل في سبب ذهاب شعر عبيد وطرفة ، أن قدمهما كان السبب في قلة ماروى عنهما . فإذا صح ذلك ، فمن كان قبلهما أجدر أن يذهب من كلامه أكثر مما ذهب من كلامهما . وهذا بحث طويل ليس هذا مكان الاحتجاج له .

جاورَ في بَهْراء، فرَابَه رَيْبٌ فقال:(١)

قَدْ رَابني مِن دَلْوِيَ اضْطِرَابُهَا ... وَالنَّأْيُ في بَهْراءَ واغتِرَابُهَا

* إن لاَّ تَجِئْ مَلْأَى يَجِئْ قُرَابُهَا *(٢)

وقد قال قوم إنّه كانَ من بَهْراء، فجاوَر عَمْرو بن تميم،(٣) وأنه قال:

قد رَابَني من دَلْوِيَ اضْطِرابُها ... والنأيُ عن بَهراءَ واغترابُها

— ولا نَرى ذلك كما قالوا، بل هو كما ذُكر: العنبر بن عمرو بن تميم.

وكان على عائشة مُحَرَّرٌ من ولد إسماعيل، فلما قَدِمَ سَبْيُ العنبر أمرها رسول الله صلى الله عليه أن تُعْتِقَ منهم، وهُمْ أصحابُ الحُجُرات.(٤)

---

(١) لم أجد خبر هذه الرواية مفصلا. أما الرواية الأخرى، فسيأتي خبرها بعد. وبهراء بن عمرو بن الحاف بن قضاعة.

(٢) تدل الأبيات على أن العنبر لقي عنتاً في بهراء: وأنهم كادوا له عند السقي في البئر حتى تركوا دلوه فارغة تضطرب برشائها بين الدلاء الملأى. وقوله: «والنأي» يعني نأي دلوه في بهراء واغترابها، أسند الاغتراب والنأي إليها. وقراب الشيء وقرابه وقرابته: ما قارب قدر تمامه أو امتلائه. وهذا البيت الأخير من الرجز منقطع عما قبله، وأحسب أن في الشعر سقطاً قديماً لم تعرفه الرواة، وكأنه كان يريد أن يقول: لو كنت في بني عمرو بن تميم، لجاءت دلوي بمائها: « إن لا تجيء ملأى يجيء قرابها ».

(٣) أما خبر هذه الرواية فقد استوفاها أبو العباس في الكامل ١ : ٢٧٤–٢٧٥، وروى عن النسابين أن أم العنبر هي أم خارجة — عمرة بنت سعد الأنمارية، وأنها تزوجت عمرو بن تميم، ونقلها إلى بلده، والعنبر معها صغير (وأبوه من بني بهراء بن عمرو)، فولدت لعمرو بن تميم أسيداً والهجيم والقليب. فخرج العنبر وإخوته ذات يوم يستقون، فقل عليهم الماء، فأنزلوا مائحاً من تميم، فجعل المائح يملأ الدلو، إذا كانت للهجيم وأسيد والقليب، فإذا وردت دلو العنبر تركها تضطرب، فقال العنبر ما قال. ومن أول « وقد قال قوم »، إلى آخر الفقرة، أخلت به «م».

(٤) حديث عائشة: رواه بهذا البزار، عن ابن عمر، عن عائشة ورجاله رجال الصحيح (مجمع الزوائد ١٠ : ٤٧)، ومثله في المستدرك للحاكم (٢ : ٢١٦) عن عبد الله بن معقل. =

٣٧ — أخبرنى أبو مُحْرِز واصلُ بن شَبِيب المَنافِيّ[1] ، قال : كان سعْدٌ ومالكٌ ابْنَىْ زيدِ مَنَاة بن تميم ، فكان سَعدٌ أسودَهُما ،[2] وكان مالكٌ تِرْعِيَّة يَعْزُبُ فى الإبل ،[3] وأمُّهما : مُفَدَّاةُ بنتُ ثعلبةَ بن دُودَان بن أسد ، وخالتهما : مُمَنَّاةُ بنت ثعلبة ، أُمُّ ثعلبة بن عُكَابة بن صَعْب بن على

---

= وليس فيها جميعاً أن بنى العنبر « هم أصحاب الحجرات » . والمعروف أن بنى تميم هم أصحاب الحجرات ( إن الذين ينادونك من وراء الحجرات ) [سورة الحجرات : ٤] . أما أنهم هم بنو العنبر، فهو خبر عزيز جداً ، لم أجده إلا عند البغوى فى تفسير سورة الحجرات ، رواه عن ابن عباس بغير إسناد ( البغوى ٨ : ٨ ، بهامش تفسير ابن كثير ) .

وذكر حديث عائشة أبو العباس فى الكامل ١ : ٢٧٥ والطبرى ٣ : ١٧٣ فى غزوة عيينة ابن حصن بنى العنبر ، وابن هشام ٤ : ٢٦٩ . ورأى أبو العباس أن بهراء من قضاعة ، وقضاعة من بنى معد أبناء إسماعيل. وأن من زعم أن قضاعة من بنى مالك بن حمير ، وهو الحق، قال إن النسب الصحيح فى قحطان الرجوع إلى إسماعيل أيضاً ، فهو عندهم قحطان بن الهميسع بن تيمن بن نبت بن قيدار بن إسماعيل صلى الله عليه وسلم . المحرر : المعتق ، وتحرير الرقبة ، عتقها ، و « المحرَّرون» هم الموالى .

( ١ ) « واصل بن شبيب المنافى » ، لم أجد له ترجمة ، وهو منسوب إلى مناف بن دارم ، وقد جاء فى كتاب « الإنباه على قبائل الرواة » لابن عبد البر : ٧٧ : « قال محمد بن سلام : قال لى واصل بن شبيب ، من بنى دارم » .

( ٢ ) فى « م » : « كان سعد ومالك ابنا زيد مناة بن تميم » ، وهو صواب محض ، قال سيبويه ١ : ٣٦ : « وقال بعضهم : كان أنت خير منه ، كأنه قال : إنه أنت خير منه» . وقال ابن الشجرى فى أماليه ٢ : ٣٣٨ : « كان زيد جالس ، تريد : كان الشأن : زيد جالس » ، على إضمار « الشأن » . وانظر همع الهوامع ١ : ١١١ .

( ٣ ) ساد القوم يسودهم سؤدداً وسيادة . وفى حديث عبد الله بن عمر بن الخطاب: «ما رأيت بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم أسود من معاوية . قيل : ولا عمر ؟ قال : كان عمر خيراً منه، وكان هو أسود من عمر » ، يعنى فضل معاوية على عمر فى شمائل سيادة الناس . ورجل ترعية : يجيد رعية الإبل ، يحسن ارتياد الكلأ والتماسه للماشية . وعزب فى الإبل وعزب بها : رعاها بعيداً عن الدار التى حل بها الحى ، وغاب لا يأوى إليهم . وقد ضرب بمالك بن زيد مناة المثل فى حسن الرعية فقالوا : « آبل من مالك » ، ولكنه كان عظيم الحمق ، فهو أحد المعدودين من حمقى العرب ( المحبر : ٣٨٠ / القالى ٣ : ٢٨ ) ، وتفصيل قصته هذه دلالة على حمقه .

ابن بكر بن وائل ، أبى شَيْبان وقَيسٍ وذُهْلٍ وَتَيْمٍ ، وهو الحِصْن .[١]
وقال أبو مُحرِز : زَارَ ثعلبةُ ابنَتَهُ وهى حاملٌ بسعْدٍ ،[٢] فَمَخَضَت ليلاً ،[٣]
فاستحيت من أبيها وزوجها ، فخرجتْ ، فأعجلها الوِلادُ ، فطَرَّقَتْ على
قرية نَمْلٍ .[٤] فأدركها أبوها ، وزجَرَ ، فقال : لئن صدقتِ الطَّيْرُ ،
لَيملأَنَّ ابنُكِ هذا الأرضَ من وَلَدِهِ .[٥]

قال أبو مُحْرِز : فتزوّج مالكُ بنُ زيد مَناة ، النَّوَارَ بنت جَلٍّ بن
عَدِىّ بن عَبْدِ مَناة بن أُدٍّ — وهم عَدِىٌّ وتَيْمٌ ، ويقال لتَيْمٍ : تَيْمُ عَدِىٍّ ،
وهما من الرِّبَاب[٦] — ، وكانت امرَأَةً زَوْلَةً جَزْلَةً .[٧] فلمّا اهتَدَاها

---

( ١ ) يعنى أن الحصن هو ثعلبة بن عكابة ، ( نسب عدنان وقحطان للمبرد : ١٥ ، النقائض ٤٥٧ ، ٦١٣ ) ، ويقال أيضاً « تيم الله » . انظر الجمهرة : ٢٩٦ ، والمعارف : ٤٨ ، وسيأتى مثل هذا مرة أخرى ، اطلبه فى الفهارس : « الحصن » .

( ٢ ) يعنى ثعلبة بن دودان بن أسد .

( ٣ ) مخضت المرأة : ضربها المخاض ، وهو الطلق ووجع الولادة ؛ فهى ماخض .

( ٤ ) الولاد والولادة واحد . طرقت المرأة الحامل : إذا خرج من الولد نصفه ثم نشب واحتبس بعض الاحتباس ثم خلص . وأما التى يعترض ولدها فى الرحم لا يخرج فقد عضلت . . وقرية النمل : ما تجمعه من التراب فى جحرها ، وهو مسكنها ، بما فيه من الذر والحب والمازن ، وهو بيض النمل ( الحيوان ٤ : ١٢ ) .

( ٥ ) زجر الطير يزجرها زجراً . والزجر : ضرب من الكهانة ، ينظر سنوح الطير أو بروحها ، ثم يتكهن ، بما يرى من التيمن بها أو التشاؤم .

( ٦ ) ويقال لهم تيم الرباب أيضاً . وانظر الرباب ( فقرة : ٢٤ رقم : ٥ ) .

( ٧ ) رجل زول وامرأة زولة . وهى الخفيفة الظريفة الفطنة الداهية . ورجل جزل وامرأة جزلة : لها جزالة رأى ، عاقلة أصيلة الرأى جيدته .

مالكٌ ،(١) خرج سعدٌ فى الإبل فَعَزَبَ فيها ثُمّ أوردَها لِظَمْئِها ،(٢) ومالكٌ فى صُفْرةٍ ،(٣) وكان عَروساً ، فأراد القيامَ ، فمنعته امرأتُهُ من القيام ، فجعل سَعْدٌ وهو مُشْتَمِلٌ يُزَاوِلُ سَقْيَها ولا يَرْفُق ،(٤) فقال :

يَظَلُّ يَوْمَ وِرْدِها مُزَعْفَرَا ... وَهِى خَنَاطِيلُ تَجُوسُ الخَضِرَا(٥)

فقالت النَّوارُ لمالك : ألا تسمعُ ما يقولُ أخُوكَ ؟ أَجِبْهُ . قال : ومَا أقول ؟ قالت : قُلْ :

أَوْرَدَها سَعْدٌ وسعْدٌ مُشْتَمِلْ ... مَاهكَذَا تُورَدُ يا سعدُ الإبِلْ(٦)

---

( ١ ) اهتدى الرجل امرأته : جمعها إليه وضمها ، وأعرس بها ، فهى هدى وهدية ، أى عروس .

( ٢ ) أى جاء ليسقيها عند ميقات ورودها . وذلك أنهم يجعلون الإبل ترد الماء يوماً ثم تصدر فتكون فى المرعى يوماً أو يومين أو ما شاؤوا ، ويحبسونها عن الماء ثم يوردونها ، فما بين الشربة الأولى والثانية هو الظمء .

( ٣ ) فى صفرة : يعنى أنه قد تمسح بالزعفران ، وهو الصفرة ، وكانت تلك عادتهم فى جاهليتهم عند العرس . وقد نهى رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يتزعفر الرجل . وظن بعضهم أن قوله « فى صفرة » أنه كان يعترى مالكاً الجنون ويزول عقله ، وكانت عادتهم أيضاً أنهم يمسحون المجنون فى أيام زوال عقله بالزعفران . وليس هذا بشىء . والأول هو المراد ، كما ترى فى البيت الآتى .

( ٤ ) اشتمل الرجل : تلفف بثوبه ، حتى يجلل به جسده ، ولا يرفع منه جانباً ، فتكون فيه فرجة تخرج منها يده . وزاول الشىء : عالجه وحاوله .

( ٥ ) يتهكم بمالك ، وأنه آثر عروسه على إبله ، فقضى يومه فى زعفرانه وطيبه ، وترك ورد إبله ، وأنه هو ولى رعيتها عنه . يتبجح بنفسه وعمله . خناطيل : مما جاء على صيغة الجمع ولا واحد له من لفظه ، وهى جماعات الإبل متفرقة فى المرعى . و « الخضر » ، بفتح الخاء والضاد ، سعف النخل وجريده الأخضر . ( اللسان : خضر ، خنطل ). وفى هذه المادة الأخيرة ، نص ابن سلام : وانظر أيضاً : الأمالى ٣:٢٨ / المستقصى ١ : ٢ / جمهرة الأمثال ١ : ٩٣ ، ١٣٧ ، ٢٠٠ / البيان والتبيين ٢ : ٢٢٥ / غريب الحديث ٣: ٤٧٧ .

( ٦ ) يقول : إن الاشتمال يعوق الرجل عن إحسان عمله ، إنما يتطلب العمل التشمير . يضرب مثلا لمن قصر فى الأمر ولم يأخذ له أهبته . وفى المخطوطة رسم : « هكذى » ، مكان «هكذا» ، كما سلف مثله قريباً ، ص : ٢٠ ، تعليق : ٤ .

// فولدَت حنظلةَ الأغرَّ ، وفيه بيتُ تميم وشرفُها.[1] وقال حنظلة :
وُلِدتُ لمالكٍ ووُلِدَ لى مالك.[2] وقال جرير لعمر بن لَجَأٍ :

فلم تَلِدُوا النوارَ ، ولم تلدْكُم[3] مُفَدَّاةُ المبارَكَةُ الوَلُودُ[4]

* * *

٣٨ — وممّا يُرْوى من قديم الشعر قولُ دُوَيْد بن زَيْد بن نَهْد ، قال حين حَضَره الموتُ :[5]

---

(١) بيت القبيلة : هو الذى يكون فيه شرفها ومآثرها ، وجمعه البيوت، ثم يجمع : البيوتات، ومن هنا إلى آخر الفقرة أخلت به « م » .

(٢) فى الأصل : «وقال سعد : ولدت . . . » وهو خطأ لاشك فيه . وعنى بقوله هذا أنه ولد لمالك بن زيد مناة أبيه ، وفي بيته شرف بنى زيد مناة بن تميم ، ثم ولد له مالك بن حنظلة بن مالك ابن زيد مناة : فكان فيه شرف بنى زيد مناة بن تميم أيضاً . يقول ذلك حنظلة فاخراً بأبيه وولده .

(٣) ديوانه ١ : ٣٣١٠ ( ١٦٤ صاوى ) ، واللسان ( خنطل ) يهجو عمر بن لجأ التيمى . ويفخر عليه بأمهاته . وابن لجأ من تيم بن عبدمناة بن أد ، والنوار بنت عمه ولم تلده ، وهى النوار بنت جل بن عدى بن عبدمناة بن أد، وجرير من بنى يربوع بن حنظلة بن مالك بن زيد مناة ، ولدته النوار ، لأنها أم حنظلة بن مالك بن زيد مناة ، وولدته المفداة لأنها أم مالك بن زيد مناة ، فهو يفضل عدياً على تيم بولادتهم النوار، ويفخر على ابن لجأ بما ولدته المفداة جدته .

(٤) الخبر : ٣٧ ، كله فى ذكر قديم الشعر الصحيح ، فأورد رجز سعد بن زيد مناة بن تميم، ولسعد شعر أيضاً فى امرأته الناقمية ، وهى رقاش بنت عامر بن جدان بن أسد بن ربيعة بن نزار ، منه ما رواه المفضل :

أَجَدَّ فِراقُ الناقمِيَّـــةِ غُدْوةً أمِ البَيْنُ يَحْلَوْلِى لمن هو مُولَعُ
لقدْ كنتُ أهوَى الناقِمِيَّةَ حِقْبَةً فقد جَعلَتْ آسانُ بَيْنٍ تَقطَّعُ

انظر اللسان ( نقم ) ( أسن ) .

(٥) المؤتلف والمختلف : ١١٤ ، الشعر والشعراء : ٥١ ، شرح التصحيف : ٤٢٨ ، معجم ما استعجم ١ : ٣٤ ، المعمرين : ٢٠ ، أمالى الشريف ١ : ٢٣٧ ، الروض الأنف ١ : ٦٧ ، جمهرة الأمثال ١ : ٨٤ ، وجمهرة نسب قريش رقم : ٧٥٩ ، وغيرها .

لَوْ كانَ للدَّهْرِ بِلًى أَبْلَيْتُهُ . اليومَ يُبْنَى لِدُوَيْدٍ بَيْتُهُ[1]
يارُبَّ نَهْبٍ صالحٍ حَوَيْتُهُ . أَوْكانَ قِرْنِي واحدًا كَفَيْتُهُ[2]
[ ومِعْصَمٍ مُخَضَّبٍ ثَنَيْتُهُ ] . ورُبَّ غَيْلٍ حَسَنٍ لَوَيْتُهُ[3]

وقال أيضاً :[4]

أَلْقَى عليَّ الدهرُ رِجْلاً ويَدَا
والدَّهرُ ما أَصلَحَ يومًا أفسدَا
يُصْلِحُهُ اليومَ ويُفْسِدُهُ غَدَا[5]

قال : وأوصى بنيه عند موته فقال : أُوصيكُمْ بالناس شرًّا ، لا تقبَلوا

---

( ١ ) البيت : القبر . على التشبيه . وياله من سكن موحش! يقول : لو كان الدهر ممايبلى لأبليته.

( ٢ ) القرن : الذى يلقاك ليقاومك . وهو مثلك أو كفؤك فى البأس والشجاعة . ويقال : « رجل واحد » ، إذا كان متقدماً فى بأس أو علم أو غير ذلك . كأنه لامثل له ، فهو وحده لذلك . وضمن « كفيته » معنى رددته . أى قمت له وانضلعت بحربه ورددته عنى . والنهب : الغنيمة تنتهب. يذكر ما كان يطيقه فى شبابه . ويعنون بالصالح ، الشىء الذى هو إلى الكثرة .

( ٣ ) الغيل : الساعد الريان الممتلىء ، يصف صاحبته بالشباب والنعمة والكرامة على أهلها. والمعصم موضع السوار من اليد ، وأراد اليد نفسها ، لذكره الخضاب ، وهو الحناء أو غيره مما يصبغ به . يعنى أن صاحبته عروس جديدة الخضاب . كنى بالشطر الأول عن تجاوزه الأحراس والمنعة إلى الكريمة المنعة ، وكنى بالشطر الثانى عن غلبته على فؤاد الغانية الحديثة العهد بالزواج ، فهى عن التطرف إلى غير زوجها أبعد وأعف .

( ٤ ) انظر المراجع السابقة ص : ٣١ ، تعليق : ٥، وزد عليه حماسة البحترى: ٢١٥ ، ورسالة الغفران : ٣٣٢ ، ومعانى القرآن للفراء ١ : ٣٨٨ ، وتفسير الطبرى ١٣ : ٢١ . برواية مخالفة. ومن هنا إلى آخر الفقرة ، أخلت به « م » .

( ٥ ) يروى: « يصلح ما أفسده اليوم غداً » و« يفسد ما أصلحه اليوم غداً» وروايات أخرى. وألقى عليه رجلا ويداً : يعنى البطش به وشدة الوطأة عليه .

لهم مَعْذِرةً ، ولا تُقيلوهم عَثْرة .(١)

٣٩ — وقال أَعْصُر بن سَعْد بن قَيْس بن عَيْلاَن ،(٢) وهو مُنَبِّه ، أبو بَاهلةَ وغَنِيّ والطُّفَاوَة:(٣)

قالتْ عُمَيْرَةُ: مَالِرأسِكَ بَعْدَمَا ... نَفِدَ الزَّمانُ — أَتَى بِلونٍ مُنْكَرِ(٤)
أَعُمَيْرَ إنَّ أَباكِ شَيَّبَ رأسَهُ ... كَرُّ اللَّيالِي وَاخْتِلافُ الأَعْصُرِ

فبهذا البيت سُمِّيَ أَعْصُرَ ، وقد يقول قومٌ : يَعْصُرُ ، وليس بشيء .

٤٠ — ومنهم الْمُسْتَوْغِر بن رَبِيعَة بن كَعْب بن سَعْد [ بن زيد مناة ابن تميم ] ، كان قديماً ، وبقى بقاءً طويلاً حتى قال :(٥)

ولقَدْ سَئِمْتُ مِنَ الحَياةِ وطُولِها ... وَازْدَدْتُ من عَدَدِ السِّنِينَ مِئِينَا
مِئَةٌ أَتَتْ مِنْ بَعْدِها مِئَتانِ لِي ... وَازْدَدْتُ من عَدَدِ الشُّهورِ سِنِينَا
هَلْ ما بَقَا إلاّ كما قَدْ فاتَنا ... يَوْمٌ يَكُرُّ وليلةٌ تَحْدُونَا(٦)

---

( ١ ) انظر سائر وصيته في المعمرين : ٢٠ ، وأمالي الشريف ١ : ٢٣٦ ، وبعض المراجع السابقة .

( ٢ ) انظر الخلاف في « قيس عيلان » في اللسان ( عيل ) ، والروض الأنف ١ : ٦٠ ، ٦١ ، وغيرهما .

( ٣ ) معجم الشعراء : ٤٦٦ وفيه نص ابن سلام وكذلك الشعر والشعراء : ٥١ ، ٥٢ ؛ وغيرهما مما سلف ذكره .

( ٤ ) عميرة : ابنته . نفد : ذهب وفنى . والزمان : أراد به العمر .

( ٥ ) أمالي الشريف ١ : ٢٣٤ ، معجم الشعراء : ٢١٣ ، والمعمرون : ٩ ، التيجان : ٢٥٢ ، الأزمنة والأمكنة ٢ : ٢٦٩ ، حماسة البحتري : ١٠١ ، ابن هشام ١ : ٩٠ ، الروض الأنف ١ : ٦٦ ، الشعر والشعراء : ٣٤٤ ، وغيرها .

( ٦ ) كر على العدو يكر : ردد عليه الهجمة مرة بعد مرة . وحدا الإبل يحدوها : ساقها وهو يغنى لها ، فيكون أنشط لسيرها .

قوله بَقَاَ : يريد بَقِيَ ، وفَنا : يريد فَنِيَ ، وهما لُغَتان لطيِّئ .[١] وقد تكلمت بهما العربُ ، وهُما فى لغة طيِّئٍ أكثرُ ، قال زُهَير بن أبى سُلْمى :[٢]

/ تَرَبَّعَ صَارَةً حَتَّى إذَا ما فَنَا الدُّحْلاَنُ عَنْهُ والإضَاءُ[٣]

أنشدَنيها يُونُس .[٤] وأنشدنى له عَبْد الله بن مَيْمون المُرِّىّ :[٥]

إذا ما المرءُ صَمَّ فَلَمْ يُنَاجَى وَأَوْدَى سَمْعُهُ إلاَّ نِدَايَا[٦]
وَلاَعَبَ بِالْعَشِىِّ بَنِى بَنِيهِ ، كَفِعْلِ الهِرِّ يَحْتَرِشُ العَظَايَا[٧]

---

( ١ ) لا أدرى لم ذكر « فنا » هنا إلا أن يكون استطراداً ، ولكنى أخشى أن يكون قال ذلك ، لأن رواية البيت : كما أنشده إياها يونس هى :

« هَلْ مابَقَا إلا كَمَا قَدْمَا فَنَا »

بيد أن رواية البيت فى سائر الكتب : « إلا كما قد فاتنا » .

( ٢ ) إلى هنا ينتهى نص المخطوطة حتى يبدأ فى فقرة رقم : ٤٩ . ومن هنا يبدأ الاعتماد على نسخة المدينة على صاحبها صلاة الله وسلامه .

( ٣ ) فى ديوانه : ٦٥ . والضمير فى البيت لحمار الوحش. تربع :أقام بها زمن الربيع. صارة : موضع . الدحلان جمع دحل : وهى شقوق فى الأرض عميقة ، يكون فى منتهاها ماء راكد ، وينبت فيها السدر والغضا وغيرها . والإضاء جمع أضاة ( مثل أكمة وإكام ) : الغدير .

( ٤ ) يعنى أبيات المستوغر الماضية .

( ٥ ) معجم الشعراء : ٢١٣ ، أمالى الشريف ١ : ٢٣٥ وفى حاشية أصلها : « قال : قرأت بخط عبدالسلام البصرى رحمه الله أن هذه القطعة ، لمشكلان بن كواهن الحميرى» ، حماسة البحترى: ٢٠٣ ، المخصص ٨ : ١٠٠ ، ١٥ : ١١٧ ، اللسان ( ثمن ) (جا ) الخصائص ١ : ٢٩٢ ، ٢ : ٣٧٦ ، سر صناعة الإعراب ١ : ١٨٣ ، ما يجوز للشاعر فى الضرورة : ١٥٨ ، مع اختلاف فى الرواية .

( ٦ ) السمع هنا : مصدر سمع سمعاً ، لا اسم الحاسة . ندايا : أراد نداءا ، فقلب الهمزة ياءاً . والنداء : الدعاء بأرفع الصوت وأعلاه . يصف ما بلغ من الكبر حتى ما يسمع الصوت إلا دعاء بأعلى صوت .

( ٧ ) حرش الضب واحترشه : أتى جحره فقعقع بعصاه أو بحجر ، فإذا سمع الصوت حسبه دابة تريد أن تدخل عليه ، فجاء يزحل على رجليه وعجزه ، متهيئاً للقتال ضارباً بذنبه ، فيناهزه =

يلاعِبُهم ، وَوَدُّوا لَوْ سَقَوْهُ  مِنَ الذِّيفانِ مُتْرَعَةً مِلاَيَا[١]

فلا ذَاقَ النَّعيمَ ولا شَراباً ،  ولا يُسْقَى مِنَ المرضِ الشِّفايَا[٢]

٤١ — ومنهم زُهَيْر بن جَنَاب الكَلْبِيُّ ، كان قديماً شريف الولَد، [٣] وطال عمره فقال : [٤]

---

= الرجل ، فيأخذ بذنبه ، فيشد عليه قبضته حتى مايستطيع أن يفلت . والعظايا والعظاء جمع عظاية : وهي المعروفة في مصر بالسحلية . ولا يريد أن فعله ببني بنيه كفعل الهر ، بل أراد العكس : أن بني بنيه يفعلون به فعل الهر في احتراش العظاء وصيدها ، يأتيها من هنا وهنا ، ويمسكها مرة ويرسلها أخرى . وهذه عادة الصغار بأجدادهم إذا عجزوا . وقد دخلت أعود شيخي رحمه الله — سيد بن علي المرصفي — وقد كسرت ساقه ، فلما رآني أنشدني هذه الأبيات . وذلك أنه كان على أريكة ، فجاء ابن ابنه الصغير ، فظل يعاكسه فانقلب فوقع على الأرض ، فأصيبت ساقه . وكان ذلك في آخر عمره ، تغمده الله برحمته . وكان ذلك أول سماعي للأبيات ، فقرأتها عليه .

( ١ ) يروى : « يفديهم وودوا . . . » . الذيفان : السم الناقع القاتل . مترعة : يعني كؤوساً مترعة . ملايا : ملاءاً فقلب الهمزة ياء ، كما فعل آنفاً .

( ٢ ) يروى : « فأبعده الإله ولا يؤبى » من أباه يؤبيه ، أي لا يقال له « بأبي أنت » تفدية له . ويروى « يبايا » : من بأبأه ، يبأبئه : قال له بأبي أنت . هذا دعاء عليه . والشفايا : الشفاء ، قلب الهمزة ياء أيضاً . ورأيت البحتري روى الأبيات مهموزة كلها . وفي معجم الشعراء بيت زائد ، مثله يأتي قبل البيت الأخير :

فذاكَ الهمُّ ليسَ له دَوَاءٌ  سِوَى الموْتِ المُنَطَّقِ بالمَنَايَا

« المنايا » : الأحداث وقدر الموت ، ومثله قول أبي ذؤيب :

مَنَايَا يُقَرِّبْنَ الحتوفَ لأَهْلِهَا  قَدِيماً وَيَسْتَمْتِعْنَ بالأَنَسِ الجَبْلِ . . .

فجعل المنايا تقرب الموت ، ولم يجعلها الموت . و« المنطق » : أحاطت به كإحاطة النطاق بالخصر ، ومثله قول الأعشى :

قطعتُ ، إذا جفَّ رَيعانُها ،  ونَطَّقَ بالهَوْلِ أَغْفَالَهَا

( ٣ ) كان زهير في زمن كليب وائل ، وكان سيد قومه وشريفهم وخطيبهم وشاعرهم ووافدهم إلى الملوك ، وطبيبهم ( والطب كان في ذلك الزمان شرفاً ) وحازي قومه ( والحزاة : الكهان ) ، وكان فارس قومه ، وله البيت فيهم ، والعدد منهم ، ويقال إنه سمي كاهناً لسداد رأيه : ولم تجتمع قضاعة إلا عليه وعلى رزاح بن ربيعة — أخي قصي بن كلاب من أمه : فاطمة بنت سعد بن سيل .

( ٤ ) الأغاني ١٩ : ٢٢ ( هيئة الكتاب ) و٣ : ١٢٨ ، أمالي الشريف ١ : ٢٤٠ ، معجم =

أَبَنِيَّ إِنْ أَهْلِكْ فَإِنِّي ... قَدْ بَنَيْتُ لَكُمْ بَنِيَّهْ (١)
وجَعَلْتُكُمْ أَبْنَاءَ سَا ... دَاتٍ زِنَادُكُمُ وَرِيَّهْ (٢)
مِنْ كُلِّ ما نَالَ الفتَى ... قَدْ نِلْتُهُ ، إلاَّ التَّحِيَّهْ (٣)
[ كم مِنْ مُحَيٍّ لا يُوَا ... زِيني ، ولا يَهَبُ الرَّعِيَّهْ (٤)
ولقد رأيتُ النارَ للسُّلاَّ ... فِ تُوقَدُ في طَمِيَّهْ (٥)
ولقد رحلتُ البازلَ ال ... وجْنَاءَ ليس لها وَلِيَّهْ (٦)

= ما استعجم : ٤٩ ، المعمرون : ٢٦ ، حماسة البحترى : ١٠١ ، المؤتلف : ١٣٠ ، الروض الأنف ١ : ٦٦ ، شرح التصحيف : ٤٢٧ ، المخصص : ١٢ : ١٨٩ ، ١٥ : ٨٧ ، الفاخر : ٢ ، تهذيب إصلاح المنطق ١ : ١٨٧ ، اللسان ( بجل ) ، مع اختلاف فى الروايات .

( ١ ) البنية : البناء ، يعنى بنية مجد .

( ٢ ) الزناد جمع زند : وهو العود الأعلى الذى تقدح به النار ، والسفلى زندة . يقال: زند وار، ووري: إذا كان سريع النار، يريد أنهم إذا راموا أمراً أنجحوا فيه وأدركوه بلا إبطاء، لشرفهم وعزمهم

( ٣ ) التحية : الملك . والتحية البقاء . قالوا : لم يرد إلا البقاء ، لأن زهيراً كان ملكاً فى قومه. وكذلك فسروها فى قولنا : « التحيات لله » البقاء لله . وحياك الله : أبقاك الله .

( ٤ ) هذه الأبيات الستة الآتية زدتها من كتاب المعمرين واللسان والأغانى ، لحسنها وفائدتها فى تمام معنى الشعر . محي : يعنى ملكاً يحيي . يوازيني : يساميني . والرعية : مايتولاه الراعى نعماً كانت أو ناساً . وإنما أراد هنا الإبل التى تمنح عطية .

( ٥ ) السلاف : جمع سالف : وهم المتقدمون فى السير . وطمية : رأس جبل منيع ، كان بمنزل زهير بن جناب . وهذا حديث يوم خزازى ، وذلك أن ملكاً من ملوك مذحج باليمن ، كانت فى يديه أسارى من ربيعة ومضر وقضاعة ، فاحتبسهم رهينة حتى يأتى قومهم إليه ليأخذ عليهم مواثيقهم بالطاعة ، وإلا قتلهم وحارب القوم . فبعث كليب وائل فى ربيعة فجمعهم ، ثم بعث على مقدمته السفاح التغلبى ، وأمره أن يوقد على خزازى ( جبل فى نجد ) ليهتدوا بناره ، فإن خشى العدو فليرفع نارين. وأقبل ملك مذحج ، ورأى كليب النارين ، فطار بالجموع فصبح جموع مذحج فاقتتلوا قتالا شديداً، فانهزمت مذحج وانفض جمعها . وهو اليوم الذى علت فية نزار على اليمن حتى جاء الإسلام . يذكر بهذا البيت قديم عهده فى الحروب .

( ٦ ) البازل من الإبل : الذى استكمل الثامنة وطعن فى التاسعة وبزل نابه، أى شق لحم منبته ، وذلك فى تمام قوته . والوجناء : الناقة الغليظة الصلبة ، من الوجين وهو سند الجبل. الولية: البرذعة تلى ظهر الناقة . يصف شدته وجلادته وصبره على المشقة فى ركوب الناقة بلا برذعة عند الشر والمخافة .

وَلَقَدْ غَدَوْتُ بِمُشْرِفِ الطَّرَفَيْنِ لَمْ يَغْمِزْ شَظِيَّهْ[١]
فَأَصَبْتُ مِنْ حُمُرِ القَنَا نِ مَعاً وَمِنْ حُمُرِ القَفِيَّهْ[٢]
وَنَطَقْتُ خُطْبَةَ مَاجِدٍ غَيْرِ الضَّعِيفِ وَلَا العَيِيَّهْ[٣] ]
وَالمَوْتُ خَيْرٌ لِلْفَتَى وَلْيَهْلِكَنْ وَبِهِ بَقِيَّهْ
مِنْ أَنْ يُرَى الشَّيْخَ البَجَا لَ، وَقَدْ يُهَادَى بِالعَشِيَّهْ[٤]

٤٢ — وقال جَذِيمة الأَبْرَش:[٥]

---

(١) مشرف الطرفين، يعني فرساً: مشرف العنق، مشرف الحجبتين، وهما رؤوس الوركين من أعاليهما. تمدح الخيل بذلك. غمزت الدابة تغمز غمزاً: ظلعت من قبل رجلها ظلعاً خفياً وهو عيب. والشظية: إبرة من العظم في وظيف الفرس لاصقة، فإذا تحركت وشخصت من موضعها ظلع الفرس. يتمدح بفرسه ووثاقة تركيبه، وبركوبه للصيد والغزو.

(٢) الحمر جمع حمار: يعني حمر الوحش. والقنان: جبل لبني أسد، ترتع به الحمر، يقول زهير يذكر حمار الوحش: ٦٦

تَرَبَّعَ بِالقَنَانِ وَكُلِّ فَجٍّ طَبَاهُ الرَّعْيُ مِنْهُ وَالخَلَاءُ

أما قفية، فلم أجده، وكأنه مكان أيضاً تهوي إليه حمر الوحش، و «القفية»: الناحية.

(٣) «الشيخ» الألف واللام زائدتان، دخلت على الحال: والمعنى: شيخاً بجالا، كقوله: «دمت الحميد»، أي حميداً. (همع الهوامع ١: ٨٠ وغيره). العي: خلاف البيان. عي في منطقه فهو عي وعيي، وزاد التاء للمبالغة، كما قالوا للرجل كريم وكريمة.

(٤) البجال: السيد له هيئة وسن وتبجيل. ويروى: «يقاد يهدى بالعشية»، وذلك أنه قد أسن، فإذا جاءت العشية حفوا به يسندونه حتى يؤوب إلى مثواه. يقول: خير للفتى أن يهلك وفيه بقية من شبابه، من أن يتمادى به العمر، حتى يكون تبجيل الناس له مذكراً بما فني من فتوته. ومشي الرجل يهادى بين رجلين: مشى بينهما معتمداً عليهما من ضعفه وتمايله.

(٥) ويقال له: جذيمة الوضاح، من قدماء ملوك العرب. خرج إلى اليمامة يغزو طسما وجديساً، فوجد حسان بن تبع أسعد أبي كرب قد أغار عليهم، فانكفأ راجعاً بمن معه، وتخلفت سرية من سراياه، فأتت عليها خيل تبع فاجتاحتها. فلما بلغ جذيمة الخبر قال هذه الأبيات. ورواها الطبري أحد عشر بيتاً ٢: ٢٩٠، ثم قال ابن الكلبي: ثلاثة أبيات منها حق، والباقي باطل.
وانظر الأغاني ١٤: ٢٧٣، نوادر أبي زيد: ٢١٠، الخزانة ٤: ٥٦٧، العيني ٣: ٣٤٤ سيبويه ٢: ١٥٣، اللسان (شمل) (فتى)، وقال أبو زيد: «ولا أعرف لجذيمة غير هذا الشعر» وكتاب اللامات للزجاجي: ١١٥، ١١٦.

رُبَّما أوفيتُ في عَلَمٍ ... تَرْفَعَنْ ثَوْبِي شَمالاتُ[١]
في فُتُوٍّ أنا رابِئُهم ... مِن كَلالِ غَزْوَةٍ ماتُوا[٢]
ليتَ شِعْرِي ما أماتَهُمُ ؟ ... نحنُ أدْلَجْنا وهُمْ باتُوا[٣]

---

(١) أوفى على الشيء : أشرف . والعلم : الجبل المرتفع . والشمالات ، جمع شمال : وهى ريح الشمال الباردة الشديدة الهبوب . ويقول النحاة : زاد النون فى « ترفعن » ضرورة . وأقول إنها لغة قديمة لم يجابها اضطرار . وقوله « فى علم » ، يذكر من حذره وشدته وحدة بصره وعلمه بمواضع المخافة ، أن أصحابه كانوا يكلون إليه حراستهم ، فهو يربأ لهم على جبل عال ، يصبر فى ليله على شدة هبوب الشمال وإطارتها أطراف ثيابه .

(٢) فتى وجمعه فتيان وفتية وفتو . والرابىء : الذى يعلو جبلا يرقب المخافة للقوم ، وهو الربيئة . وقوله : « ماتوا » ، أى سكنوا وسكنت أعضاؤهم من الإعياء . والموت السكون ، وكل ما سكن فقد مات ، يقال : ماتت الريح : سكنت . وروى الأصفهانى الشطر الثانى : « هم لدى العورة صمات » . يقول : هم عند مواضع العورات التى يخشى منها العدو يصمتون له الصوت ، حتى يأخذوه على غرة .

(٣) الإدلاج : سير الليل كله . يتعجب من تصاريف الأقدار . سار هو وأصحابه ليلا آمنين ، وهم باتوا يستريحون آمنين أيضاً ، فخالف الموت إليهم فاجتاحهم . ومثله فى التعجب بيت آخر رواه الطبرى والآمدى فى المؤتلف مع اختلاف الرواية ، وهو ثالث بيت عندهما وعند غيرهما :

ثُمَّ أُبْنا غانِمِينَ معًا ... وأناسٌ بعدَنا ماتُوا

والموت فى هذا البيت ، هو الموت نفسه اهذا ، وقد اختصر ما سلف كله صاحب كتاب الزينة (١ : ٨٩ ، ٩٠) ، فلما فرغ من أبيات جذيمة قال ما نصه :

« ولِلُجَيْمِ بن صَعْب، أبي : حنيفة وعِجْلٍ :

إذا قالتْ حَذامِ فصدِّقُوها ... فإنَّ القَوْلَ ماقالتْ حَذامِ

ولِمَعْدِي كَرِبَ الحِمْيَرِيّ من آل ذِي رُعَيْنٍ ، وكانَ قد عُمِّر :

أرَانِي كُلَّما أفْنَيْتُ يَوْمًا ... أتانِي بَعْدَهُ يَوْمٌ جَدِيدُ
يَعُودُ شَبابُهُ في كُلِّ يَوْمٍ ... ويَأْبَى لِي شَبابِي ما يَعُودُ

فهذا هو الشعر القديم ، على مارواه ابن سلاَّم »

٤٣ — وقال امرؤ القيس :

عُوجَا على الطَّلَلِ المُحِيلِ لَعَلَّنا      تَبكِى الدِّيارَ كما بَكَى ابنُ حِذامِ[1]

وهو رجل من طيِّئ لم نَسْمَع شعرَه الذى بَكَى فيه ، ولا شِعْرًا غيرَ هذا البيت الذى ذكره امرؤ القيس .

* * *

٤٤ — وكان أوّلَ من قَصَّد القَصائد وذَكَرَ الوقائع ، المُهَلْهِلُ بنُ ربيعة التَّغلَبِىُّ فى قتل أخيه كُلَيْبِ وائلٍ ، قتلته بنو شيبان ، وكان اسم المهلهلِ عَدِيًّا ،[2] وإنما سُمِّى مُهَلْهِلاً لِهَلْهَلَةِ شِعْرِه كهلهلة الثوب ، وهو اضطرابُه واختلافُه ،[3] ومن ذلك قولُ النابغة :[4]

أتاكَ بقولٍ هَلْهَلِ النَّسْجِ كاذِبٍ      [ولم يَأْتِ بالحقِّ الذى هُوَ نَاصِعُ]

---

( ١ ) ديوانه : ١١٤ ، يروى « ابن حمام » و « ابن خذام » ، المؤتلف : ١١ ، ١٢٩ ، والعمدة ١ : ٧٠ ، والشعر والشعراء : ١٧ ، وفصل طويل فى تحقيق هـذا الاسم فى شرح التصحيف : ٢١٠ — ٢١٣ ، ٤٢٩ ، ونقل فيه نص ابن سلام . والحيوان ٢ : ١٣٩ ، ١٤٠ . وأحالت الدار : أتى عليها حول أو أحوال وقد غاب عنها أهلها ، فهى محيلة ، مهجورة متغيرة .

( ٢ ) يقال اسمه « امرؤ القيس » ، انظر المؤتلف : ١١١ ، ومعجم الشعراء : ٢٤٨ ، والمزهر ٤ : ٤٣٤ عن ابن سلام ، والعمدة ١ : ٦٩ ، والنقائض : ٩٠٥ .

( ٣ ) فى النقائض : « وإنما سمى مهلهلا ، لأنه هلهل الشعر ، يعنى : سلسل بناءه ، كما يقال : ثوب مهلهل ، إذا كان خفيفاً » ، وهـذا نص جيد جدا . وانظر أيضاً تفسير ابن الأعرابى ، فى الموشح : ٧٤ .

( ٤ ) ديوانه : ٤٩ ، فى قصيدته إلى النعمان ، وقد وشى به بنو قريع بن عوف ، يتبرأ مما كذبوا عليه

وزعمت العربُ أنه كان يدّعى فى شعره ، ويتكثّر فى قوله بأكثر من فعله .(١)

(٤٥) — وكان شُعَراء الجاهلية فى ربيعةَ : أوَّلُهم المُهَلْهِل ،(٢) والمرقِّشَان ،(٣) وسَعدُ بن مالك ،(٤) وطَرَفةُ بن العَبْد ، وعمرو بن قَمِيئَة ، والحارث بن حِلِّزَةَ ، والمتلمِّس،(٥) والأعشى ،(٦) والمُسَيَّبُ بن عَلَس .

— ثم تحول [الشعرُ] فى قيسٍ ، فمنهم : النابغةُ الذبيانى — وهم يَعُدُّون زهيرَ بن أبى سُلْمَى من عبدالله بن غطفان ، وابنَهُ كعباً — ولَبيدٌ ، والنابغةُ الجَعْدِىّ ، والحُطَيْئَة ، والشَّماخ ، و[أخوه] مُزَرِّد ، وخِداش بن زُهَير ، ثم آل ذلك إلى تميم ، فلم يزلْ فيهم إلى اليوم .(٧)

---

(١) نقل هذا المرزبانى فى الموشح : ٧٤ ، واعتمدت لفظه فى آخر النص ، وكان فيه : « أنه كان يتكثر ويدعى فى قوله بأكثر من فعله » ، كما فى الخزانة ١ : ٣٠٠ . والمزهر ٢ : ٤٧٦ .

(٢) [ وهو خال امرىء القيس بن حجر الكندى ، وجد عمرو بن كلثوم الشاعر ، أبو أمه ] العمدة ١ : ٧٠ ، وانظر النقائض : ٩٠٥ ، والأغانى ٩ : ٧٧ .

(٣) [ والأكبر منهما عم الأصغر ، والأصغر عم طرفة بن العبد ، واسم الأكبر : عوف بن سعد ، وعمرو بن قميئة ابن أخيه ، ويقال إنه أخوه — واسم الأصغر : عمرو بن حرملة : وقيل : ربيعة بن سفيان ، وهذا أعرف ] ، العمدة ١ : ٧٠ .

(٤) [ الذى يقول :

يا بُؤْسَ للحربِ الــتى      وضَعَتْ أراهِطَ فاستراحُوا

ولا أدرى هل هو أبو عمرو بن قميئة الشاعر ، والمرقش الأكبر أم لا؟] العمدة ١ : ٧٠

(٥) [وهو خال طرفة . واسمه جرير بن عبد المسيح ]، العمدة ١ : ٧٠ .

(٦) [ واسمه : ميمون بن قيس بن جندل — وخاله المسيب بن علس ، واسم المسيب : زهير] العمدة ١ : ٧٠ ، ٧١ . وهذه الزيادات كلها زادها صاحب العمدة ، تتخلل ما رواه عن محمد بن سلام ، فأثبتها لذلك . ثم انظر أيضاً المزهر ٢ ٤٧٦ ، ٤٧٧ وهو نص ابن سلام أيضاً .

(٧) بعد هذا فى العمدة ، والمزهر تتمة

— كان امرؤ القيس بن حُجْرٍ بعد مُهَلْهِلٍ ، ومَهَلهِلٌ خالُه ، وطرَفَةُ وعَبِيدٌ وعمرو بن قَمِيئَةَ والمتلمِّس ، في عصرٍ واحدٍ .

٤٦ — (١) فكان من الشعراء من يتألَّه في جاهليته ويَتعفَّفُ في شعره ، (٢) ولا يَستَبْهِر بالفواحش ، ولا يتهكَّمُ في الهجاء — [ يقال : يتهكَّمُ ويتكهَّم . قال الفضل (٣) : ويقال : ليلة بُهْرَةٌ ، إذا كان قمرُها مضيئاً ] (٤) — ومنهم من كان يَنْعَى على نَفسِه ويتعهَّرُ . (٥) منهم امرؤ القيس ، [ قال :

= [ ومنهم كان أوس بن حجر ، شاعر مُضَر في الجاهلية . لم يتقدمه أحدٌ منهم حتى نشأ النابغة وزهير فأخملاهُ ، وبقى شاعر تميم في الجاهلية غير مدافع . وكان الأصمعي يقول : أوس ، أشعر من زهير ، ولكنّ النابغة طأطأ منه . وكان زهير راوية أوس ، وكان أوس زوجَ أم زهير ] ، فلا أدرى أكان من نص الطبقات أم لا ؟

( ١ ) هذه الفقرة بتمامها رواها المرزبانى فى الموشح : ١١٣ ، ١٤٤ ، ومخطوطة المدينة مختصرة فيما أرجح ، بدليل ما ذكره ابن قتيبة فى الشعر والشعراء : ٥٧ ، ثم ما رواه أبو الفرج فى أغانيه ١٦ : ٦٫ ١٦ ، ١٦٦ ، ولذلك أثبت هنا نص الموشح ، مع زيادته بين الأقواس . واذكر أن هنا ورقة ناقصة من مخطوطتنا التى اعتمدناها ، وهذا القدر الذى أثبته يكاد يطابق مقدار الخرم .

(٢) تأله : تنسك وتعبد .

( ٣ ) « الفضل » هو أبو خليفة الفضل بن الحباب ، راوى الطبقات عن ابن سلام ، وانظر ما سلف رقم : ٢٢ ، تعليق رقم ١ :

(٤) تكهم وتهكم فى الشىء : تعرض له واقتحمه . بهر القمر النجوم غمرها بضوئه ، فسميت الليلة السابعة والثامنة والتاسعة الليالى البهر ( بسكون الهاء وفتحها ) ، ومنه بهر المرأة ببهتان : قذفها بريب وهى بريئة . ومنه حديث عمر أنه رفع إليه غلام ابتهر جارية فى شعره ، فقال : انظروا إليه . فلم يوجد أنبت ، فدرأ عنه الحد . أى قذفها بنفسه وهو كاذب . ومنه حديث العوام : « الابتهار بالذنب أعظم من ركوبه » . وقال أبو الفرج فى الأغانى ١ : ١١٨ ، « الابتيار : أن يفعل الإنسان الشىء فيذكره ويفخر به . والابتهار : أن يقول مالم يفعل » ، واستبهر بالفواحش : تبجح بذكرها وفضح ما حقه أن يكتم . ولم أجد استبهر فى المعاجم ، ولكنها عربية متمكنة .

( ٥ ) فى اللسان (نعى ) : « فلان ينعى على نفسه بالفواحش : إذا شهر نفسه بتعاطى الفواحش ، وكان امرؤ القيس من الشعراء الذين نعوا أنفسهم بالفواحش وأظهروا التعهر ، وكان الفرزدق فعولا

وَمِثلِكِ حُبْلى قد طَرَقتُ ومُرضِعٍ ... فَألهيتُها عن ذى تمائمَ مُحْوِلِ (١)

وقال :

دَخَلتُ وقَدْ ألقت لِنَوْمٍ ثِيابَها ... لَدَى السِّترِ ، إلاَّ لِبْسَةَ المُتَفَضِّلِ (٢)

وقال :

سَمَوْتُ إليها بَعْدَ ما نامَ أهْلُها ... سُمُوَّ حَبابِ الماءِ حَالاً على حَالِ (٣)

٤٧ — ومنهم الأعشى ، قال :

فَظَلِلتُ أرْعاها وظَلَّ يَحوطُها ، ... حتى دَنَوْتُ إذِ الظَّلامُ دَنا لَها (٤)

---

لذلك » . ونص الموشح : « ومنهم من كان يتعهر ولا يبقى على نفسه ولا يتستر » وأظن أن «ولا يبقى على نفسه » من عمل ناسخ أو من مصحح الكتاب ، والصواب « ويبقى على نفسه » . ومن عند هذا الموضع نقلت نص الموشح إلى آخر رقم : ٤٨ ، وكان فى الأصلين : [ منهم امرؤ القيس والأعشى ، وكان الفرزدق أقول أهل الإسلام فى هذا الفن ، وكان جرير ] ، آخر : ٤٨ .

( ١ ) من معلقته : وانظر روايته فى سيبويه ١ : ٢٩٤ . وسياق الشعر « فمثلك » . طرق النوم يطرقهم : جاءهم ليلا . ذى تمائم : صبى ذى تعاويذ تقيه العين والنشر . ومحول ومحيل : صغير أتى عليه الحول أو لم يأت .

( ٢ ) من معلقته أيضاً . الفضال والفضل: ثوب واحد يلبس فى البيت للنوم أو للمهنة والعمل. وتفضلت المرأة فى بيتها ، فعلت ذلك ، فهى فضل ورجل فضل ( بضمتين ) ، ومتفضل ومتفضلة .

( ٣ ) ديوانه : ٣١ . لا أحسبه أفحش فى هذا البيت، كما أفحش فى السالفين، فإنه أراد أن يصف خفة وطئه وإخفاءه حركته ، حتى لا يشعر به . وليس فى هذا إقذاع مستعلن ، إلا أن يكون ابتهاراً وادعاءاً .

( ٤ ) ديوانه : ٢٣ ، الضمير إلى « شاة محاذر » فى البيت السابق ، يعنى امرأة لها زوج غيور يحاذر عليها . أرعاها : أرقبها بعين لا تغفل . « إذ الظلام دنا لها » ! ما أقدره على البيان ! ثم :

فرمَيْتُ غَفْلَةَ عَيْنِهِ عن شَاتِهِ ... فأصَبْتُ حَبَّةَ قلبِها وطِحَالَها

بيت لا يتم المعنى إلا به .

وقال :

وأُقْرِرْتُ عَيْنِي مِنَ الغانيا تِ ، إمّا نِكاحًا وإمّا أُزَنْ[١]

وقال :

وقد أُخْرِجُ الكاعِبَ المُسْتَرا ةَ مِنْ خِدْرِها ، وأُشِيعُ القِمارَا[٢]

وقال :

ورَادِعَةٍ بالطِّيبِ صَفْراءَ عِنْدَنا ، لِجَسِّ النَّدامَى في يَدِ الدِّرْعِ مَفْتَقُ[٣]

وقال :

وقَدْ أُخالِسُ رَبَّ البيتِ غَفْلَتَهُ ، وقد يُحاذِرُ مِنّي ، ثُمَّ ما يَئِلُ[٤]

---

( ١ ) ديوانه : ١٥ . أزننته بأمر : اتهمته به . يقول : إما زواجاً وإما فعلا خبيثاً يوجب التهمة والريبة .

( ٢ ) ديوانه : ٣٥ : استرى الشيء ، اختار سريه وشريفه . المستراة : الشريفة التي آثرها أهلها للنعمة والترف والكرامة ، فهي عزيزة ممنعة. قال الطبري في تفسيره ١ : ٣١٣ : « العرب تقول : اشتريت كذا على كذا ، واستريته ، يعنون اخترته عليه » ، وذكر البيت . وأشاع المال بين القوم — أو القدر بين الحي : فرقه فيهم . والقمار ، مصدر قامره قماراً : راهنه، وأراد لعب الميسر على الجزر . وكأنه عنى بالقمار هنا : ما يحرزه من نصيب الفائز في الميسر ، يفرقه في الناس . وفي المخصص ١٣ : ٧٠ « وأشيع الفخارا » .

( ٣ ) ديوانه : ١٤٧ ، يذكر مغنية صرح بذكرها في البيت التالي :

إذا قُلْتُ : غَنِّي الشَّرْبَ! قامت بِمِزْهَرٍ يكادُ ، إذا دارَتْ لَهُ الكَفُّ ، يَنْطِقُ

ورادعة : ردعت صدرها ومقاديم جيبها بالزعفران ، حتى يصفر ويبرق . والزعفران طيب ولون . ودرع المرأة قميصها . مفتق : مكان فتق مشقوق .

( ٤ ) وأل يئل : التجأ إلى منجأ نجا . وأراد هنا : النجاة وحسب .

٤٨ — وكان الفَرَزْدَقُ أقْوَلَ أهلِ الإسْلام فِي هذَا الفَنِّ قالَ :

هُمَا دَلَّتَانِي مِن ثَمَانِينَ قامةً ... كما انْقَضَّ بَازٍ أقْتَمُ الرِّيشِ كاسِرُهْ[1]

فلمَّا استوَتْ رِجْلايَ فى الأَرضِ نادَتَا: ... أَحَيًّا يُرَجَّى ، أم قتيلاً نُحاذِرُهْ؟[2]

فقلتُ: ارْفَعُوا الأسبابَ لا يَفْطَنوا بنا! ... وَوَلَّيْتُ فى أعْجازِ لَيْلٍ أُبادِرُهْ[3]

وَأَصْبحتُ فى القومِ الجُلُوسِ، وأصبحتْ ... مُغَلَّقَةً دُونِى عليها دَسَاكِرُهْ[4]

قالها وهو بالمدينة ، فأنكرت ذلك قريش، وأزعجه مروان بن الحكم وهو والٍ على المدينة ، فأجَّلَه ثلاثاً ، ثمَّ أخرجهُ عنها .

— قال ، وقال يونس : كان للفرزدق غلامان ، أحدُهما اسْمُه وَقَّاعٌ والآخر نُقْطة ، [5] ولوَقَّاع يقول الفرزدق :

تَغَلْغَلَ وَقَّاعٌ إليها ، فأصبحتْ ... تَخُوضُ خُدارِيًّا من اللَّيلِ أخضرا[6]

---

(١) ديوانه ٢٥٩ — ٢٦١ مع اختلاف ظاهر فى الترتيب . صقور الصيد ضربان : صقر وباز ، فالصقور : سود العيون ، محددة الرؤوس طوال الأجنحة قصار الأرجل . والبزاة ( جمع باز ) : حمر العيون أو زرقها أو صفرها ، مدورة الرؤوس قصار الأجنحة طوال الأرجل حجن المناقير . أقتم الريش : في ريشه حمرة ضاربة فى السواد . والكاسر : الذى كسر جناحيه ، أى ضمهما ضما يسيراً وهو يريد الوقوع والانقضاض .

(٢) يروى : « قالتا : أحى . . . أم قتيل » . والنصب أجود .

(٣) الأسباب ( جمع سبب) : وهى الحبال التى تدلى عليها . وأعجاز الليل : أواخره ؛ يبادر الليل قبل أن ينشق فجره .

(٤) الدساكر جمع دسكرة : بناء كالقصر حوله منازل للخدم والحشم، و بيوت للهو والشراب.

(٥) نقطة : اسم من أسمائهم . وفى الأغانى والموشح : « زنقطة » ، ولم أدر ما صوابه هنا ، ولكن رأيت فى الأغانى ١٠ : ١٠٦ ، ١٣٢ ، ١٣٣ غلاماً لأحمد بن أبى دؤاد اسمه « زنقطة » أيضاً.

(٦) ديوانه : ٤٣٧ ، وهى أيضاً من جيد الشعر الخبيث . وقبل هذا البيت وهو أولها :

وآلفِةٍ بَرْدَ الحِجال احتَوَيْتُها ... وقد نَام من يَخْشَى عليها وأسْحَرا

تغلغل : دخل إليها رفيقاً حذراً خفى السعى فى سرحجابها ، كما يتغلغل الماء فى أصول الشجر المتشابك . الخدارى : المظلم الشديد السواد ، يعنى ظلم الليل . الأخضر : الأسود الذى لا يتبين .

لِطيفٌ،إذا ما انغَلَّ أدركَ ما ابتغَى ، إذا هُوَ للظَّبْيِ الغَرِيرِ تقتَّرا (١)

وقال أيضاً :

فأَبْلَغهُنَّ وَحْىَ القَوْلِ عَنِّى وأَدخلَ رأسَهُ تحتَ القِرامِ (٢)
أُسَيِّدُ ذو خُرَيِّطةٍ نهاراً ، من المُتَلَقِّطِي قَرَدِ القُمامِ (٣)
فقلنَ له : نواعِدُكَ الثُّرَيَّا ! وذاكَ إليهِ مُجْتَمَعُ الزِّحامِ (٤)
ثلاثٌ واثنتانِ ، فهُنَّ خمسٌ ، وسَادسةٌ تَمِيلُ إلى الشِّمامِ

الشِّمامُ : المشامَّةُ . (٥)

---

( ١ ) لطيف : رفيق حسن التأتى . انغل : نفذ حتى بلغ غايته . وأما الشطر الثانى فاختلفت الرواية فيه . رواه صاحب الأغانى « إذا هو للظبي المروع نفرا » . ورواية الديوان « إذا هو للطنء المخوف تقترا » ، وهى أعدل الروايات . والطنء (بكسر فسكون) : الريبة والفجور . وتقتر للشىء : تهيأ له ليختله ويتمكن منه . وذلك أشبه بسياق الشعر .

( ٢ ) ديوانه : ٨٣٥ ، وهى أجود وأخبث . وحى القول : الكلام الخفى يلقى على عجلة، بصوت خفيض يخفى على غير متلقيه . والقرام : ستر رقيق ملون فيه رقم ونقوش .

( ٣ ) انظر سيبويه ١ : ٩٥ ، والخصائص ١ : ١٠٦ . أسيد : تصغير أسود يعنى غلامه وقاعاً . خريطة : تصغير خريطة ، وهى شىء كالكيس يكون من الخرق والأدم . القمام جمع قمامة : وهى كناسة البيت وما كسح منه فألقى بعضه على بعض . والقرد : نفاية الصوف ، ثم استعمل فى سواه من وبر وشعر وكتان . وقال ابن سيده : « إنه عنى سرداء ، وقال من المتلقطى قرد القمام ليثبت أنها امرأة ، لأنه لا يتتبع قرد القمام إلا النساء ، لأنه لو قال « أسيد ذو خريطة . . » ولم يتبعه ما بعده ، لظن رجلا ، فكان ذلك عاراً بالفرزدق وبالنساء ، أعنى أن يدخل رأسه تحت القرام أسود ، فانتفى من هذا وبرأ النساء منه بأن قال : من المتلقطى قرد القمام » ( اللسان : قرد ) . وإنه لتكلف غالب . بل أراد الفرزدق أن يدل على أن رسوله غلام أسود صغير بعد ، خليق أن يتولى للإماء عملهن فلا يؤبه له ولا يتهم على فعله هذا وهو يتلقط النفايات . انظر الأشباه والنظائر للخالديين ١ : ٥٧ ، ٥٨ .

( ٤ ) يعنى نواعدك اعتراض الثريا فى جوف الليل . ومجتمع الزحام : اجتماعهن ، كما عدد بعد .

( ٥ ) وهو التقبيل والرشف ، ويقول الراجز ( المخصص ٢ : ٤٠ ) :

جَارِيَةٌ أعظمُها أجَمُّها بائِنةُ الرِّجْلِ فما تَضُمُّها
قد سَمَّنتْها بالجَرِيشِ أُمُّها فهى تَمَنَّى عَزَباً يَشُمُّها =

فَبِتْنَ بِجَانِبيَّ مُصَرَّعاتٍ ، وبِتُّ أَفُضُّ أَغْلاَقَ الخِتَامِ ][1]

* * *

— وكان جريرٌ مع إفراطِهِ في الهجاء ، يعِفُّ عن ذِكْر النساء ، كان لا يُشَبِّبُ إلا بامرأةٍ يملكُها .

* * *

(٤٤) — [2] قال ابن سلَّام : فلما راجعتِ العربُ رِوايةَ الشعر ، وذِكْرَ أيامها ومآثِرِها ، استقلَّ بعضُ العشائرِ شِعْرَ شُعَرائهم ، /[3] وما ذهَبَ من ذِكْرِ وقائعهم . وكانَ قومٌ قلَّت وَقائعُهم وأشعارُهم ، فأرادُوا أنْ يلحَقوا بمَنْ له الوقائع والأشعار ، فقالوا على ألسنةِ شُعرائهم . ثم كانت الرُّواةُ بعدُ ، فزادوا في الأشعار التي قيلت . وليس يُشْكِل على أهل العلم زيادةُ الرواةِ ولا ما وَضَعوا ، ولا ما وضع المولَّدون ، وإنما عَضَّلَ بهم

---

= أي يقبلها ويرشفها . وكتب اللغة لم تحسن شرح « الشم » . وهذه السادسة التي ذكرها هي خاصته وحده التي استأثر بها .

(١) بين هذا البيت والذي قبله شعر جيد كثير ، يراجع في ديوانه . قال الفارسي : « أراد : ختام الأغلاق » فقلب . و « الأغلاق » جمع « غلق » ( بفتحتين ) وهو ما يغلق به الباب . والختام والخاتم ، واحد ، وهو من « الختم » ، وهو التغطية على الشيء ، والاستيثاق من أن لا يدخله شيء . وإنما عنى الفرزدق ما عنى من فحشه ، وكأنه أقر بالفاحشة ، انظر شرح نهج البلاغة ١ : ٤٢٨ ، مع خطأ فيه ، والمستقصى ١ : ٢٠٤ ، واللسان ( غلق ) ( ختم ) .
وعند هذا الموضع انتهت الزيادة التي رواها المرزباني ، كما سلف ص : ٤١ ، تعليق رقم : ١

(٢) رجع إلى ما مضى في الفقرة : ٣٢ ، كعادته في الاستطراد . ونقل السيوطي في المزهر ١ : ١٧٤ — ١٧٦ هذه الفقرات الآتية : ٤٤ — ٥٤ .

(٣) إلى هنا انتهى الخرم الذي بدأ في الفقرة : ٤٠ ، ومن هنا يبدأ اعتمادنا على مخطوطتنا دون مخطوطة المدينة .

أن يقولَ الرجلُ من أهل البادية من وَلَدِ الشُّعراء ، [1] أو الرجلُ ليسَ من وَلَدِهم ، فيُشْكِل ذلك بعض الإشكال .

٥ — قال ابن سَلَّام : أخبرنى أبو عبيدة أنّ ابنَ داوُود بن مُتَمِّم بن نُوَيْرة ، [2] قَدِم البَصْرةَ فى بعض ما يَقْدَم له البدوىُّ من الجَلَبِ والمِيرَة ، فنزلَ النَّحيت ، [3] فأتيتُه أنا وابنُ نُوحٍ العُطَاردىّ ، [4] فسألناه عن شعر أبيه متمِّم ، [5] وقمنا له بحاجَتِهِ وكَفَيناه ضَيْعَتَه ، [6] فلما نَفِدَ شعرُ أبيه ،

---

( ١ ) عضل به الأمر وأعضل به وأعضله : اشتد واستغلق وضاقت به الحيل ، فهو معضل لايهتدى لوجهه .

( ٢ ) قال ابن حزم فى الجمهرة : ٢١٣ « ولمتمم ابن شاعر اسمه داود بن متمم » ، وفى بعض النسخ « داءود بن متمم » تحذف ابن وهو خطأ ، فلا شك أن داود بن متمم هذا ، لم يدركه أبو عبيدة ، ولداود بن متمم بيت فى النقائض : ٣١٦ ، ولمتمم ابن آخر اسمه إبراهيم بن متمم كان متمم يكنى به أبا إبراهيم ، وله شعر فى أنساب الأشراف ٢/٤ : ١٣٠ ، وله خبر فى الموشح : ٢٤٠ ، وانظر معجم الشعراء : ٤٦٦ ، والشعر والشعراء : ٢٩٨ .

( ٣ ) الجلب : ما يأتى به البدوى من الإبل والغنم ليبيعه فى الأمصار . والميرة : الطعام ، ويعنى هنا ما يأتى له البدوى ليمتاره من طعام المصر . و « النحيت » ، من قرى البصرة الصغيرة الدانية ، ذكرها البكرى فى معجمه ( ١٢٢٨ ) ومواضع أخرى ، وذكرها ابن دريد فى مقصورته ( ١٠٤ ) :

سَقَى العقِيقَ فالحزيزَ فالمَلَا · إلى النَّحيتِ فالقُرَيَّاتِ الدُّنَا

والعقيق والحزيز والملا والنحيت : مواضع بالبصرة ونواحيها . وانظر ما سيأتى رقم : ٥٤٩ « حزيرة البصرة » .

( ٤ ) « ابن نوح العطاردى » ، جاء ذكره فى خبر فى الأغانى ( ٢٠ : ٣٥٤ ) ، خرج هو ويونس ، ولقيا رؤبة ، وسماه فى أول الخبر « إبراهيم بن محمد العطاردى » ثم ذكره فقال : « ابن نوح » فى خلال الخبر . ولا أدرى ما هذا ؟ وسأذكر هذا الخبر فى ترجمة رؤبة ، فاطلبه فى الفهارس .

( ٥ ) شعر أبيه : يعنى جده ، كما أسلفت فى التعليق رقم : ٢ .

( ٦ ) الضيعة هنا : الكسب والتجارة . وضيعة الرجل : حرفته وصناعته . والضيعة : العقار والأرض المغلة .

جعلَ يزيدُ فى الأشعارِ ويصنَعُها لنا ، وإذا كلامٌ دون كلامِ مُتَمِّم ، وإذا هو يحتَذِى على كلامه ، فيذكُر المواضعَ التى ذكرها متمِّم ، والوقائع التى شَهِدها . فلما توالَى ذلك علمنا أنه يَفتَعِلُه .

* * *

(٥١) — وكان أوّلَ من جَمَع أشعارَ العرب وساقَ أحادِيثها : حمّادٌ الرّاوِيةُ ، وكانَ غيرَ موثوقٍ به ، وكان ينحَل شِعْرَ الرجُلِ غَيرَه ، ويَنْحله غيرَ شعره ،[1] ويزيدُ فى الأشعار .

٥٢ — [2]قال ابن سلام ، أخبرنى أبو عبيدة ، عن يونس ، قال : قَدِمَ حمّادٌ البَصرَةَ على بلال بن أبى بُرْدَة وهو عليها ، فقال : أمَا أطرَفْتَنِى شيئاً ! فعادَ إليه فأنشدَه القصيدةَ التى فى شعر الحطيئة مديحَ أبى موسى ، قال : ويحك ! يمدحُ الحطيئةُ أبا مُوسى لا أعلم به ، وأنا أروى شعرَ الحطيئة ؟ ! ولكن دَعْها تذهبْ فى النّاس .

٥٣ — قال ابن سلام ، أخبرنى أبو عبيدة ، عن عمر بن سعيد بن وهب الثقفىّ قال : كان حمادٌ لى صديقاً مُلْطِفاً ، فعَرَضَ علىّ ما قِبَلَه يومًا ،[3]

---

( ١ ) نحله القول ينحله : نسبه إليه وهو من قول غيره . وانتحل هو القول : ادعاه لنفسه .

( ٢ ) هذا الخبر ، رواه أبو الفرج فى الأغانى بنصه هنا ١٢ : ١٤٠ ، ورواه أيضا بزيادة بعض أبيات قصيدة الحطيئة ( ديوانه : ٢٢٥ — ٢٣٢ ) فى ٢ : ١٧٥ ، ١٧٦ ، ورواه من غير طريق ابن سلام ، بمعناه ٦ : ٨٨

( ٣ ) ما قبله : أى ما عنده ، من الشعر . الملطف من اللطف وهو البر والتكرمة ، وألطفه . كرمه فأتحفه بخير ما عنده

فقلتُ له : أَمْلِ عليّ قصيدةً لأخوالى بنى سعد بن مالك ، لطَرَفة ، فأملى عليّ :[١]

إنّ الخَليطَ أَجَدَّ مُنْتَقَلَهْ ولِذاكَ زُمَّتْ غُدْوَةً إِبلُهْ[٢]

عَهْدِى بِهم في النَّقْبِ قَدْ سَنَدُوا تَهْدِى صِعابَ مَطِيِّهِم ذُلُلُهْ[٣]

وهي لأعشى هَمْدان .[٤]

٥٤ — وسمعت يونس يقول : العَجَبُ مِمَّن يأْخُذ عن حمّادٍ ، وكان يكذب ويلحَنُ ويَكْسِرُ .

٭ ٭ ٭

٥٥ — ثم إنّا اقتصرنا ـ بَعْدَ الفَحْص والنَّظَر والرِّواية عَمَّن مَضى

(١) لم أعرف عمر بن سعيد بن وهب ، ولا من أخواله من بني سعد بن مالك . وفى المزهر : «عمرو بن سعيد» ، وقال « فأملى على لطرفة » وطرفة بن العبد من بنى سعد بن مالك بن ضبيعة ، وقد ألحق هذان البيتان بديوان طرفة ، وشعر أعشى همدان ، نقلا عن المزهر ، وانظر المؤتلف : ١٤ ، ونثوار المحاضرة ١ : ١٠١ ، ورواية العجز :

٭ ولوَشْكِ بينٍ حُمِّلَتْ إِبِلُهْ ٭

(٢) الخليط : القوم المختلطون ، وكانت العرب تجتمع فى أيام الكلأ قبائل شتى فى مكان واحد ، فتقع بينهم الألفة ، فإذا حان رجوعهم إلى أوطانهم فافترقوا ، ساءهم ذلك . وأجد : صار إلى الجد والاجتهاد . ومنتقله : انتقاله ورحيله . وزم الناقة : علق عليها زمامها لأهبة الرحيل .

(٣) النقب : الطريق بين الجبلين . وسند فى الجبل يسند وأسند : صعد فيه ليرقاه . الذلل جمع ذلول ، وهو اللين من الدواب السهل القياد الرفيق السير .

(٤) هذا الخبر غير موجود فى «م» ، وهذا دال على أن هذه النسخة مختصرة الرواية ، كما مر وكما سيمر بنا كثيراً فى خلال نص الطبقات . ونسخة المدينة هى التى طبع عنها ماطبع من الطبقات فى أوربة ومصر .

من أهلِ العلم – إلى رَهْطٍ أربعةٍ ،[١] اجتمعوا على أنهم أشعرُ العربِ طبقةً ،[٢] ثم اختلفوا فيهم بَعْدُ . وسنسوقُ اخْتلافَهم واتفاقهم ، ونسمِّى الأربعةَ ، ونذكرُ الحجَّة لكُلِّ واحدٍ منهم – وليسَ تَبْدِئَتُنا أحدَهُمْ فى الكِتاب نَحكُمُ له ،[٣] ولا بُدَّ من مُبْتَدَأٍ – ونذكرُ من شِعْرِهم الأبياتِ التى تكونُ فى الحديثِ والمعنَى .

---

( ١ ) استعمل ابن سلام « اقتصر الى كذا » بمعنى انتهى إليه . وهو صحيح فى القياس والعربية ، من قولهم : قصرك أن تفعل كذا وقصاراك : غايتك وآخر أمرك . يقول : انتهينا بعد الفحص ... الى رهط أربعة .

( ٢ ) هذا موضع تغيير ثان ، ارتكبه قارىء نسخة المدينة ، كما سلف فى آخر رقم : ٣١ ، بأن وضع بين « أربعة » و « واجتمعوا » علامة تخريج فى الهامش وكتب بخطه زيادة : « من فحول شعراء الإسلام » ، ثم ضرب بعد ذلك على لفظ « العرب » من قوله « أشعر العرب » ، وكتب فوقها « الإسلاميين » ، وعلى هذا التغير القبيح المفسد ، طبع ما طبع من الطبقات فى أوربة ومصر . وانظر مقدمة هذا الكتاب .

( ٣ ) بدأه تبدئة : مثل قدمه تقدمة ، وزناً ومعنى . ومنه الحديث : « الخيل مبدأة يوم الورد » أى مقدمة يبدأ بها فى السقى قبل الغنم والإبل . وتحذف الهمزة فتصير « مبداة » و « بداها » . وهى لاتزال باقيه كذلك فى عاميتنا .

# طبقات فحول الشعراء الجاهليين

# الطَّبقةُ الأُولى

٥٦ — امرؤ القيْس بن حُجْر بن الحارث بن عَمْرو بن حُجْرٍ آكلِ المُرَارِ بن عَمْرو بن مُعاوية بن يَعْرُب [بن ثَوْر] بن مُرَتِّع بن مُعاوِية ابن كِنْدة.[1]

٥٧ — ونابغةُ بنى ذُبْيان، واسمه زِيادُ بنُ معاويةَ بن ضِبَاب بن جابر ابن يَرْبوع بن غَيْظ بن مُرّة بن عَوْف بن سَعْد بن ذُبْيان، ويكنى أَبا أُمامةَ.[2]

٥٨ — وزُهَيْر بن أبى سُلْمى — واسم أبى سُلْمى رَبيعةُ — بن رِياح ابن قُرْط بن الحارث بن مازِن بن ثَعْلَبة بن ثور بن هُذْمة بن لاَطِم بن عثمان ابن مزينة.[3]

---

(١) المرار حمض إذا أكلته الإبل قلصت عن مشافرها. وسمى آكل المرار، لما رووا من أن ابن هبولة الملك لما سبى ابنة حجر قالت له: كأنك بأبى قد جاء كأنه جمل آكل المرار. تعنى من الغضب قد بدت أنيابه. ويقال. مرتع ومرتع ويقال: اسمه عمرو، وهذا لقب،لأنه كان يأتيه الطالب أن يرتعه فى أرضه، فيقول: قد أرتعتك كذا وكذا. والاختلاف فى نسبه كثير،انظر الأغانى ٩ : ٧٧، والمؤتلف : ٩، وجمهرة ابن حزم : ٤٠٦، ومختصر جمهرة ابن الكلبي وغيرها.

(٢) الأغاني ١١، ٣، المؤتلف : ١٩١، الخزانة ١ : ٢٨٧، وجمهرة ابن حزم : ٢٤١ ومختصر الجمهرة : ١١٩. وضبط فى المخطوطة «الضباب» وفى مختصر الجمهرة، بفتح الضاد، وفى «م» بكسرها، وانظر شرح التصحيف : ٤٩٣

(٣) الأغانى ١٠ : ٢٨٨ : مع اختلاف كثير، وجمهرة ابن حزم : ١٩٠، ١٩١: ومختصر الجمهرة : ٧٧، وفى شرح التصحيف : ٤٧٥. «هذمة» فى المخطوطة «هدمة» بكسر الهاء وبدال مهملة.

٥٩ — والأَعْشَى ، وهو ميمونُ بن قَيْس بن جَنْدَل بن شَرَاحِيل بن عَوْف بن سَعْد بن ضُبَيْعة بن قَيْس بن ثعلبة ، ويكنى أبا بَصِير .[١]

* * *

٦٠ — أخبرنى يونس بن حبيب : أن علماء البَصْرة كانوا يقدِّمون امْرَأَ القيس بن حُجْر ، وأهلَ الكوفة كانوا يقدّمون الأعشى ، وأن أهل الحِجاز والبادية كانوا يقدِّمون زُهَيْراً [ والنابغة ] .[٢]

٦١ — وأخبرنى يونس كالمتعجِّب : أنّ ابنَ أبى إسحاق كان يقول : أشعر أهْلِ الجاهليّة مُرَقِّش ، وأشْعَر أهلِ الإسلام كُثَيِّر .[٣] ولم يُقبلْ هذا القول ولم يُشَيَّعْ .[٤]

٦٢ — وأخبرنى شُعَيْب بن صَخْر ، عن هارون بن إبراهيم ، قال : سمعتُ قائلاً يقولُ للفَرَزْدق : مَنْ أشعرُ الناس يا أبا فِراس ؟ قال :

---

( ١ ) الأغانى ٩ : ١٠٨ ، والمؤتلف ومعجم الشعراء : ١٢ ، ٤٠١ ومختصر الجمهرة : ١٥٦

( ٢ ) نقله شارح نهج البلاغة ٤ : ٥٠٢ . والعمدة ١ : ٨٠ : وزدت « النابغة » ، لأن ذكره وارد فى « م » ، وفى هذين المرجعين جميعاً . وزاد صاحب العمدة : « وكان أهل العالية لايعدلون بالنابغة أحداً ، كما أن أهل الحجاز لايعدلون بزهير أحداً » .

( ٣ ) قال صاحب العمدة ١ : ٨٠ لما ذكر ابن أبى إسحاق : « وهو عالم ، ناقد ، متقدم مشهور » ، ثم عقب على رأيه هذا فقال : « وهو غلو مفرط ، غير أنهم مجمعون على أنه أول من أطال المدح » . وأنا أتعجب من ابن أبى إسحاق ومن جودة رأيه ، والذى بلغنا من شعر مرقش قليل ، فإن لا يكن كما وصف ، فليس ينزل المرقش عندى دون هذه المنزلة إلا قليلا : وليس قوله غلوا مفرطا ، كما زعم صاحب العمدة وغيره .

( ٤ ) فى « م » « لم يشع » ، وليس بذاك . يقال : « شيعه على رأيه وشايعه ، كلاهما تابعه وقواه » يقال ، « فلان يشيعه على ذلك » ، أى يقويه . « شيع » ، مشددة الياء . وهذه اللفظة مضبوطة فى مخطوطتنا بضم الياء الأولى .

ذُو القُرُوح ، يعني امرأ القيس.[١] قال: حين يقول ماذا؟[٢] قال: حين يقولُ:

وَقَاهُمْ جَدُّهُمْ بِبَنِى أَبِيهِمْ ... وبالأشْقَيْنَ ما كانَ العِقَابُ[٣]
[ وأفلتهُنَّ عِلْبَاءٌ جَرِيضاً ... ولوْ أدركْنَهُ صَفِرَ الوِطَابُ ][٤]

٦٣ ــ [ أخبرني أبو خليفة ، عن محمد بن سلّام قال : سمعتُ رجلاً يسأل يونس عن قوله : « صَفِرَ الوِطابُ » ، فقال : سألنا رؤبة عنه فقال: لو أدركوه قتلوه وساقوا إبله ، فصفرتْ وِطابُه من اللبن . وقال غيرُه : صَفِرَ الوطابُ ، أي أنه كان يُقتَلُ ، فيكون جسمه صِفْرًا من دمه ، كما يكون الوطابُ صِفْراً من اللبن ] . ( الأغاني ٩ : ٩١ ) .

( ١ ) سمي ذا القروح ، فيما رووا ، لأن ملك الروم بعث إليه قيصاً مسموماً ، فتقرح بدنه فمات . هذه الكلمة ذكرها السيوطي في المزهر ٢ : ٤٧٩ . وتنسب أيضاً للبيد . الشعر والشعراء : ٥٢ .

( ٢ ) « ماذا » ، انظر ما كتبته سالفاً في رقم : ٢٥ ، ص : ٢٠ تعليق : ٤ ، فإنها رسمت هنا أيضاً « ماذى » وكذلك في سائر المخطوطة .

( ٣ ) ديوانه : ١٣٨ . الجد : الحظ والسعد . والأشقين : جمع أشقى ، يعني الأشقياء الذي ساء حظهم ولا ذنب لهم . وقال هذه الأبيات بعد مقتل أبيه ، قتلته بنو أسد . وخبر الأبيات أن امرأ القيس استعان ببكر وتغلب على بني أسد قتلة أبيه ، فأنذرهم بذلك علباء بن الحارث الكاهلي ، فانضمت بنو أسد إلى بني كنانة ، فلما جاء الليل رحلوا ولم يعلموا بني كنانة ، ولم يعلم بذلك امرؤ القيس ، فانتهى إلى كنانة فوضع فيهم السلاح ، يحسبهم بني أسد . فلما علم جلية الأمر قال ذلك . وقوله « ببني أبيهم » ، لأن أسداً وكنانة ابنا خزيمة وهما أخوان . وهذا الخبر ، ذكره بإسناده صاحب شرح نهج البلاغة ٤ : ٥٠٢ ، والعمدة ١ : ٧٧ .

( ٤ ) علباء بن الحارث الكاهلي ، كان ممن أعان على قتل أبيه . يقال : أفلت جريضاً : أي بعد شر كاد يقضي عليه من الجهد . والجرض : غصص الموت . والوطاب جمع وطب : سقاء من جلد يكون فيه اللبن . زدت هذا البيت ، لأن الخبر الآتي ( رقم : ٦٣ ) شرح له . وأنا أرجح كل الترجيح أن هذا الخبر كان في نسخة أبي الفرج الأصبهاني ، التي كتب بها إليه أبو خليفة راوي الكتاب عن ابن سلام . ولذ أجدله موضعاً خيراً من هذا الموضع .

٦٤ — وأخبرنى شُعَيب بن صخر ، قال : سمعت عيسى بن عُمر يُنشدُ عامرَ بن عبد الملك لزُهَير أو النابغة ، فقال : ياأبا عبد الله ، هذا والله لا قَوْلُ الأعشى :

لَسْنَا نُقَاتِلُ بالعِصِىِّ ولا نُرَامِى بالحجارهْ[1]

٦٥ — / وأخبرنى أبان بن عُثمان البَجَلِىّ قال : مَرَّ لَبِيدٌ بالكوفة فى بنى نَهْدٍ ، [2] فأَتْبَعوه رَسولاً سَؤُولاً يَسْئلهُ : مَنْ أَشْعر الناس ؟ قال : المَلكُ الضِّلِّيلُ . [3] فأعادوه إليه ، قال : ثم مَنْ ؟ قال الغلامُ القتيل — وقال غير أبان : ابنُ العِشرين — يعنى طَرَفة — قال : ثم مَنْ ؟ قال : الشَّيخُ أبو عَقِيل — يعنى نفسه [4]

فهذان امرؤُ القيس وطَرَفة .

— قال يونس : كل شىء فى القرآن : « فأَتْبَعه » ، أى طالَبَه ،

---

( ١ ) ديوانه : ١١٥ ، ويليه فى «م» :

ه إلا عُلاَلَةَ أو بُدَاهةَ قارحٍ نَهْدِ الجُزَارهْ ه

وأظنه أضيف خطأ ، فهو ليس مما ينقد ، ولأن الأول يقع فى عدة القصيدة ٥٥ ، وهذا : ٩٤ ، ولأن المعنى لايقتضى إثباته . وهذا الخبر فى الشعر والشعراء : ١٠٨ .

( ٢ ) كأنه يعنى : محلة بنى نهد ، وهم من قضاعة .

( ٣ ) هو امرؤ القيس . ويقال أيضاً « الملك المضلل » . والضليل الكثير الضلال المبالغ فيه . يزعمونه لقب به لغوايته . ( انظر شرح نهج البلاغة ٤ : ٥٠٣ ) . والمضلل : الذى لايوفق للخير . فيزعمونه لقب بذلك لما كان من حيرته فى الثأر لأبيه وطلب ملكه ، وإخفاقه بعد الجهد .

( ٤ ) روى هذا الخبر بنصه فى شرح نهج البلاغة ٤ : ٥٠٢ ، وانظر العمدة ١ : ٧٧ ، والمزهر للسيوطى ٢ : ٤٧٩ ، ثم الشعر والشعراء : ١٤٢ .

و « أتْبَعه » ، يَتْلوهُ .[١]

٦٦ — فاحتجّ لِامرئ القيس من يُقدّمه قال : ماقال مالم يقولوا ، ولـكنه سبَقَ العربَ إلىأشياء ابتدَعها ، واستَحْسنَتْها العربُ ، واتّبعتْه فيها الشعراء : استيقافُ صَحْبه ، والتَّبْكاء فى الدِّيار ،[٢] ورقّةُ النَّسيبِ ، وقُرْب المأخذ ،[٣] وشَبَّه النِّساءَ بالظِّباء والبَيْض ، وشبّه الخَيل بالعِقْبان والعِصِيِّ ، وقيَّدَ الأوَابد ، وأجادَ فى التشبيه ،[٤] وفَصَل بين النَّسيب وبَيْنَ المعنى .[٥]

— كان أحسنَ أهلِ طبقته تشبيهاً ، وأحسنُ الإسلاميين تشبيهاً ذو الرُّمَّة .[٦]

٭ ٭ ٭

( ١ ) هذا الفرق غير واضح فى كتب اللغة ، ولم يذكروا مقالة يونس . وانظر اللسان ومشارق الأنوار .

( ٢ ) فى « م » : « البـكاء » . و « التبـكاء » مصدر أيضاً لتـكثير البكاء .

( ٣ ) يريد أنه لطف الـكلام ولينه حتى جعله قريب المتناول ، وأزال عسره .

( ٤ ) فى « م » : « المشبه » . وفى شرح نهج البلاغة : « فى النسيب » .

( ٥ ) يريد ما يتميز به شعر الملك الضليل من إخلاصه القول فى النسيب ، لايخلطه بصفة ناقته أو فرسه أو صيده أو مآثره ، فإذا فرغ من النسيب الخالص ، أخذ فى أى معنى من هذه المعانى . وهذا بين جداً فى شعره .
هذا على أنى أرى أكثر هذه الفضائل ، وإن كانت بينة فى شعر امرىء القيس ، لايتاح إثبات سبقه إليها ، لما ضاع من قديم شعر العرب ، ولأنها ليست من الخفاء بالموضع الذى يدل عليه هذا الوصف المفرط بابتداعه لها واتباع الشعراء له فيها . ولشعر الملك الضليل براعة أخرى هى أحق بأن تـكون السبب فى تفضيله وتقديمه على كثير من شعراء الناس ، لا العرب وحدهم .

( ٦ ) هذا الخبر رواه شارح نهج البلاغة ٤ : ٥٠٢ ، ثم انظر الشعر والشعراء : ٥٧ ، والعمدة ١ : ٧٧ ، وشرح شواهد المغنى : ٨ . وانظر الفقرة الأخيرة فيما سيأتى رقم : ٧٣٥ ، نقلا عن الأغانى .

٦٧ — وقال من احتجَّ للنابغة : كان أحسنَهم دِيباجةَ شِعْر ، وأكثرَهم رَوْنقَ كلامٍ ، وأجزلَهم بَيْتاً ، كأنَّ شعره كلامٌ ليس فيه تكلُّف.(١) والمَنطِقُ على المتكلِّم أوسعُ منه على الشاعر ، والشعر يحتاج إلي البناء والعَرُوض والقَوافى ،(٢) والمتكلم مُطلَقٌ يتخيَّرُ الكلامَ . وإنما نَبَغ بالشعر بعد ما أسنَّ واحْتنك ، وهَلَك قبل أن يُهتِر.(٣)

٦٨ — ويروى أنّ عُمر بن الخطّاب قال : أىُّ شُعرائكم يقول :

فَلَسْتَ بِمستَبْقٍ أَخًا لا تَلُمُّه ... إلى شَعَثٍ ، أىُّ الرِّجالِ المُهذَّبُ ؟(٤)

قالوا : النابغة . قال : هو أشعرُهم — وبنو سَعْد بن زيد مَناة تدَّعى هذا البيتَ لرجلٍ من بنى مالك بن سعدٍ يُقال له : شِقَّةُ ،(٥) أنشدناه له

---

( ١ ) الديباج والديباجة : ثوب جيد الملمس ناعمه موشى ، يتخذ من الحرير والإبريسم . رونق السيف والشباب وغيرهما : ماؤه الذى يترقرق فى صفاته ولألائه.

( ٢ ) يعنى بالبناء : بناء القصيدة فى جملته ، وترتيب الألفاظ على معانيها فى الشعر ، ورصفها فى عروضه وقوافيه .

( ٣ ) احتنك الرجل : استحكم رأيه واستحصدت قوته ، وحنكته التجارب . وأهتر الرجل ( بالبناء للمجهول ) : صار إلى الهتر ، وهو سقط الكلام ، والخطأ فيه ، واللجاجة والهذيان به . وكذلك يكون إذا بلغ أرذل العمر . وهذا الجزء رواه صاحب شرح نهج البلاغة بنصه تقريباً ٤ : ٥٠١ ، والشعر والشعراء : ١٠٨ .

( ٤ ) ديوانه ٥٧ . الرواية المشهورة « على شعث » ، أما رواية المخطوطة فلم أجدها ، وهى رواية غريبة ولكنها شريفة محكمة . و «إلى» تنظر إلى معنى « مع » كقولهم: هو حليم إلى أدب وفقه أى مع ، وقولهم : « أحمد الله إليك » أى معك . فمعناه مع ماترى فيه من زلل ، تلمه وتصلحه وتجمع ماتشعث من أمره بالخلاف ، أوسوء العشرة ، أو قلة التفطن .

( ٥ ) لم أجد له ذكراً ولاخبرا ولا شعراً غير هذا . واسم « شقة » موجود فى بنى تميم ، وممن سمى به «ضمرة بن ضمرة النهشلى» فإن اسمه«شقة» ، انظر مختصر جمهرة النسب: ٥٣ ، وأصل الجمهرة ١٤٩ ، وهو مضبوط فيها بكسر الشين. وقد وجدت هذا الخبر بحمدالله ونعمته فى شرح ديوان =

حُلَابِسُ العُطارِدِىّ . وأخبرنى خلفٌ الأحمرُ أنه سمع من أعرابِ بنى سعدٍ لهذا الرجُلِ .

٦٩ — وأخبرنى خلفٌ : أنه سمع أهلَ الباديةِ من بنى سَعدٍ يروُون بيتَ النابغة للزِّبْرِقان بن بدرٍ ، فمن رواه للنابغة قال :

تَعْدُو الذِّئابُ على من لا كِلابَ لَهُ ... وتَتَّقِى مَرْبِضَ المُسْتَثْفِرِ الحامِى [1]

// وهى الكلمة التى أولها :

قالتْ بَنُو عامرٍ : خَالُوا بَنِى أَسَدٍ [2] ... [ يا بُؤْسَ للجَهْلِ ضَرَّارًا لأقْوامِ ]

ومن رواه للزِّبْرِقان بن بدرٍ قال :

إنَّ الذئابَ تَرَى مَنْ لا كلابَ لهُ ... وتحتمى مَرْبِضَ المُسْتَثْفِرِ الحامى

ويروى : « وتَتَّقى » ، وهذا البيتُ فى قوله :

---

== أبى تمام للتبريزى ٤ : ٣٥٣ ، على تصحيف فى الشعر ، قال التبريزى : « وقد كانت الشعراء فى القديم يأخذ أحدهم البيت المشهور من شعره غيره ، فيزيده فى شعر نفسه على المعنى الذى يسمى « التضمين » ، ومن ذلك أن بنى سعد بن زيد مناة ينشدون لرجل منهم يقال له « شقة » :

أَرَيْتَكَ إن رَابَتْكَ مِنِّىَ خَلَّةٌ ... فأَبعدُ منِّى شِيمةً لكَ أَرْيَبُ

ولستَ بمُسْتَبقٍ أخًا لا تَلُمُّهُ ... على شَعَثٍ أىَّ الرِّجالِ المُهَذَّبُ

وهذا البيت مروى فى شعر النابغة » . هذا وبقية هذا الجزء من أول قوله : « وبنو سعد » ساقط من « م » وهو أحد الأدلة على اختصارها .

(١) ديوانه : ٢٢٢ . مربض الأسد : غيله حيث يربض . و « والمستثفر » . من قولهم : استثفر الكلب : إذا أدخل ذنبه بين رجليه حتى يلزقه ببطنه . وهى صفة للكلب الحامى ، المانع لحوزة الغنم . وانظر الحيوان ٢ : ٨٣ ، والأغانى ١ : ٧٩ ، ١٤٨ ، ففيهما فوائد . وفى « م » : « المستنفر » من قولهم : « استنفر الوحش وأنفرها ونفرها » ، إذا ذادها وطردها .

(٢) ديوانه : ٢٢٠ ، ٢٢٢ . خالوا : أمر من المخالاة ، خالاه يخاليه : تاركه وقطع ما بينه وبينه .

• أبلغ سَرَاة بني عوف مُغَلْغَلَةً • (١)

— وسألتُ يونس عن البيت فقال : هو للنابغة ، أظنُّ الزِّبْرِقانَ استزادَه في شِعْرِه كالمَثَل حين جاء موضِعَه ، لا مُجْتَلِباً له . (٢)

٧٠ — وقد تَفْعَلُ ذلك العربُ ، لا يريدون بِهِ السَّرِقَة ، قال أبو الصَّلْت بن رَبِيعة الثقفي :

تلك المكارمُ لاقَعْبانِ مِنْ لَبَنٍ    شِيبَا بماءٍ فعادَا بعدُ أبوالاَ (٣)

وقال النابغة الجَعْدِيُّ ، في كلمة فَخر بها ، وَرَدَّ فيها على القُشَيْرِيّ : (٤)

فإنْ يَكُنْ حاجِبٌ مِمَّنْ فَخَرتَ بِهِ    فلَمْ يَكُن حاجِبٌ عَمّاً ولا خالاَ (٥)

---

( ١ ) لم أجد تمام البيت . ومنها في المؤتلف ١٢٨ ، وحماسة البحتري : ٣٢ ، أبيات والبيان والتبيين ٣ : ١٧٩ . ومن أول قوله : «ومن رواه للزبرقان» إلى آخر هذا الموضع أخلت به «م».

( ٢ ) اجتلب الشعر : سرقه وضمه إلى شعره ليقويه به ، ومنه قول جرير :

ألم تعلمْ مُسَرَّحِيَ القوافِي    فلاَ عِيًّا بهنَّ ولا اجتلابَا

وقول الراجز :

يا أيها الزاعمُ أني أجتَلِبْ    وأنَّني غَيْرَ عِضَاهِي أنْتَجِبْ

ونقل هذا والخبر الذي بعده الى آخر رقم : ٧١ ، السيوطي في المزهر ١ : ١٨٣ .

( ٣ ) من قصيدته في مدح أهل فارس حين جاءوا إلى اليمن وأخرجوا الحبشة ، وستأتي الأبيات ( انظر الفهارس ) . وأخلت «م» بهذا من أول قوله «قال أبو الصلت» القعب : قدح من خشب غليظ جاف . وشاب الشيء : خلطه .

( ٤ ) انظر شعر النابغة : ٩٩ — ١١٢ والأغاني ٥ : ١٥ ، ١٦ . القشيري : هو ابن حيا القشيري ، واسمه سوار بن أوفى ، وكان هجا النابغة وسب أخواله في أمر كان بين قشير وبني جعدة . وهم يومئذ متجاورون بأصبهان . وقشير وجعدة أخوان ، هما ابنا كعب بن ربيعة بن عامر بن صعصعة بن معاوية ابن بكر بن هوازن .

( ٥ ) يعني حاجب بن زرارة ، وهو من بني تميم . وكيف يفخر به شاعر من بني عامر بن صعصعة ؟

هلاّ فخرتَ بيومَىْ رَحْرحانَ ، وقدْ ظَنّتْ هوازنُ أن العِزَّ قدْ زالا[١]
تلكَ المكارمُ لا قَعْبانِ مِنْ لَبَنٍ شِيبا بماءٍ فَعادا بَعْدُ أبْوالا[٢]

ترويه عامرٌ للنابغة ، والرواةُ مُجمعون أنّ أبا الصَّلت بن أبى ربيعة قاله.

٧١ — [٣]وقال غيرُ واحدٍ من الرُّجَّاز :

* عند الصَّباحِ يَحْمَدُ القومُ السُّرى *[٤]

إذا جاء موضعه جعلوه مثلاً ، وقال امرؤ القيس :

وُقوفاً بها صَحْبِي علىَّ مَطِيَّهُمْ يقولون : لاتَهْلِكْ أسًى وتجَمَّلِ[٥]

وقال طرفة :

وُقوفاً بها صَحْبِي علىَّ مطيَّهمُ يقولون : لاتهلك أسًى وتجلَّدِ[٦]

* * *

٧٢ — [٧]ويروى عن الشَّعْبِي ، عن رِبْعِيّ بن حِرَاش ،[٨] أن عمر

---

( ١ ) رحرحان : جبل قريب من عكاظ خلف عرفات . ويوما رحرحان لبنى عامر بن صعصعة ( هوازن ) على بنى تميم .

( ٢ ) فى هامش المخطوطة : « قصارا » ، مقابل « فعادا »

( ٣ ) من رقم : ٧١ — ٧٤ . أخلت به « م » ، وانظر ماسيأتى رقم: ٣٥٩ .

( ٤ ) مثل يضرب : للطالب يجد الراحة . بعد المشقة فى السعى الى مايطلبه . وهو فى رجز كثير

( ٥ ) معلقته . الاسى : الحزن البالغ . التجمل : ترك مايقبح بالمرء من الجزع .

( ٦ ) معلقته أيضاً .

( ٧ ) يعنى أن هذه رواية أخرى عن عمر ، غير التى مضت فى رقم : ٦٨ . ومابينهما استطراد.

( ٨ ) ربعى بن حراش، سمع من عمر ، وروى عنه خطبته بالجابية . ومات سنة ١٠٠ ، و« حراش » يصحف فيكتب « خراش » ، انظر شرح التصحيف : ٢٦ ، ١١٩ .

ابن الخطاب قال : أىُّ شعرائكم الذى يقول :

فأَلفيتُ الأمانةَ لم تَخُنْها    كذلك كان نُوحٌ لا يخونُ[(١)]

وهذا غلطٌ على الشَّعبى ، أو مِن الشَّعبي ، أو من ابن حِرَاش . أجمع أهلُ العلم أن النابغة لم يقُلْ هذا ، ولم يسمعْه عمر ، ولـكنهم غَلِطوا بغيرِه من شِعْر النابغة ، فإنه قد ذُكِرَ لى أنّ عمرَ بنَ الخطّاب سأل عن بيت النابغة :

حَلَفْتُ فلم أَتْرُكْ لِنَفْسكَ رِيبةً    وَلَيْسَ وَراءَ اللهِ لِلمَرْءِ مَذْهَبُ[(٢)]

وحَرِىٌّ أن يكون هذا البيتَ ، أو البيتَ الأوَّلَ.[(٣)]

٧٣ — وجدنا رواة العِلْمُ يغلطون فى الشعر ، ولا يضبط الشعرَ إلا أهله . وقد تروى العامَّةُ أن الشعبيَّ كان ذا علم بالشعر وأيامِ العرب ، وقد روى عنه هذا البيت ، وهو فاسدٌ .

— وروى عنه شىءٌ يُحمَلُ على لبيدٍ :

---

( ١ ) ديوانه : ٢٦٥ ،وقبله فى خبر الأغانى عن عمر ( ١١ : ٤ ) رواية ربعى أيضاً :

أتيتُكَ عارياً خَلَقاً ثِيابى    على خَوْفٍ تُظَنُّ بِى الظنونُ

والأمانة تلغ على أشياء كثيرة . تعود كلها إلى معنى الأمن من المخافة . وأراد بها هنا الثقة بقديم صداقته ومروءته .

( ٢ ) ديوانه ٧٦ . الريبة: الشك . يقول: حلفت بالله ، فصدقنى ، فليس بعد اليمين بالله مهرب لأحد ، فهى أبلغ يمين إلى الثقة بما أقول .

( ٣ ) أى الذى مضى برقم : ٦٨ ثم انظر العقد الفريد ٥ : ٢٧ فقد جمع الشعرين فى خبر واحد.

باتَتْ تشـكى إلىَّ النَّفْسُ مُجْهِشةً · وَقَدْ حَملتُكِ سَبْعًا بعد سَبْعِين[١]
فإن تَعيشى ثلاثًا تبلُغى أمَلاً ، · وفى الثَّلاثِ وفاءٌ للثمانين

ولا اختلاف فى أن هذا مصنوعٌ تُكَثَّر به الأحاديث ،[٢] ويُسْتعان به على السَّهر عند الملوكِ ، والملوكُ لا تَسْتقصى .

٧٤ — وكان قَتادة بن دِعامَة السَّدُوسِىّ من رُواة الفِقْه ،[٣] عالماً بالعرب وبأنسابها ، ولم يأتنا عن أحدٍ من رُواة الفقه من علم العرب أصحّ من شىء أتانا عن قَتادة .

٧٥ —[٤] أخبرنا عامر بن عبد الملك قال : كان الرجلان من بنى مَرْوَان يَختلفان فى الشعر ، فيُرْسِلان راكباً فيُنيخُ ببابه ، [ يَعْنى قتادة بن دعامة ] ، فيسأله عنه ثم يَشْخَص .[٥]

---

( ١ ) انظر تخريجهما فى ديوان لبيد : ٤٠٢ ، وزد عليه : ابن سعد فى الطبقات ٦ : ١٧٨ . أنشدهما الشعبى . وقافية البيتين فى سائر الكتب : سبعينا ، للثمانينا .

( ٢ ) انظر ما كتبته على « مصنوع » فيما سلف ص : ٤ ، تعليق : ١

( ٣ ) قتادة ، روى عن كبار التابعين وكان من أحفظ الناس ، إذا سمع شيئاً لم يستقر حتى يحفظه . ولد سنة ٦١ أكمه ، ومات سنة ١١٧ . وكان من علماء الناس بالقرآن والفقه . وانظر شرح التصحيف : ٣ ، ٤ .

( ٤ ) عامر بن عبد الملك بن مسمع الجحدرى . وهو شيخ بكر بن وائل ( الأغانى ٨ : ٩ ) وكان جده مالك بن مسمع أنبه الناس . قال رجل : لعبد الملك بن مروان : لو غضب مالك لغضب معه مئة ألف لا يسألونه فيم غضب . فقال عبد الملك : هذا وأبيك السؤدد ! وكان عامر نسابة ، وأخوه مسمع بن عبد الملك ، ولقبه كردين ، علامة بالنسب إلى الشعر . وسيأتى ذكرهما بعد فى هذا الكتاب ( المعارف : ٢١٤ ، الجمهرة : ٣٠١ ، الموشح : ١٠٩ ، ١١٨ ، والشعر والشعراء : ٤ ، وفى التعليق عليه خطأ ) .

( ٥ ) شخص يشخص شخوصاً . ذهب ، وسار من بلد إلى بلد

٧٦ — أخبرني سَعيدُ بن عُبَيد ، عن أبي عَوَانة أنه قال:[١] شهدتُ عامِرَ بن عبد الملك يسألُ قَتادة عن أيام العرَب وأنسابها وأحاديثِها ، فاستحسنتُه . فمدت إليه فجعلت أسألُه عن ذلك ، فقال : مالَكَ ولهذا ؟ دَعْ هذا العلم لعامرٍ ، وعُدْ إلى شأنك.[٢]

٧٧ — [٣] ويُرْوَى عن بعضِ أصحابنا ، قال : رأيتُ راكباً قَدِمَ من الشأمِ ، فأناخ على باب قَتادة ، فسأله : من قتل عَمْراً وعامراً التغلبيَّين يوم قِضَّة ؟[٤] قال جَحْدَر : فأعادوا إليه الرسولَ : كيف قتلهما جميعًا ؟ قال : اعْتَوَرَاهُ ، فطَعن هذا بالسِّنان وهذا بالزُّجِّ ، فعادَى بينهما .[٥] ثم رحل مكانَه .[٦]

٧٨ — وكان أبو المعتمِرُ الشَّيبانىُّ كثيرَ الحديثِ عن العرب ، وعن

---

( ١ ) سعيد بن عبيد بن حساب ، أخو محمد بن عبيد بن حساب : يرويان عن أبي عوانة . وأبو عوانة : هو الوضاح بن عبد الله اليشكرى ، يروى عن قتادة ، كان من أئمة الحفاظ . مات سنة ١٧٦ .

( ٢ ) يعنى إلى رواية الحديث والفقه .

( ٣ ) رقم : ٧٧ ، ٧٨ ، أخلت بهما « م » .

( ٤ ) قضة : عقبة بعارض اليمامة ، ويوم قضة هو يوم التحالق ( يوم تحلاق اللمم ) ، فى حرب بكر وتغلب ( العقد ٥ : ٢٢٩ الأغانى ٥ : ٣٤ ـ ٦٤ ) . و « قضة » بكسر القاف وفتح الضاد » وابن دريد بقولها بتشديد الضاد ، وكذلك ضبطت في المخطوطة . وجحدر ، هو جحدر بن ضبيعة بن قيس ، جد عامر ومسمع اللذين مضى ذكرهما فى ص : ٦١ ، التعليق رقم : ٤ .

( ٥ ) اعتور الرجلان فلاناً وتعاوراه : تعاونا عليه ، فكلما أمسك واحد أقبل الآخر يضربه . السنان : نصل الرمح يطعن به . والزج : حديد تركب فى أسفل الرمح من الجهة الأخرى ، محددة الطرف تركز به فى الأرض ، ولكنها تصلح للطعن . وعادى الفارس بين صيدين أو رجلين : طعنهما طعنتين متواليتين ، فيصرع أحدهما على إثر الآخر فى طلق واحد .

( ٦ ) يقال : فعل الشيء مكانه ، وفعله على المكان ، أى من فوره بلا إبطاء ولا تريث .

معاويةَ وعمرو بنِ العاص وزيادٍ وطبقتهم، وكان يقول: أخذتُه عن قتادة، [١]
وكان أبو بكر الهُذَليّ يروى هذا العلمَ عن قتادة . [٢]

٭ ٭ ٭

٧٩ — أخبرنى عيسى بن يزيد [ بن دأبٍ ] بإسنادٍ له، عن ابن عبّاس قال، قال لى عمر : أنشِدْنى لأشْعَرِ شُعرائكم . قلت : من هو ياأمير المؤمنين؟ قال : زهير . قلت : وكان كذلك ! قال : كان لا يُعاظِلُ // بين الكلامِ، ولا يَتْبَعُ وَحْشيّه، ولا يمدحُ الرجلَ إلاّ بما فيه . [٣]

٨٠ — [٤] وأخبرنى عُمر بن موسى الُجمحى، عن أخيه قُدَامة ابن موسى، [٥] وكان من عُلماء أهل المدينة : أنه كان يقدّم زهيراً . قلنا : فأىُّ شعره كان أعجبَ إليه ؟ قال : التى يقول فيها :

---

( ١ ) أبو المعتمر هو يزيد بن طهمان الرقاشي . روى عن الحسن وابن سيرين . ورقاش هى أم مالك وزيد مناة ابناء شيبان بن ذهل ، فالرقاشى والشيبانى واحد .

( ٢ ) أبوبكر الهذلى ، اسمه سلمى بن عبد الله بن سلمى ، ويقال : روح . روى عن الحسن البصرى وغيره ، وكان من علماء الناس بأيامهم . مات سنة ١٦٧ .

( ٣ ) المعاظلة : أن يعقد الكلام ، ويوالى بعضه فوق بعض حتى يتداخل ويغمض . فى « م » : « ولا يتبع حوشيه » ، وحوشي الكلام : وحشيه وغريبه . المزهر ٢ : ٤٨٢ ، والعمدة ١ : ٨٠ .

( ٤ ) رقم : ٨٠ ، أخلت به « م » ، وهو فى الأغانى ١٠ : ٢٨٩ ، وشرح نهج البلاغة ٤ : ٤٩٧ .

(٥) قدامة بن موسى ، من ثقات الرواة ، كان إمام مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ومات سنة ١٥٣ . روى عنه أخوه عمر بن موسى ، وابنه إبراهيم بن قدامة .

قدْ جَعلَ المبتَغُون الخيرَ فى هَرِمٍ    والسائلونَ إلى أبوابِهِ طُرُقَا[١]
مَنْ يلقَ يومًا على عِلاَّتِهِ هَرِمًا    يَلقَ السَّماحةَ منْهُ والنَّدَى خُلُقَا[٢]

٨١ — وقال أهل النَّظر : كانَ زُهير أَحْصَفَهُمْ شعراً ،[٣] وأبعدَهم من سُخفٍ ، وأجمَعهم لكثير من المعنَى فى قليل من المنطِق ، وأشدَّهم مبالغةً فى المدح ،[٤] وأكثرهم أمثالاً فى شعره .[٥]

٨٢ — وأخبرنى أبو قَيْس العَنْبرِى — ولم أرَ بَدَوِيًّا يزيدُ عليه[٦] — عن عِكرِمة بن جَرِير ، قال : قُلتُ لأبى : ياأَبَهْ ، مَنْ أشعرُ النّاسِ ؟ قال : أَعن أهلِ الجاهليَّةِ تسألنى أم أهلِ الإسلام ؟ قلت : ما أردتُ إلاَّ الإسلام ، فإذْ ذكَرْتَ أهلَ الجاهليةَ فأخبِرْنى عن أهلها . قال : زُهَيرٌ

---

( ١ ) ديوانه : ٤٩ ، ٥٣ ، وبين البيتين أبيات فى رواية ثعلب وقوله « فى هرم » ، أى عند هرم . يقول : إن طالبي المعروف وسائليه قد جاءوا من كل أوب ، فشقوا إليه فى كل وجهة طريقاً وطأوه بكثرة ترددهم عليه . يصف كثرة القصاد واختلاف قبائلهم ومنازلهم .

( ٢ ) العلة : الحدث يشغل صاحبه عن حاجته . وقولهم « على علاته » معناها : على مانابه وشغله عن قضاء مايجب عليه ، ثم استعملت بمعنى « على كل حال » . وأراد زهير : إن تلقه على قلة مال أو عدم ، تجده بذالا سمحاً . فكيف به وهو غنى موسر ؟ والندى : السخاء والكرم بلا جهد ولا منة .

( ٣ ) أحصفهم : أحكمهم وأجزلهم . من الحصافة : جودة الرأى وإحكامه . واستحصف : استحكم واشتد . والحصيف : المحكم الرأى ، الجيد التدبير .

( ٤ ) انتقد صاحب العمدة ١ : ٨٠ قوله « وأشدهم مبالغة فى المدح » وزعمه يناقض قول عمر : « لايمدح الرجل إلا بما فيه » . ولم يذهب ابن سلام إلى المبالغة الذميمة بل أراد الاجتهاد فى تصحيح معنى المدح وتوفيته حقه .

( ٥ ) هذه الجملة الأخيرة ، أخلت بها « م » وهى بتمامها فى الأغانى ١٠ : ٣١٥ ، وفى شرح نهج البلاغة ٤ : ٤٩٨ ، إلا أنه قال فى أولها : «قال : وقال من احتج لزهير » ، وقال فى آخرها مكان الجملة الأخيرة : « وأبعدهم تكلفا وعجرفية ، وأكثرهم حكمة ومثلا سائراً فى شعره » .

( ٦ ) يعنى يزيد عليه أو يماثله فى حسن الحديث ، وفقه الكلام ، وسعة الرواية

شاعرُها . قال: قلتُ : فالإسلام ؟ قال : الفَرَزْدقُ نَبْعةُ الشِّعر.[1] قلت : فالأخْطل ؟ قال : يُجيدُ مدحَ الملوكِ،ويُصيبُ صِفةَ الخمر. قلت : فما تركْتَ لنفسِك ؟ قال : دَعْني ، فإنى أنا نَحرْتُ الشعرَ نَحْرًا .[2]

٭ ٭ ٭

٨٣ — وقال أصحابُ الأعشى : هو أكثرُهم عَروضًا،[3] وأذهبُهم فى فنون الشعر ، وأكثرُهم طويلةً جيدةً ، وأكثرُهم مدحًا وهِجاء وفَخْرًا ووَصْفًا ،[4] كلٌّ ذلك عنده .

٨٤ — وكان أوّلَ من سأل بشعره ، ولم يكن له مع ذلك بيتٌ نادرٌ على أفواهِ الناسِ كأبيات أصحابه .

٨٥ — وشَهدْتُ خَلَفًا ، فقيل له : من أشعَرُ الناس ؟ فقال : ما نَنْتَهى

(١) النبعة : وجمعها النبع : شجر ينبت فى قلة الجبل تتخذ من أعواده القسى ، وعودها أصفر رزين ثقيل فى اليد ، وإذا تقادم احمر . وكل القسى إذا ضمت إلى قوس النبع كرمتها قوس النبع وفضلتها ، لأنها أجمع القسي للأرز واللين(الأرز : الشدة) ، ولا يكون عود القوس كريماً حتى يكون شديداً ليناً . فعنى جرير أن فضل شعرالفرزدق على الشعر ، كـقوس النبع فى فضلها على سائر القسى .

(٢) أصله من نحر البعير نحراً : طعنه فى نحره . يريد كأنه قتل الشعر استمكاناً منه واقتداراً عليه . وهذا الخبر رواه فى الأغانى ٨ : ٣٤ ، ١٠ : ٢٨٨ ، ٢٨٩ ، وشرح نهج البلاغة ٤ : ٤٩٧ ، والمزهر ٢ : ٤٨٠ ، والعمدة ١ : ٧٩ . وانظر ماسيأتى رقم : ٣٩٥ ، ورقم : ٦٦٩ .

(٣) يعنى كثرة أوزانه واختلافها ، وكذلك تجد شعر الأعشى .

(٤) فى م : « ونظراً وصفة » ، « نظرا » كأنه يريد استنباط المعانى واستخراجها بالنظر ، وهو التأمل والتفكر . وكذلك بعض شعر الأعشى . وانظر المزهر ٢ : ٤٨٣ ، وشرح نهج البلاغة ٤ : ٥٠٣ .

إلى واحدٍ يُجتَمَعُ عليه ، كما لا يُجتمعُ على أشجع الناس وأخطَبِ الناس ، وأجمَلِ الناس. قلت : فأيُّهمْ أعجبُ إليك ياأبا مُحْرِز؟ قال: الأعشى . قال: أظنُّه قال : كان أجمعَهم .

٨٦ ـــ وكان أبو الخطَّاب الأخفش مُستهتَرًا به يُقدِّمه .[1] وكان أبو عمرو [ بن العَلاء ] يقول : مثَلُه مَثلُ البازِى ، يَضرِبُ كبيرَ الطَّيْرِ وصغيرَه .[2] ويقولُ : نظيرُه فى الإسلام جَرير ، ونظيرُ النابغة الأخطل، ونظيرُ زهيرِ الفرزدق .[3]

٨٧ ـــ [4] ورَوَى سُليمان بن إسحق الرَّبَالى ،[5] / عن يونس ، أنه قال : الشِّعر كالسَّراء والشجاعة والجَمال ، لا يُنتهَى منه إلى غاية .[6]

٨٨ ـــ أخبرنى المسيَّب بن سعيد ، عن هشام بن القاسم ، مولى بنى

---

( ١ ) استهتر بالشيء ( بالبناء للمفعول ) : أولع به .

( ٢ ) البازى ضرب من الصقور يصاد به (مضى ص: ٤٤ ، تعليق رقم : ١) . يقول إنه يصطاد الجيد والردىء لا يبالى .

( ٣ ) شرح نهج البلاغة ٤ : ٥٠٣ .

( ٤ ) رقم : ٨٧، ٨٨، أخلت بهما «م» .

( ٥ ) لم أعرف سليمان بن إسحق . و « الربالى » ، فى المخطوطة بالراء المهملة المفتوحة، فإن كان بالزاى، فهو بضمها، و «الزبالى» : نسبة إلى زبالة أخي عمرو بن تميم ، أو إلى مكان يقال له «زبالة» قريب من الكوفة ، من منازل بنى غاضرة ، من بنى أسد .

( ٦ ) السراء والسرو : الشرف والسخاء والمروءة ، ورجل سرى : سخى شريف ، والاسم سراة بفتح السين .

غُبَرَ [1] — وقد رأيته ، وكان من عِلْيَة أهلِ البَصرة ، وكان يُصلِّى على جنائز بنى غُبَرَ — قال : أوّلُ من سألَ بشعرِه الأعشى .

* * *

٨٩ — [2] ولم يُقْوِ من هذه الطَّبَقةِ ولا من أشباهِهِم إلاَّ النابغةُ فى بيتين ، قولُه :

أَمِنَ آلِ مَيَّةَ رَائِحٌ أَوْ مُغْتَدِى ... عَجْلاَنَ ، ذَا زادٍ وغيرَ مزوَّدِ [3]

زَعَمَ البَوارِحُ أَنَّ رِحْلَتَنا غدًا ... وبذاكِ خبَّرنا الغُدافُ الأسْودُ [4]

وقوله :

---

( ١ ) « بنو غبر » ، بطن ، وهم : « بنو غبر بن غنم بن حبيب بن كعب بن يشكر بن بكر ابن وائل » .

( ٢ ) اقتصرت «م» على السطر الأول من هذا الجزء وصدر البيت الأول، وأخلت بسائر الكلام إلى أول رقم: ٩٠ . والخبر بتمامه فى الموشح : ٣٨ ، ٣٩ ، ومن أول هذه الفقرة إلى آخر الفقرة رقم : ١٠٢ استطراد طويل عن الشعر وعيوبه .

( ٣ ) ديوانه ٢٨ ، وهى القصيدة التى جود فيها صفة « المتجردة » امرأة النعمان بن المنذر ملك الحيرة ، وقد دخل النابغة على النعمان ، ففاجأته المتجردة فسقط نصيفها عنها ، فغطت وجهها بمعصمها توارى وجهها ، ويقال : إن النعمان هو الذى سأله أن يصفها فى شعره ، فلما بلغ مابلغ من صفتها شك النعمان ، فاتهمه بها وعاداه ، وكان من أمرهما ما كان .

غدا يغدو ، واغتدى ، وغادى : بكر ، من الغدوة : وهى البكرة ، بين صلاة الغداة إلى طلوع الشمس . وراح يروح ، من الرواح وهو من لدن زوال الشمس إلى الليل . يعنى على نفسه تلفه خشية الرحيل ، فلا يزال يذهب إلى آل مية ويجىء بكرة وعشيا ، وهو فى كل ذلك عجلان يختطف النظر إليهم ، فإما تزود من مية نظرة أو سلاماً ، وإما رجع بلا زاد منها .

( ٤ ) البوارح جمع بارح : وهو من الظباء والطير والوحش ما مر عن يمينك إلى يسارك ، وبعض العرب يتطير به لأنه لا يمكنك أن ترميه حتى تنحرف . أما السانح : فبعضهم يتيمن به ، فإنه يمر بين يديك من جهة يسارك إلى يمينك ، فهو أمكن للرمى والصيد . هكذا زجرهم . والغداف : الغراب الضخم الوافر الجناحين ، أسود حالك .

سَقَطَ النَّصيفُ ولم تُرِدْ إسقاطَهُ   فتناوَلَتْهُ وَاتَّقَتْنا باليَدِ (١)
بِمُخَضَّبٍ رَخْصٍ كأنَّ بَنانَهُ   عَنَمٌ يَكادُ من اللَّطافةِ يُعْقَدُ (٢)

[ العَنَم : نبت أحمر يُصْبَغُ به ] . فقدم المدينة ، فعِيبَ ذلك عليه ، فلم يأبَهْ لهما حتى أسمعوه إيَّاه فى غناءٍ — وأهلُ القُرَى ألطَفُ نَظَرًا من أهل البدْوِ، وكانوا يكتبون ، لجِوارِهم أهلَ الكتاب — فقالوا للجارية : إذا صِرْتِ إلى القافية فرَتِّلِي . (٣) فلما قالت : « الغدافُ الأسودُ » و « يعقدُ » و « باليدِ » ، علِمَ وانتبه ، فلم يَعُدْ فيه . وقال : قدمتُ الحجاز وفى شعرى صَنْعَةٌ ، (٤) ورحلت عنها وأنا أشعر الناس .

٩٠ — قال يونس : عُيُوبُ الشعرِ أربعةٌ : الزِّحافُ ، والسِّنادُ ، والإقْواء ، والإيطاء ، والإكْفاء وهو الإقْواء . (٥)

— والزحاف أهونُها ، وهو أن ينقصَ الجزء عن سائرِ الأجْزَاء ، فيُنكِرُه السَّمعُ ويثقُلُ على اللِّسانِ . وهو فى ذلك جائز . والأجْزَاء

---

( ١ ) النصيف : ثوب تتجلل به المرأة فوق ثيابها .

( ٢ ) بمخضب : يعنى كفيها ، قد خضبت بالحناء ، وذلك من زينة النساء ؛ وذكر الصفة وقد أراد العضو . وهو كثير فى كلامهم . ورخص : ناعم البشرة رقيقها لين المس .

( ٣ ) الترتيل : إبانة المنطق والتمهيل فيه والترسل ، بلا بغى ولا إسراف .

( ٤ ) فى المخطوطة ، وفى اللسان (قوى) : « وفى شعرى صنعة » ، وأنا فى شك منها . وأثبت ما فى الموشح .

( ٥ ) هذه الكلمة الأخيرة مروية عن الخليل ، انظر اللسان (كفأ) .

مختلفة ، فمنها ما نُقصانه أخفَى ، ومنها ما نُقصانه أشنَعُ . قال الهُذَلِي :[1]

لَعلَّك إمَّا أمُّ عَمرٍو تَبدَّلَتْ  سِوَاكَ خليلاً شاتِمِى تَستَخيرُهَا

فهذا مُزَاحَفٌ فى كافِ « سِوَاكَ » ، وهو خفىٌّ ، ومن أنشده :

لعلَّك إما أُمُّ عمرٍو تبدَّلَتْ  خَلِيلاً سِوَاكَ شاتِمِى تَستَخيرُهَا

فهذا أفظع ، وهو جائز — والاستِخَارة : الاستِعْطَافُ . ويقال : تَبَغَّمَتِ الظَّبيَةُ تَستَخِيرُ وَلَدَها ، أى تَستَدْعِيه .[2] ومنه قِيلَ : أَستَخِيرُ الله : أى أستعطفه .[3]

— وهو نحو قول الفرزدق :[4]

فإنْ كانَ هذا الأَمرُ فى جاهِلِيَّةٍ  علمتَ مَنِ المَوْلَى القَلِيلُ حَلاَئِبُهْ[5]

---

( ١ ) هو خالد بن زهير الهذلى ، كان رسول أبى ذؤيب ، فى جاهليته ، إلى صاحبته أم عمرو فغلبه عليها ، وتقارضا الشعر من أجل ذلك . والبيت فى شرح أشعار الهذليين : ٢١٢ .

( ٢ ) بغام الظبية : أرخم صوتها حين تصيح بولدها تناديه .. بغمت تبغم بغاماً ، وبغمت : نادته بصوتها .

( ٣ ) من أول قوله : « ومنه قيل » إلى آخر الفقرة . أخلت به «م» .

( ٤ ) الضمير عائد إلى الزحاف . وخبر الأبيات أن الحتات بن يزيد المجاشعى ( من رهط الفرزدق ) قدم على معاوية ، فأجازه ، ولكنه طعن فى جهازه فمات قبل أن يرحل ، فحبس معاوية جائزته ، فقال الفرزدق يعنف معاوية على ما فعل . ديوان الفرزدق: ٥٦ ، والنقائض : ٦٠٨ ، وتاريخ الطبرى ٦ : ١٣٥ ، مع اختلاف الرواية.

( ٥ ) المولى : ابن العم يرث الميراث . وحلائب الرجل : أنصاره من بنى عمه خاصة ، لأنهم يحلبون إليه من كل وجه ، أى يتألبون لينصروه .

ولو كانَ هٰذا غيرَ دِينِ مُحَمَّدٍ    لأدَّيتَهُ ، أو غَصَّ بالمـاءِ شارِبُهْ [١]

مُزَاحَفٌ خفيٌّ ، ومن قال: « لأدَّيْتَ أَوْ لَغَصَّ بالمَاءِ شَارِبُهْ » ، فهو أقطع . وهو أكثر من أن يُعَدَّ .

٩١ — وكان الخليلُ بن أحمد يَستَحْسِنُه فى الشعرِ إذا قَلَّ ، فى البيتِ والبيتين ، فإذا توالَى وكَثُر فى القصيدة سَمُج .

— فإن قيل : كيف يُستَحسَنُ منه شىء وقدْ قيل هو عَيْبٌ ؟ قال : يكون هذا مثل القَبَل والحَوَل واللَّثَغ فى الجارية ، [٢] قدْ يُشتَهى القَليلُ مِنْه الخفيف ، وهو إن كَثُر عند رجُلٍ فى جَوَارٍ ، أو اشتدَّ فى جاريةٍ ، هَجُنَ وسَمُج . [٣] والوَضَحُ فى الخَيْل يُستَطْرَفُ ويُشتَهى خفيفُهُ ، مِثلُ الغُرَّة والتحجيل ، فإذا كَثُر وفَشا كانت هُجْنَةً وَوهنًا . وخفيفُ البَلَقِ يُحتَمل فى الخَيْل ، ولم أَرَ أَبْلَقَ قطُّ ، ولم أَستَمْع بِهِ سابقًا . [٤]

---

( ١ ) لأديته : يعنى ميراث الحتات . غص بالماء : شرق به فوقف فى حلقه لايكاد يسيغه : ضربه مثلا للشدة .

( ٢ ) القبل : إقبال إحدى الحدقتين على الأخرى ، كأنه يريد أن ينظر إلى طرف أنفه . رجل أقبل وامرأة قبلاء .

( ٣ ) هجن هجنة : صار عيباً شديد القبح . ومن أول قوله : « رجل فى جوار . . » خرم فى « م » ، بين ص ١٩ ، وص : ٢٠ ، ويمتد هذا الخرم إلى الخبر رقم : ١١٢ .

( ٤ ) من أول الخبر : ٩٠ ، إلى نهاية ٩١ ، نقله قدامة فى نقد الشعر : ١٠٧ ، ١٠٨ إلا قول الفرزدق والتعليق عليه . والوضح : شية بياض . والغرة قدر من البياض فى جبهة الفرس ، ضروب كثيرة منها المحمود والمذموم . والتحجيل بياض فى قوائم الخيل كلها أو ثلاث منها ، يبلغ

٩٢ — [1] والإقواءُ هو الإكفاءُ ، مهموزٌ . وهو أن يختلِفَ إعرابُ القَوافِي ، فتكونُ قافيةٌ مرفوعةً ، وأُخرى مخفوضةً أو منصوبةً ، وهو في شِعْر الأَعْراب كثير ، ودُونَ الفُحُول من الشعراءِ ، [2] ولا يجوز لموَلَّد ، لأنهم قد عرَفُوا عيْبَه ، والبدوِيُّ لا يأْبَه لَهُ فهو أعذَرُ . [3]

٩٣ — [4] فقلت ليونس : أكان عُبَيد الله بن الحُرِّ يُقْوِى [5] ؟ قال : الإقواءُ خيرٌ منه — يعنى مَن فَوقه من الشعراء يُقْوِى — غيرَ أنَّ الفحولَ قد استَجَازُوا فى موضعٍ نحوَ قول جرير :

عَرِينٌ من عُرَيْنَةَ لَيس مِنَّا    بَرِئتُ إلَى عُرَيْنة من عَرِينِ [6]
عَرَفْنَا جَعْفراً وبَنِي عُبَيْدٍ    وَأَنْكَرْنا زَعَانِفَ آخَرِينِ [7]

---

= ثلث الوظيف أو ثلثيه ولا يبلغ الركبتين ، وهو أيضاً ضروب . والوهن : الضعف ، يعنى أنه عندئذ دال على الضعف والآفة . والبلق : ارتفاع التحجيل الى الفخذين . والجملة الأخيرة : «ولم أر أبلق..» نقلها الجاحظ فى الحيوان ١ : ١٠٤ ، ٣ : ٢٥٢ ، ٥ : ١٦٦ ، وفى البرصان والعرجان : ٢٤ .

( ١ ) هذه الفقرة والتى تليها الى قوله فى رقم : ٩٤ « إذ كان عنده عيباً » ، رواها المرزبانى فى الموشح : ٢٢ ، مع حذف فى بعض مواضع قليلة .

( ٢ ) فى الموشح : « وهو فيمن دون الفحول من الشعراء أكثر » .

( ٣ ) لا يأبه له : لا يفطن فيبالى به .

( ٤ ) هذا تابع للفقرة : ٩٠ .

( ٥ ) عبيد الله بن الحر الجعفى ، شاعر مجيد وكان من خيار قومه صلاحاً وفضلاً وصلاة واجتهاداً ، وغضب لقتل الحسين رضى الله عنه فخرج ، وتطرف بناحية الجبل ، وضم إليه جماعة يغير بهم ، وظل لا يعطى الأمراء طاعة . وكان خروجه سنة ٦١ وقتل سنة ٦٨ ، وله فى خروجه شعر كثير جيد .

( ٦ ) ديوانه : ٥٧٧ ، والنقائض : ٣١ جرير من بنى كليب بن يربوع ، وعرين بن ثعلبة بن يربوع ، فهم بنو عمومته ولكنه يبرأ منهم وينفيهم الى عرينة بن نذير بن قسر بن عبقر بن أنمار اليمنيين .

( ٧ ) جعفر وعبيد ابنا ثعلبة بن يربوع ، أخوا عرين . والزعانف جمع زعنفة : وهى أهداب الثوب المتخرقة . وزعانف السمك : أجنحته . أراد بها رذال الناس وخساسهم وأتباعهم .

وقال سُحَيْم بن وَثِيلٍ :

عَذَرْتُ البُزْلَ إنْ هِيَ خاطَرَتْنِي ... فَما بَالِي وَبَالُ ابْنِ اللَّبُونِ [١]
وَمَاذَا يَدَّرِي الشُّعَراءُ مِنِّي ... وَقَدْ جاوزْتُ رَأْسَ الأَرْبَعِينِ [٢]

فوضعُ هذه الأبيات ، التى له ولجرير ، النصبُ ، ولكنَّه كأنّه سكَتَ عند القافية .

٩٤ — ومنه الإيطاء ، وهو أن تتَّفق القافيتان فى قصيدة واحدة ؛ فإن كان أكثرَ من قافيتين فهو أسمجُ له ، وقد يكون . ولا يجوز لمولَّد ، إذْ كان عنده عيبًا . فإذا اتَّفق اللفظُ واختلف المعْنى ، فهو جائزٌ ، نحو قولك : « محمدٌ » تريدُ الاسم ، و« جوادٌ محمَّدٌ » ، تريدُ الفِعْل . وتقول : « خِيارٌ » ، تريد : خيارٌ من الله ، وتقول : « خيارٌ » ، أى خِيارٌ من قوم ،

---

( ١ ) الأصمعيات : ٧٣ ، وسيأتى بعد ، برقم : ٧٧٥ ، وخبر الأبيات أن الأبيرد الرياحى وابن عمه الأحوص أرسلا إلى سحيم رجلا بأبيات يتعرضان له بها ، فلما سمعها أخذ عصاه وجعل ينحدر فى الوادى يقبل ويدبر ويهمهم بالشعر ، ثم قال له : اذهب وقل لهما :

أنا ابنُ جلاَ وطلَّاعُ الثنايا ... متى أضَعِ العمامةَ تعرفونى

الأبيات ، فجاءاه فاعتذرا له . البزل جمع بازل : وهو الذى بزل نابه ( انشق ) استكمل الثامنة وطعن فى التاسعة ، وذلك زمن استحكام قوته . وخاطره : ساماه وصاوله ، أصله من خطران الفحل بذنبه ، يرفعه مرة بعد مرة ، من نشاطه وصولته . واللبون : الناقة ذات اللبن . وابن لبون : ولد الناقة استكمل سنتين وطعن فى الثالثة ، فصارت أمه لبونًا ، لأنها تكون قد حملت حملا آخر ووضعته . وابن لبون ، كناية عن الضعف . ويروى : « ابنى لبون » ، وهى موافقة لما فى خبر الأبيات . يقول : أعذر الأقوياء إذا صاولونى طلبًا للغلبة ، ولكن ما عذر هؤلاء الضعاف ولا قبل لهم بصولتى .

( ٢ ) ادرى الصيد : ختله ، وأراد : ماذا يعتمدون ويقصدون بالمشاغبة ؟

فيجوز . ونحو هذا كثير ، وأهل البادية لا يُنكرونه . وأنشد سَلَمة ابن عيّاشٍ أباحَيّةَ النُّمَيْرِيّ ، كلمةً طويلةً جدًّا يقول فيها : [١]

طَرِبتَ ، وَما هذا بِحِينِ تَطرُّبِ ! ... وَرَأْسُكَ مُبْيَضُّ العِذَارَيْنِ أَشْيَبُ [٢]

قال له النُّمَيْرِيّ : أرى فيها عيبًا . قال : ما هو ؟ قال : لم أَرَكَ أعدتَ قافية بعدَ قافية . عَدَّه عيبًا . أظنُّه عابه إذ رأى أنَّه هَرَبَ منه .

٩٥ — والمُوَاطَأَةُ في الأمرِ ، يقال منه : وَاطَأْتُه على كذا وكذا ، [٣] ومنه : ﴿ لِيُوَاطِئُوا عِدَّةَ مَا حَرَّمَ اللهُ ﴾ [ سورة التوبة : ٣٧ ] ، أي ليوافِقُوا . [٤]

— كانت العرب تُحَرِّم أربعةَ أشهُرٍ من السَّنَة ، كما كان بأيديهم من إرْثِ إسماعيل بن إبراهيم عليهما السلام ، وكانت تَوَالَى عليهم ثلاثةُ أشهر : ذُو القَعْدة ، وذو الحِجَّةِ ، والمُحَرَّم ، فيطُولُ عليهم أنْ لا يغزُوا ولا يُحاربوا ، وكانَ لهم نَسَأَةٌ من بَنِي كنانة ، [٥] تُؤَخِّر المحرّم عامًا وتَرُدُّه

---

( ١ ) سلمة بن عياش : شاعر بصرى من مخضرمى الدولتين ، كان يتدين ويتصون ، وكان يعابث حماقة أبي حية النميري الشاعر ، فقال له يوماً يهزأ به : ويحك يا أبا حية ، أتدرى مايقول الناس؟ قال : لا ! قال : يزعمون أنى أشعر منك . قال : إنا لله ! هلك والله الناس !

( ٢ ) هكذا فى الأصل ، وعليها علامة الشك ( صـ ) ، وكأنه أراد أن يقول : « بحين فتطرب » ولكنه لم يكتب شيئاً . يقول : ماهذا بحين الطرب فتطرب . والطرب هنا : خفة المشتاق وصبوته لمن يحب . والعذاران من الإنسان : جانبا اللحية ، وهما العارضان .

( ٣ ) كتب فى المخطوطة : « كذى وكذى » ، وقد سلف مثله ص : ٥٣ ، تعليق رقم : ٢

( ٤ ) اختصر العامة هذين الخبرين فى أسطر ، نقد الشعر : ١١٠ .

( ٥ ) النسأة جمع ناسىء : لأنه كان ينسأ لهم الشهور ، أى يؤخرها ، فيحل الحرام ويحرم الحل. وبنو كنانة : هم بنو مالك بن كنانة بن خزيمة ، أخو النضر بن كنانة وهو قريش ، فأولئك هم النسأة دون سائر بنى كنانة .

عامًا ، وذلك قول الله عز وجل : ﴿ إِنَّمَا النَّسِيءُ زِيَادَةٌ فِي الْكُفْرِ ﴾ [سورة : التوبة : ٣٧] ، وهي في الذين يُريدون // أن يجعلوا أربعة حُرُمًا . . .

. . . . . المحرَّم ، عامَ حجَّة الوَداع من النبيّ صلى الله عليه ، الشهر الذي حرَّمه الله بعَينه ، [1] فقال : « إنَّ الزَّمانَ قد استَدار كَهيْئَتِه يَوْمَ خَلَقَ اللهُ السَّمٰوَاتِ والأَرْضَ » .

— وكان الذي يُسْمِعُ النَّاس عنه صلى الله عليه ، رَبيعَةُ بن أُمَيَّة ابن خَلفِ الجُمَحيّ ، وكان في صوته رُفَاعٌ . [2] فأصاب بعد ذلك في عهد عمرَ بن الخطّاب حَدًّا بالشَّأم ، فضُرِب فأدركتْه الحَمِيَّةُ ، فلحق بالرُّوم ، فهلك فيهم ، فكَرِه الناسُ بعد ذلك أن يُقيموا حدًّا بأرْض العدوّ .

— وكانت العربُ تُسمّى رَجَبًا : الأَصَمّ ، يسمُّونه مُنْصِلَ الأَسِنَّة ، وكانوا يُنصِلُون أَسِنَّتهم فيه لِوَضْعِ الحرب ، [3] قال دُرَيد بن الصِّمَّة :

تَدارَكَهُ في مُنْصِلِ الأَلِّ بَعْدَمَا ... مَضَى غيرَ دَأْدَاءٍ وقَدْ كادَ يَعْطَبُ [4]

---

( ١ ) النقط موضع بعض سطر أكلته الأرضة ، ومعناه مفهوم من سياقة حديثه ، أراد : أن الآية نزلت في الذين يريدون أن يجعلوا أربعة حرماً على ما يؤخر لهم النسأة ، فلما وافق المحرم عام حجة الوداع . . . وسميت حجة الوداع ، لأن المسلمين تودعوا من نبيهم صلى الله عليه وسلم في هذه الحجة ، وكانت آخر حجة ودع فيها البيت الحرام ، حتى قبض صلى الله عليه وسلم .

( ٢ ) رفاعة الصوت ورفاعته ( بالفتح والضم ) جهارته ، ورجل رفيع الصوت . ولم أجد « الرفاع » في المعاجم ، ولكن فعال وفعالة يتعاقبان كثيراً في المصادر فيما تتبعته منها .

( ٣ ) سمى رجب الأصم : لأنه كان لا يسمع فيه صوت مستغيث ، ولا قعقعة سلاح ، لحرمته ووضعهم أسلحتهم . وأنصل النصل : نزعه من الرمح والسهم .

( ٤ ) البيت ثابت في ديوان الأعشى : ١٣٨ ، وفي الأصل « تداركته » ، وهي خطأ في سياق الشعر . والأل : جمع ألة : وهي الحربة . يقول : تداركه وأنقذه آخر يوم من رجب ، ولولا ذلك لقتل =

والدَّأْداةُ : الليلةُ التى تـكون فى آخر الشهر يُشَكُّ فيها .

٩٦ — [1] والسِّنَادُ : وهو أن تَخْتلِف القوافى نحو : « نَقِيبٌ ، وعَيْبٌ ؛ وقَرِيب ، وشَبْب » ، منه قول الفضل بن العباس اللَّهَبِىّ : [2]

عَبْدُ شَمْسٍ أَبِى، فإنْ كُنْتِ غَضْبَى ... فامْلَئِى وَجْهَكِ الجَمِيلَ خُمُوشَا[3]

وقال :

* وبنا سُمِّيَتْ قريشٌ قُرَيْشَا * [4]

وقال :

* ...... وَلاَ تَمَلَّيْتُ عَيْشاَ * [5]

وقال عدىُّ بن زَيْد :

---

= فإنه إذا انسلخ حل لهم القتل والقتال. وفى المخطوطة : «دأداة» و « الدأداة» بالتاء ، والذى فى كتب اللغة ، وفى الديوان وغيره : « دأداء » بالهمز فى آخره: وفيها أيضاً « دأداءة» بالمد . وأثبت ما فى الأصل لأنى أراه جائزاً .

( ١ ) من أول رقم : ٩٦ ، إلى آخر : ٩٨ ، رواها الرزبانى فى الموشح : ٢٢ ؛ ٢٣ ، واختصره قدامة فى نقد الشعر : ١١٠ ، ١١١ .

( ٢ ) الفضل بن العباس بن عتبة بن أبى لهب بن عبد المطلب بن هاشم ، نسب إلى جده أبى لهب .

( ٣ ) قوله : «عبد شمس أبى» وهو هاشمى صلبية، لأن أم عتبة بن أبى لهب، هى أم جيل بنت حرب ابن أمية بن عبد شمس ( أخت أبى سفيان ) . ورواه ابن كيسان فى تلقيب القوافى : ٥٦ « هاشم معشرى »، وهو واضح .

( ٤ ) صدره فى نقد الشعر : ١١١ : « نحن كنا سكانها من قريش » وفى تلقيب القوافى : « نحن سكانها وفينا رباها »، وانظر مثل هذا الشعر فى أخبار مكة للأزرقى ١ : ٦١ ، منسوبا إلى تبع ، وفى المزهر ١ : ٣٤٤ منسوباً إلى المشمرج بن عمرو الحميرى .

( ٥ ) صدره فى تلقيب القوافى : « واسألى لاحييت عنا وعنكم ، بصلاح ، ولا . . . . »

فناَجَاها ، وقدْ جُمِعَتْ فُيُوجاً  عَلى أبْوابِ حِصْنٍ مُصْلِتِينَا[١]
فَقَدَّمتِ الأَديمَ لِرَاهشَيْهِ  وأَلْفَى قولَها كَذِباً ومَيْنَا[٢]

قال المفضَّل : « كَذِباً مُبِينَا » ، فرَّ من السِّنادِ ، والروايةُ هى الأُولى. على قوله : « ومَيْنَا » .

٩٧ — وقال الفَضْلُ بنُ عبد الرحمن بن عبَّاس ،[٣] فى مَرْثِية زيد ابن علي [ بن الحسين رضى الله عنهم ] :

---

( ١ ) قصيدة عدى فى مجموع شعره : ١٨١ ، وتخريجها هناك ، ويزاد عليه : فى المستقصى ١ : ٢٤٣ ، ٢٤٤ ، ستة وعشرون بيتاً ، والأوائل لأبى هلال العسكرى : ٦٣ — ٦٥ واحد وعشرون بيتاً . ذكر عدى فى قصيدته خبر الزباء وغدرها بجذيمة الأبرش الملك . فى كل الكتب « فناجأها » والذى فى مخطوطة الطبقات أجود ، وأراد بقوله « فناجاها » ، الحديث الذى جرى بين جذيمة والزباء . و « الفيوج » هنا ، الحراس ، يدخلون السجن ويخرجون ، ويحرسون . وهو مثل هذا المعنى فى قول عدى نفسه :

ذلك خَيْرٌ من فُيُوجٍ على البابِ وقَيْدَينِ وغُلٍّ قَرُوصْ

يصف مجىء جذيمة ، وقد أدخل إليها فى حصنها مخدوعاً بما عرضته عليه من زواجها ، ورأى الحراس من حولها بأيديهم السيوف المصلتة .

( ٢ ) الأديم : الجلد المدبوغ ، الراهشان : عرقان فى باطن الذراعين ، وهو العرق النابض كما نعرف ، والجمع رواهش . والمين : الكذب يخالطه ختل وخديعة . وفى قصتها أنه قيل للزباء : احتفظى بدمه ، لاتصيب الأرض منه قطرة ، وإلا طالبك الطلب بثأره . فمن أجل ذلك قدمت له نطعاً وقطعت رواهشه عليه . ويروى : « وقددت » ، أى شققت الأديم على قدر ، حتى لا يسيل شىء من دمه .

( ٣ ) بن عباس بن ربيعة بن الحارث بن عبد المطلب ، ( معجم الشعراء : ٣١٠ ) كان شيخ بنى هاشم فى وقته ، وسيداً من ساداتهم ، وشاعرهم وعالمهم ، وهو أول من لبس السواد على زيد ابن على ، وشعره حجة ، احتج به سيبويه فى كتابه ١ : ١٤٦ وهو قوله :

إيّاكَ إيّاكَ المِـراءَ ، فإنّه  إلى الشرِّ دَعَّاءٌ وللشَّرِّ جالبُ

« . . . . . ليس ذا حين الجُمُودِ »[١]

ثم قال :

« . . . . . . . . . فوق العَمُودِ »

ثم قال :

« وكيفَ جُمودُ دمْعِك بعد زَيْدِ »

٩٨ — ومنه قول العرب : خرج [ القومُ ] برأسين مُتَسانِدَيْن ، أى هذا على حِيالِه وهذا على حِيَاله.[٢] وهو [ من ] قولهم : « كانت قُرَيْش يوم الفِجَار مُتَسانِدِين » ، أى لا يقودُهم رجلٌ واحدٌ .[٣]

٩٩ — وقال العجَّاج ، فأفرطَ وجاوز السِّنادَ ، مع حِذْقه :[٤]

ثُمَّ رأى أَهْلَ الدَّسِيعِ الأَعْظَمِ خِنْدفَ ، والجَدَّ الخِضَمَّ المُخْضَمِ[٥]

---

( ١ ) القصيدة كلها ـ أو أكثرها فى مقاتل الطالبيين : ١٤٩ ، وإن كان أبو الفرج قد حذف منها موضع الشاهد على السناد .

( ٢ ) الرأس : الرئيس . على حياله : وحده يكفى ما يقابله .

( ٣ ) أيام الفجار خمسة أيام فى أربع سنين ، بين بنى كنانة وهوازن ، وشهدها رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو ابن أربع عشرة سنة ، وكان ينبل على أعمامه ، أى يناولهم النبل . وانظر ابن هشام ١ : ٢٩٧ . ورقم : ٩٨ ، مذكور فى سر الفصاحة : ١٧٧ ، بنصه ، وانظر التعليق على رقم : ١٧٧ .

( ٤ ) ديوانه : ٦٠ وشرحه ( ٢٩٩ ) ، وردنا ما بين القوسين منه لتمام المعنى .

( ٥ ) فى المخطوطة : «خندفة الجد» وهو غريب ، وأثبت ما فى الديوان . الدسيع والدسيعة : العطية الواسعة . خندف بنت عمران بن الحاف بن قضاعة ، امرأة اليأس بن مضر بن نزار بن معد بن عدنان . سمى أولادها جميعاً باسمها ، فهم خندف ، وهم جذم العرب الأكبر . والجد : الغنى . والخضم : الكثير الخير ، شبه بالبحر . والمخضم : الواسع الموسم .

وعِلْيَةَ النَّاسِ وأَهْلَ الحُكَّمِ ‌ ‌ ‌ ‌ ومُسْتَقَرُّ المُصْحَفِ المرقَّمِ] [1]
/عِنْد كَرِيمٍ مِنْهُمُ مُكَرَّمِ ‌ ‌ ‌ ‌ [مُعَلِّمٍ آىَ الهُدَى مُعَلَّمِ]
مُبارَكٍ لِلأَنْبِيــــاء خاتَمِ ‌ ‌ ‌ ‌ وَخِنْدِفٌ هامَةُ هذا العالَمِ

فسانَدَ فى بيتين سِناداً فاحشًا أخذه الناسُ عليه .

١٠٠ — [2] وأخبرنى سَلَمة بن عيَّاش ، قال قلت لرُؤْبة : أَبُوكَ أشعرُ منك . قال : أنا أشعرُ مِنه . هو يقول :

« وخِنْدِفٌ هامَةُ هذا العالَمِ »

١٠١ — [3] وقال العجّاج : [4]

« يا ليتَ أيّامَ الصِّبَا رَوَاجِعاً »

وهى لغةٌ لهم ، سمعتُ أبا عَوْنٍ الحِرْمَازِىَّ يقول : « ليتَ أباكَ

---

( ١ ) « وعلية » هكذا قرأتها فى المخطوطة، وفى الموشح : ٢١٧ « وغاية الناس » . ورواية الديوان : « وذروة » ، و « علية الناس » ، أشرافهم وجلتهم ، والحكم جمع حاكم ، وجمعه حكام أيضاً مثل جاهل وجهل وجهال . أراد الحكام العرب المشهورين . المصحف : الجامع للصحف بين دفتين . والمرقم ، من رقم الكتاب ورقه : أعجمه وبينه . يعنى كتاب الله عز وجل ، نزل به الروح الأمين على قلب رسول الله صلى الله عليه وسلم . والأبيات بعده من صفته صلى الله عليه .

( ٢ ) رواه المرزبانى فى الموشح : ٢١٧ ، ثم أعقبه بقوله : « قال ابن سلام ... وقبل هذا البيت : «وغاية الناس وأهل الحكم» . فأفرط وجاوز السناد مع حذقه ... » ، فقدم وأخر .

( ٣ ) رواه المرزبانى فى الموشح : ٢١٧ ، والسيوطى فى شرح شواهد المغنى : ٢٣٦ .

( ٤ ) سيبويه ١ : ٢٨٤ . الخزانة ٤ : ٢٩٠ ، وزعم أنه من أبيات سيبويه الخمسين التى لم يعرف قائلها .

منطلقاً ، وليتَ زيداً قاعداً » . وأخبرنى أبو يَعْلَى : أن مَنْشأه بلادُ العجّاج ، فأخذها عنهم.[١]

١٠٢ — [٢] وقد تغلَط مَقَاحِيمُ الشعراء وثُنْيَانُهم — والمُقْحَم : الذى يَقتحم سِنًّا إلى أخرى ، ليس بالبَازِل ولا المُستَحكِم . والثُّنيانُ : العاجزُ الواهنُ ، قال أَوْس بن حَجَر :

وقد رَامَ بَحْرِى قَبْلَ ذَلِكَ طامياً ... مِنَ الشُّعراءِ كُلُّ عَوْدٍ وَمُقْحَمِ[٤]

وقال أوس بن مَغْراء :

ثُنْيانُنا ، إنْ أتاهُم ، كان بَدْأَهُمُ ... وبَدْؤهم ، إن أتانا ، كان ثُنْيانا[٥]

فيغلَطُون فى السِّين والصّاد ، والميم والنُّون ، والدّال والطّاء ، وأحرفٍ

---

( ١ ) الضمير فى « منشأه » يرتد إلى أبى عون الحرمازى . وفى الموشح وشرح شواهد المغنى : « وأخبرنى ، أو بلغنى » مكان « أبو يعلى »

( ٢ ) رواه فى الموشح : ٢٣ ، وحذف الشاهدين ، والعمدة ١ : ٩٨

( ٣ ) يعنى من الإبل ، فيلقى سنين من أسنانه فى عام واحد ، ولا يكون ذلك إلا للسيء الغذاء ، أو ابن المرمين . فكل شىء نسب إلى الضعف الشديد فهو مقحم . أما الثنيان ، فقد استخدمه كما ترى للمفرد والجمع ، وهو عندى بمنزلة «قنعان» يستوى فيه المذكر والمؤنث والمفرد والجمع . وعندى أنه فى الأصل جمع ثنى : وهو من الإبل الذى يلقى ثنيته إذا استكمل الخامسة وطعن فى السادسة ، فهو ضعيف بعد ، ولكنه فى طريقه إلى أن يكون بازلا . ثم استعملوا الثنيان ( جمع ثنى ) فى معنى المفرد ، وهو من الرجال ما دون السيد فى المرتبة . فمن أجل ذلك لم يجمعوه ولم يؤنثوه ، وتركوه على حاله نظراً إلى أصله الذى نقل عنه .

( ٤ ) ديوانه ، قصيدة رقم : ٤٣ . العود : الجمل المسن المدرب ، جاوز العاشرة من عمره ، أشد من البازل . يريد ، كل ضعيف وقوى من الشعراء .

( ٥ ) البدء : السيد الأول فى السيادة ، والمستجاد الرأى المستشار . والثنيان : الذى يليه . وقد مضى تفسيره .

يتقارب مخرجُها من اللسان ، [ تَشْتَبه عليهم ] .(١) أنشدنى أبو العطّاف:(٢)

أَرْمِى بِهـا مَطالِعَ النُّجُومِ رَمْىَ سُلَيْمان بِذِى غُضُونِ(٣)

وقال زُغَيْب بن نُسَيْر العَنْبرىّ :(٤)

نَظَرْتُ بأعْلى الصُّوقِ والبَابُ دونَه إلى نَعَمٍ تَرْعَى قوافى مسردِ(٥)

الصُّوق : السُّوقُ . ثم قال : « كُحَيْلٍ مُخْلَطِ » ،(٦) فقلت له : [ قل ] « مُنْعَقَدِ » فيصحُّ لك المعنى وتستقيمُ القوافى . قال : أجل ! فاستفدته فعاد إلى قوله الأوّل . وقال أبو الدَّهْماء العَنْبرى :

فَلاَ عَيْبَ فيهـا غيرَ أنّ جَنِينَها جَهِيضٌ وفى العَيْنَيْنِ منها التَّخاوُص(٧)

( ١ ) ذكر هذا مضموماً إلى السناد ، لأنه منه . قال الأخفش — بعد أن ذكر ما السناد وحده : — «أما ما سمعت من العرب فى السناد ، فإنهم يجعلونه كل فساد فى آخر الشعر ، وهو عندهم عيب . قال : ولا أعلم إلا أنى قد سمعت بعضهم يجعل الإقواء سناداً » ، كتاب القوافى : ٥٥ . فمن أجل ذلك ضمه ابن سلام إلى السناد . وذكر ابن رشيق ١ : ١٤٤ الإصراف ، وقال : « وهو أن تكون القافية دالا والأخرى طاء » ، وبعضهم يجعل الإصراف والإكفاء والإقواء كلها واحداً .

( ٢ ) انظر ماسيأتى من رقم : ٤٧٠ ، إلى رقم : ٤٧٢ .

( ٣ ) لم أعرف البيت ولم أفهمه ، وإن كان موجوداً فى الموشح : ٢٣ .

( ٤ ) فى الموشح : ٢٣ « رغيب بن قيس العنبرى » ، ولم أجده ، ولا أعرف صحة اسمه .

( ٥ ) لم أعرف البيت ولا كيف أضبطه ، ولم أفهم معناه فتركته كما هو . وهو فى الموشح : ٢٣ .

( ٦ ) فى الموشح : ٢٣ : « عجيل مخلط » وهو خطأ . وإنما هو كحيل بالتصغير : وهو القطران تطلى به الإبل الجربى . والمعقد : من قولهم عقد القطران والعسل وأعقده : طبخه حتى يخثر ويغلظ .

( ٧ ) الجهيض : الولد يلقى من بطن أمه لغير تمام قبل أن يستبين خلقه . والتخاوص : أن يغمض بصره عند نظره إلى عين الشمس ، يريد ضيق العينين وغؤورهما من الضعف ، يصف ناقته .

ثم قال : « بالثياب الطيالسُ » ، ثم قال : « والماءِ جامسُ » . وكان يقول : « الصَّويق »[1] وبرٌّ مكيول ، وثوبٌ مَخيوط » . // وقال أبو الدَّهماء يهجو شُوَيْعِرًا من عُكل — وكان أبو الدهماء أفصَحَ الناس — فقال يذكر جُرْدانه :

وَيْلُ الحَبالى إذ أصاب الرَّكَبَا　　يَسْتَخرجُ الصِّبْيان منه خِذَما

* * *

١٠٣ — واستحسن الناسُ من تشبيه امرئ القيس :[2]

كأنّ قُلُوبَ الطَّيْرِ رَطْبًا ويابِسًا　　لدَى وَكْرِها العُنَّابُ والحَشَفُ البالِى[3]

وقولَه :

كأنّى بِفَتْخَاء الجَناحَيْنِ لَقْوَةٍ　　دَفُوفٍ منَ العِقْبان، طأطأتُ شِمْلالِ[4]

---

(١) « الصويق » هو : السويق : وهو شراب يتخذ من الشعير والحنطة .

(٢) عاد ابن سلام إلى ماقطعه باستطراده منذ آخر الفقرة : ٨٥ ، وهذه الفقرة كلها اختيار من قصيدته النبيلة التى أولها : ( ديوانه : ٢٧ )

ألا عِمْ صباحاً أيها الطَّلَلُ البالى　　وهل يَعِمَنْ من كان فى العُصُر الخالى

وانتزع الأبيات انتزاعاً على غير ترتيب الشعر ، وكلها مفردة .

(٣) البيت فى صفة العقاب ، تصطاد الطير وتحمله إلى وكرها فتأكله وتدع القلوب لاتأكلها ، فلا يزال بعضها طرياً غضاً كالعناب — وهو ثمر أحمر غض ذو ماء كثير — وبعضها قد جف وتقبض حتى كان كالحشف البالى — وهو التمر لم يكد يظهر له نوى ، فإذا تقادم صلب وتجمد . والبالى : القديم الفاسد .

(٤) البيت تشبيه لفرسه بالعقاب التى يصفها . والباء مسوقة من بيت سبق ، وهو قوله : « وقد أغتدى والطير فى وكناتها . . . » « بمجلزة قد أترز الجرى لحمها » . يقول : بل كأنى =

وقولَه :

بِعِجْلِزَةٍ قد أتْرَزَ الجَرْىُ لَحْمَها ، كُمَيْتٍ ، كأنَّها هِرَاوَةُ مِنْوَالِ[١]

وصُمٍّ حَوامٍ ما يَقِينَ من الوَجَى، كأنّ مكانَ الرِّدْفِ منْها على رَالِ[٢]

وقولَه :

نَظَرْتُ إليها ، والنُّجُومُ كأنّها مَصابيحُ رُهْبانٍ تُشَبُّ لقُفَّالِ[٣]

---

= أغتدى بفتخاء الجناحين . والفتخاء : هي العقاب ، وصفت بذلك للين جناحيها ، لأنها إذا انقضت ، كسرت جناحيها كسراً يدل على أشد اللين ، تقلبه كيف شاءت . والفتخ : اللين والتثنى . واللقوة صفة أخرى للعقاب ، لأنها تلقى نفسها فى انقضاضها خفيفة سريعة الاختطاف . دفوف : حسنة الدنو من الأرض فى انقضاضها ، وهى تضرب بجناحيها . وشملال : خفيفة سريعة ، وهذه آخر صفاتها ، يريد بها سرعة اختطافها وإصعادها محلقة . وقوله « مأطأت » يريد طأطأتها : حثثها وحركتها . وأتى بها فاصلة معترضة قبل « شملال » ليزيد فى سرعة انطلاقها .

( ١ ) مضى صدر هذا البيت فى التعليق الماضى . والعجلزة : الفرس الصلبة الشديدة الأسر ، صفة للأنثى ، لا يوصف به الذكر . وأترز الجرى لحم الفرس : أيبسه وشده ونفى رخاوته . والكميت : صفة للفرس ، لونها بين الأحمر والأسود، والعرب تجد الكميت أقوى الخيل وأشدها حوافر . والهراوة : العصا . والمنوال : النساج الذى ينسج على النول . والمنوال أيضاً : نول النساج . وهو يتخذ عصاه من أصلب الخشب وأملسه ، ويزيدها العمل املاساً . شبه فرسه بها فى اندماجها وصلابتها وملاسة أديمها .

( ٢ ) يصف فرساً آخر ذكراً كان يركبه للغارة . الواو عاطفة على صفات أخرى لهذا الفرس سبقت . والصم جمع أصم . حافر أصم وحجر أصم : صلب مصمت . الحوامى جمع حامية ، وحوامى الفرس : ميامن حوافره ومياسرها، أى حروفها عن يمين وشمال . ويروى « وصم صلاب » . ووقى الفرس من السيرىق : إذا هاب السير من وجع يجده فى حافره حين رق من صلابة الأرض . وصلابة الحافر من أحمد ما فى الخيل . الوجى مايصيب باطن الحافر الرقيق من الحفا فيظلع . مكان الردف : من كفل الفرس ، حيث يركب الردف خلف الفارس . والرال مخفف الرأل : وهو ولد النعامة . يعنى أنه مشرف ، ويستحب من الفرس إشراف عنقه وإشراف ردفه . وفى المخطوطة : « حوامى » وتحت الميم كسرتين ، وهى الكتابة القديمة

( ٣ ) هذا من أبيات امرىء القيس التى صرفها الشراح إلى غير معناها . والضمير فى قوله : « نظرت إليها » للمرأة التى وصفها كأنها نار من جمالها وتوقدها، كأنها تهديه وتقوده إليها، و ذلك -

كأنَّ الصُّوَارَ ، إذْ تجاهَدْنَ غُدْوَةً    على جَمَزَى،خَيْلٌ تَجولُ بأجلالِ (١)

وقولَه :

[ أيقتُلُني والمَشْرَفِيُّ مُضاجِعِي ] ،    ومَسْنونَةٌ زُرْقٌ كأنيابِ أغْوَالِ ؟ (٢)

١٠٤ — وقولَه :

كأنِّي غَداةَ البَيْنِ حِينَ تَحمَّلوا    ، لَدَى سَمُرَاتِ الحَيّ،نَاقِفُ حَنْظَلِ (٣)

وقولَه :

مِكَرٍّ مِفَرٍّ مُقْبِلٍ مُدْبِرٍ مَعاً    كجُلْمودِ صَخْرٍ حَطَّه السَّيْلُ مِنْ عَلِ (٤)

---

=في ليلة غاب قمرها،فاشتد لألاء نجومها ،فكأنها مصابيح رهبان في دير ،مفرد في الصحراء ،فرقوها وشبوها ليهتدى بها المسافرون من بعد . والقفال جمع قافل : وهو الراجع من سفره . وأراد المسافرين، بلا قيد ، ذاهبين أو آيبين .

( ١ ) البيت في حديث صيد بقر الوحش ؛ والصوار : القطيع من البقر . تجاهدن : بذلن غاية الوسع واجتهدن في العدو لما روعهن . وهكذا روى « على جمزى » ، وجمزى : عدو شديد فيه نزو . وقيل : موضع . وأجود الروايتين : « على جمد » . والجمد : المكان الصلب الغليظ وذلك أجهد لهن . والأجلال جمع جل : وهو مايوضع على متن الفرس يصان به . وبقر الوحش بيض الظهور سود القوائم ، فهو يشبهها وهي تعدو من بعيد ، بخيل مجللة قد أسرعت الحضر فجالت عليها أجلالها البيض . وإنما أراد تشبيه حركة عدوها وهي تخطف خطفاً .

( ٢ ) هذا في حديث آخر، يهزأ ببعل امرأة دب إليها، ويصف الهول الذي وقع في قلبه من الإقدام على قتله ، مع شدة غيرته . المشرفي : السيف ينعت بالجودة ، منسوب إلى مشارف الشام أو اليمن ، وهي التي تشرف على حد الريف . والزرق : نصال الرماح والسهام ، نعتت بالزرقة لشدة التماعها وبريقها ،فهي ترى زرقاً .

( ٣ ) في هذه الفقرة شواهد التشبيه من معلقته ، على غير ترتيب السياق . البين : الفراق . وتحملوا : حملوا متاعهم وهوادجهم على الإبل استعداداً للرحيل . والسمرات جمع سمرة : وهي من شجر الطلح . وناقف الحنظل ينقفه: شقه بظفره ليستخرج حبه . والحنظل شديد الرائحة تدمع معها العين . يصف هيئة وقوفه تحت ظلال السمرات ، ينظر إلى أهل صاحبته وهم على وشك الرحيل ، فهو منكس الرأس ، مستسلم لما هو فيه ، يفتل أصابعه ليخفي لواعج قلبه ، ودمعه يتحدر لا يملك رده ولا يحاول كفكفته بيد أو رداء . ولذلك شبه نفسه بناقف الحنظل .

( ٤ ) يصف الفرس الذي خرج عليه للصيد . وهو من الأبيات التي تعاورها الشراح ليزيلوا تناقضها لقوله « مكر مفر معاً » ، وهما صفتان لا تجتمعان معا . والمكر : الحسن الكر،أي العطف=

وقولَه :

لَهُ أَيْطَلَا ظَبْيٍ ، وسَاقَا نَعامَةٍ ، وَإِرخاءُ سِرْحانٍ ، وتَقْرِيبُ تَتْفُلِ [(١)]

وقولَه :

دَرِيرٍ كَخُذْرُوفِ الوَلِيدِ ، أَدَرَّهُ تَتابُعُ كَفَّيْهِ بِخَيْطٍ مُوَصَّلِ [(٢)]

وقولَه :

كُمَيْتٍ ، يَزِلُّ اللِّبْدُ عَنْ حالِ مَتْنِهِ كَما زَلَّتِ الصَّفْواءُ بِالْمُتَنَزَّلِ [(٣)]

---

= والرجوع إلى ما انصرف عنه . والمفر : الحسن القرار عما يريد أن ينصرف عنه . وما أراد امرؤ القيس إلا ما ظنوه تناقضاً يجب أن يزيلوه . فهو يصور سرعة انتقال فرسه من كر إلى فر ومن إقبال إلى إدبار حتى يعجز رائيه أن يفرق بين كرته وفرته ، لايكاد يقول كر حتى يراه فر . ثم شبه اجتماع بدنه وقوائمه وسرعته فى نزوه ، وشدة اندماجه فى ذلك ، بجلمود صخر حطه السيل من رأس الجبل فتدهدى يخطف على صفحة الجبل خطفاً ، يمسها مسة ثم يتقذف فى الهواء حتى يمس صفحة الجبل مرة أخرى ، وهكذا دواليك ، وفى خلال ذلك تبدو صفحة منه وتخفى أخرى مرة بعد مرة .

( ١ ) الإطل والأيطل : منقطع الأضلاع من الخاصرة . والظبى ضامر الخاصرتين ، وهذا مما يستجاد فى الخيل . وشبه ساقيه بساقى النعامة فى الطول وعريهما من الشعر وصلابتهما . الإرخاء : هو أعلى التقريب ، والتقريب : أن يرفع الفرس يديه معاً ويضعهما معاً ويرجم الأرض رجماً . والسرحان . الذئب . وإرخاؤه : عدوه . والتتفل : الثعلب . وعدوهما يشبه به هذان الضربان من العدو . وهو مما يمدح فى الخيل . وفى المخطوطة ضبط « تتفل » بضم التاء وفتح الفاء ، وهو صواب .

( ٢ ) فرس درير : مدمج الخلق يعدو عدواً شديداً لاينقطع . والخذروف : عود مثقوب فى وسطه ، يشد بخيوط ثم يدخل الصبي أصابعه فى أطراف الخيوط ، ثم يجذبها تارة ، ويرخيها تارة . فيدور حتى لا تضبطه العين من شدة دروره ، ويسمع له حفيف ورنين . يلعب به الصبيان . أدرت المرأة المغزل : إذا فتلته فتلا شديداً ، فرأيته كأنه واقف لايتحرك من شدة دورانه . والرواية المشهورة : « أمره » ، وأمر الحبل : فتله ، وأراد به إدارة الخذروف . والخيط الموصل : وصفه بذلك ، لأن الصبي قد لعب به حتى تقطع فوصله ، وصار أملس ، وذلك أشد لسرعة دوران الخذروف وإنما شبه فرسه بالخذروف فى سرعته واجتماع خلقه ، وصوت مروره فى الريح .

( ٣ ) الكميت من أشد الخيل ، ولونه حمرة يخالطها سواد . زل يزل : زلق . والحال من الفرس : موضع اللبد على ظهره وعنده مجتمع لحم المتنين ، والمتن : أراد متنيه ، وهو ما يكتنف =

وقولَه :

كأنَّ دِماءَ الهادِياتِ بِنَحْرِهِ ، عُصارَةُ حِنَّاءٍ بِشَيْبٍ مُرَجَّلِ (١)

وقولَه :

ولَيْلٍ كمَوْجِ البَحْرِ ، أَرْخَى سُدُولَهُ عَلَيَّ ، بأَنْواعِ الهُمُومِ لِيَبْتَلِى (٢)

---

= الصلب عن يمين وشمال . والصفواء والصفوان والصفاة : الصخرة الملساء . والمتنزل : الذى ينزل عليها متجشما حذراً . يصف ملاسة ظهره وارتفاع لحم المتنين على الصلب ، فلا يكاد لبد السرج يستقر عليه ، فهو ينزل مرة بعد مرة ، كالنازل على الصخرة الملساء ينزلق مرة هنا ومرة هنا ويتماسك .

( ١ ) الهاديات : أوائل الوحش التى تخرج لصيدها . والعصارة والعصير : ما يتحلب من الشىء إذا عصرته . والمرجل : المسرح . وهذا البيت أيضاً مما حير الشراح فدلسوا معناه . ذكر امرؤ القيس طول جرى فرسه حتى لحق أوائل الصيد الشارد ، فنضح عرقه وخالطه دم الصيد . وعرق الفرس يبيض إذا يبس ، فلما در عرقه ثانية شابت حمرة الدم بياض يبيس العرق وتحدر على نحره ، فهو كشيب يخضب بعصارة الحناء ويرجل ، وهى تقطر حمراء . ولولا ما أراد من ابيضاض العرق ، لم يكن للبيت ولا للتشبيه معنى . وإنما غرر بهم إدماج امرىء القيس لما يريد من ذكر تحدر العرق المخالط للدم فى قوله « عصارة حناء » ، فلما أغفل ذكر العرق ظنوا التشبيه واقعاً على الدماء فى نحره ، وهو خطأ ، لأن الفرس الذى وصفه كميت لا مصدر ، وهو الأبيض الصدر . وانظر خبراً طريفاً فى شرح البيت ، الذخيرة لابن بسام ٤ / ١ / ٢١ . الاستبصار للبطليوسى : ٣٥ — ٣٧ .

( ٢ ) وهذا البيت أيضاً مما زعم الشراح أنه شبه الليل فيه بموج البحر فى ظلمته ووحشته وهوله ، وأن قوله « بأنواع الهموم » متعلق بـ « أرخى على » . والتشبيه الذى زعموه هو هنا فاسد فيما أرى . والموج فى البيت مصدر لا اسم . وأصل سياقة البيت « وليل يموج بأنواع الهموم ليبتلى ، موجاً كموج البحر أرخى على سدوله » . فظلمة الليل فى قوله « أرخى على سدوله » ، أما التوحش والهول فهو توحش الهموم الطاغية المتضربة عليه فى ظلام الليل . وهذا أحق بامرىء القيس ونبالة معانيه . ومن تأمل عرف ما فيه من الروعة والإيجاز والمح البعيد القريب للمعانى المختلفة . وههنا أمر مهم ذلك أن الحذف الطويل فى شعر امرىء القيس خاصة ، وفى شعر غيره كثير ، فمن ذلك قول امرىء القيس :

إذا قامتا تَضَوَّعَ المِسْكُ منهما نسيمَ الصَّبَا جاءت بريَّا القرنفلِ

ومعناه : تضوع تضوعاً مثل تضوع نسيم الصبا =

قوله :

فَيالَكَ من لَيْلٍ كأنَّ نُجومَهُ ... بأمْرَاسِ كَتَّانٍ إلى صُمِّ جَنْدَلِ (١)

خَيَّرُوا بينه وبين قول النابغة :

---

= وقال أيضاً فى صفة سهم :

بِرَهِيشٍ مِنْ كِنَانته ... كتَلَظِّى الجَمْرِ من شَرَرِهْ

أى يتلظى تلظيا كتلظى الجمر . وقال صخر الغى يصف البرق :

أرِقْتُ له مِثْلَ لَمْعِ البَشِيرِ ... يُقَلِّبُ بالكَفِّ فَرْضًا خفيفَا

أى أرقت للبرق وهو يلمع مثل لمع البشير .

وفى كتاب الله سبحانه : «فإذا جاء الخوف رأيتهم ينظرون إليك تدور أعينهم كالذى يغشى عليه من الموت» ، قال العز بن عبد السلام : «تقديره : ... ينظرون إليك دائرة أعينهم دوراناً كدوران عين الذى يغشى عليه من حذر الموت» . فهذا باب ينبغى إحكامه لن أراد أن يستوعب ذكاء العربية ، انظر كتاب الإشارة والإيجاز للعز : ٥ ، باب الحذف ، والأشباه والنظائر للسيوطى ١ : ١٤١ وما بعدها .

( ١ ) هكذا رواه ابن سلام وبعض الرواة غيره ، ورواية سائرهم :

فَيالَكَ مِنْ لَيْلٍ ، كأنَّ نُجُومَهُ ... بكلِّ مُغَارِ الفَتْلِ شُدَّت بيَذْبُلِ

كأنَّ الثُّرَيَّا عُلِّقَتْ فى مَصَامِها ... بأمْرَاسِ كَتَّانٍ إلى صُمِّ جَنْدَلِ

أغار الحبل : فتله فتلا شديداً محكماً فهو مغار . ويذبل : جبل فى نجد . والثريا : ستة نجوم ظاهرة ، وبينها كواكب خفية كثيرة العدد ، وهى جميعاً تسمى : النجم ، جعلوه كالعلم لها . ومصام النجم : معلقه ومكانه فى السماء ، من الصوم : وهو القيام بلا عمل ولا حركة . والأمراس جمع مرس : وهو الحبل الشديد الفتل . والصم جمع أصم : وهو الصلب . والجندل : الصخور العظام الشداد .

ويكاد المتعجل يرى أن معنى البيتين واحد ومكرر ، وهو فساد فيه . يبدأ لى أرى أن امرأ القيس رمى فى البيت الأول إلى غير ما رمى فى الثانى : والبيتان تابعان لما تقدم فى أبياته عن الليل ، مع ما احتدم فى صدره من الهم المتلاطم ، والليل لا يزال « يتمطى بصلبه » أى يمتد ويتطاول ، ويتمنى صاحبنا أن ينجلى بصبح ، وكل ذلك فى أوسط الليل وبعده . فنظر فى النجوم عامة فرآها مبهمة لا تسير ولا تتحرك ولا يكاد يختلف مكانها من السماء ، فشدها بالحبال الغليظة إلى شىء ضخم ثابت مبهم أيضاً لا يزول من مكانه ، وهو يذبل ( الجبل ) . هذا البيت الأول . أما الثانى ، فإنه رأى الثريا تزهر وتتلألأ ، =

فإنك كالليلِ الذى هُوَ مُدرِكى ... وإنْ خِلتُ أنّ المُنتأى عنكَ واسِعُ[1]

فزعم بعضُ الأشياخ أن بيتَ النابغةِ أحكَمُهما .

/ وقوله :

= وهى تنصب للمغيب قبيل الفجر ، ولكنها حركة خفية ثقيلة بطيئة ، فأخرج من جميع ذلك تشبيهه ، فرآها كأنها شدت بأمراس من الكتان الأبيض إلى صخور ضخام مجرها ، فلا يكاد يرى حركة هويها للمغيب إلا بطيئة ثقيلة . ولكنها حركة على كل حال .

ومن أجل ما يعرض من توهم التكرار ، اختصر بعض الرواة رواية البيتين ، فجعلهما بيتاً واحداً ، كما رأيت فى صنيع ابن سلام أو من روى عنه . ثم انظر الكامل لأبى العباس ٢ : ٦٧ ، وتعليق شيخنا المرصفى عليه فى رغبة الآمل ٦ : ٢٣٤ .

(١) ديوانه: ٤١ ، ٥٢ . لا أرى وجهاً للتخيير والموازنة . ويا بعد مابين موقع كل منهما من سياقه ومعناه . فامرؤ القيس أراد ما رأيت من بطء الليل وثقله عليه . والنابغة أراد شيئاً يخالفه كل المخالفة حين ذكر الليل . وللشراح كلام كثير ، ولكنه كلام ! قال بعضهم : لا معنى لتخصيص الليل ، لأن النهار يدركه كما يدركه الليل . ( انظر الأزمنة والأمكنة ١ : ١٦٦ ) مثلا . ثم تراجعوا القول بينهم بما لاغناء فيه ، فإن النابغة يقول للنعمان بن المنذر :

فإن كنتُ لاذُو الضِغْنِ عَنّى مكذَّبٌ ... ولا حَلِفِى على البراءة نافِعُ

ولا أنَا مأمونٌ بشىء أقولهُ ... وأنت بأمرٍ لا محالةَ واقعُ

فإنك كالليل . . . . .

يقول : فإن كان شأنى أنا ــ فيما رمانى به عدوى عندك ــ أن لا أجد منك إنصافاً ولا حيلة ، فلا الواشى المضطغن مكذب لما تعرف من ضغنه وعداوته ، ولا حلفى لك على براءتى مما قرفنى به ينفع ، ولا حسن ما أحتال به من القول يجدى على فى ابتغاء مرضاتك حتى أنال الأمن من سطوتك ، وكان شأنك أنت أنك قد طويت عزمك على الإيقاع بى لا محالة ، ولا مهرب لأحد مما تريد ــ فإنما مثلى فى كل هذا ومثلك : كالسائر نهاراً فى أرض مرهوبة مخوفة ، لا ينجو أحد من غوائل ليلها مهما حرص واحتال . وإنه ليبصر فى نهارها كل حيلة تنجيه من مخاوفها ، وكلما نجا من مخوف أوهمته نجاته أن الليل بعيد ، وإنه خليق أن يخلص منها قبل أن يدركه ، ولكن الليل مدركه لامحالة بغوائل لاينجو عليهن ناج أبداً .

بهذا تعلم أنه لا وجه للتخيير بين البيتين ، إلا أن يراد بالتخيير الموازنة بين قدرة الشاعرين فى البيان وحده .

. . . . . . . . . . . . تَرَائِبُهَا مَصْقُولَةٌ كَالسَّجَنْجَلِ[١]

هى المرآة بالرومية .

وقوله :

إذَا ما الثُّرَيَّا فى السَّماءِ تَعرَّضَتْ  تَعَرُّضَ أَثْناءِ الوِشَاحِ المُفَصَّلِ[٢]

---

(١) الترائب جمع تريبة : وهى أربع أضلاع من يمنة الصدر وأربع من يسرته ، وهى موضع القلادة من الصدر . وصقل الشىء : جلاه . والسجنجل كما قال ـ المرآة بالرومية، وكانت الروم تصنع المرآة من خليط النحاس والقصدير أو الرصاص المعروف بالبرنز ، فإذا جلى صار بين الفضة والذهب فى لونه ، وكان من أجود صناعتهم . ومن أجل هذه الصفة خلط اللغويون قالوا : السجنجل : قطع الفضة وسبائكها . وقالوا هو ماء الذهب ، وقالوا: الزعفران ، وإنما جاء هذا الأخير من نفس هذا التشبيه ، لأن نساء العرب كن يطلين بالزعفران ، ولونه عندئذ كلون البرنز المجلو . قال المخبل :

والزَّعْفرانُ على تَرَائبِها  شَرِقٌ به اللَّبَّاتُ والنَّحْرُ

ولا أظن أن تشبيه امرىء القيس قد جاء إلا بعد الصفة التى وصف بها الترائب بقوله «مصقولة». فإن هذا النعت يحمل من معانى النعمة والترف وحسن الغذاء والصحة والامتلاء وغضارة البشرة ونضارتها واستوائها وخفاء العظام من تحتها ، وخلوها من الخشونة والمسام التى تكون كمغارز الإبر فى الأديم ، مالا يدرك إلا بالتأمل . والمرأة تعلم موضع الفتنة من هذا المكان، فهى تحتال للكشف عنه بما يزيده لألاء وبهجة ، والرجل يرى فيه من روائع الجمال ما لا يراه فى غيره ، ولذلك أمر الله نساء المؤمنين أن يضربن بخمرهن على جيوبهن .

(٢) ذكر ابن منظور فى كتابه « نثار الأزهار » : ١٠٩ هذا البيت ثم قال :

[ قال محمد بن سلام : أنشد يُونس النحوى هذا البيتَ الذى لامرىء القيس، فزَوَى وَجْهَه وجمع حاجبيه وقال : أخطأَ مع إحسانه، إن الثريَّا لا تعترض، إنما الاعتراض للجوزاء ، هَلاَّ قال كما قال ذو الرمة :

وَرَدْتُ اعتِسَافًا والثُّرَيَّا كأنَّها  على قِمَّة الرأْسِ ابنُ ماءٍ مُحَلِّقُ ]

وقال الوزير أبو بكر فى شرح ديوانه : [ قال ابن سلام : الثريَّا تعترض عند السقوط، كما أن الوِشَاح إذا طُرِح تلقَّاك بناحيته ] .

— قال : فأنكر قومٌ قوله : « إذا ما الثُّرَيا فى السماء تعرَّضَت » ،[1] وقالوا : الثريَّا لا تَعَرَّضُ . وقال بعض العلماء عَنَى الجَوْزَاء . وقد تفعل العربُ بعضَ ذلك ،[2] قال زهير :

فَتُنْتَجْ لَكُمْ غِلمانَ أشأَمَ ، كُلُّهُمْ ... كأحمرِ عادٍ ، ثم تُرْضِعْ فَتَفْطِمِ [3]

يعنى : أحمرَ ثمود . وقوله :

يَظَلُّ العَذَارَى يَرْتَمِينَ بِلَحْمِها ... وشَحْمٍ كَهُدَّابِ الدِّمَقْسِ المُفَتَّلِ [4]

١٠٥ — وقال يصف فرسًا :

---

= ونقلت هذين هنا ، لأنى أظنهما من أصل ابن سلام فى هذا الموضع أو فى موضع غيره مما سقط من كلامه عن شعراء هذه الطبقة . وقد نقل نص ابن سلام ، الأنبارى فى شرح القصائد السبع : ٥١ مع عيب فى نقله .

تعرضت : تحرفت وأبدت عرضها . والأثناء جمع ثنى : وهى ماانثنى من الوشاح . والوشاح : قلائد يضم بعضها إلى بعض ، تكون من لؤلؤ وجوهر منظومين مخالف بينهما ، معطوف أحدهما على الآخر ، تتوشح به المرأة ، فتشده بين عاتقها وكشحها . والمفصل : المرصع ما بين كل خرزتين منه بلؤلؤة أو ذهب ، وتعرض الثريا يكون عند انصبابها للمغيب فى زمان الدفء ، وذلك منها فى أول الليل أو بعده ، لقوله بعد « فجئت وقد نضت لنوم ثيابها » . والذى قاله يونس وغيره رأى منقوض . وقال : أبو عمرو بن العلاء : « تأخذ الثريا وسط السماء كما يأخذ الوشاح وسط المرأة »(شرح السبع الطوال : ٥١ ) .

( ١ ) هذا رأى يونس كما رأيت فى التعليق السابق .

( ٢ ) يقال : وهذا رأى أبى عمرو ، كما جاء فى كتب كثيرة ، منها شرح ديوان امرىء القيس : ٢٧ ، والذى نقلته آنفاً ، غير هذا .

( ٣ ) ديوانه : ٢٠ ، فى صفة الحرب وشبهها بالناقة ينزو عليها الفحل ثم تضع ، فوصف ماتلد لهم . غلمان أشأم : يعنى غلمان شؤم أشأم من كل مولود ، فاختصر . وقوله : ثم ترضع فتفطم أى ترضع أهلها العداوة والفجور والبغى ، ثم تفطمهم ، فيتم أمر الحرب .

( ٤ ) يذكر ناقته التى عقرها للعذارى بدارة جلجل . وترامى القوم بالشىء وارتموا : رمى به بعضهم بعضاً ، أو إلى بعض . هدب الثوب وهدبته وهدابه : ما تدلى من طرفه وخمله . والدمقس : الإبريسم والخز ، كالحرير . والمفتل : الذى لوى بعضه على بعض فتلا غير محكم . وإنما أراد خيوط =

بِذِى مَيْعَةٍ ، كأنَّ أدْنَى سِقاطِه ... وتَقْرِيبِه ، هَوْنًا ، دآلِيلُ ثَعْلَبِ (١)
عَظِيمٌ ، طويلٌ ، مُطْمَئِنٌّ ، كأنّه ... بأسْفَلِ ذى مَأْوانَ ، سَرْحَةُ مَرْقَبِ (٢)
لهُ أيْطَلاَ ظَبْيٍ وسَاقا نَعامَةٍ ، ... وصَهْوَةُ عَيْرٍ قائِمٍ فوقَ مَرْقَبِ (٣)
لهُ جُؤْجُؤٌ حَشْرٌ ، كأنّ لِجامَهُ ... يُعالَى به فى رأسِ جِذْعٍ مُشَذَّبِ (٤)

= الدمقس المتدلية التى جمعت ولويت، فى بياضها وامتلائها ولينها . ولم يرد امرؤ القيس أنهن يتقاذفن الشحم واللحم بينهن ، كما قالوا فى تفسيره ، بل أراد باختياره هذه الكلمة « يرتمين » أن يدلك على اجتماعهن حول ناقته وشوائها من هنا وهنا ، وأنهن لم يدعن الضحك والبهجة ، واستغرقهن اللهو والمزاح والتندر به ، وأن الضحك يميل بهذه ناحية وبأختها ناحية ، وهن يتهادين بينهن أطايب لحمها وشحمها ، تقول هذه : خذى ! وتلك : خذى أنت ! وهن يتعابثن ويتهاتفن ، غبطاً له وعبثاً به .

( ١ ) اختلفت الروايات فى هذه الأبيات ، وهى من القصيدة التى عارضه بأختها علقمة الفحل فى قصة التحكيم ، ودخل شعر أحدهما فى شعر صاحبه ، حتى صعب تخليص القصيدتين تخليصاً يطمأن إليه . « بذى ميعة »: متعلق بقوله فى البيت قبله « وقد أغتدى قبل العطاس بهيكل . . . ». ميعة الشباب والسكر والنهار وحضر الفرس : أوله وأنشطه وأسهله . وساقط الفرس سقاطاً فى عدوه : جاء مسترخياً . والتقريب ضرب من عدو الفرس ، والتقريب الأدنى يقال لها الثعلبية . ودآليل جمع دألان : وهو عدو متقارب فيه نشاط وسرعة . ويروى « ذآليل » بالذال جمع ذألان ، وهو مثله فى المعنى . وكان حق جمعها ذآلين ودآلين ، ولكنهم أبدلوا من النون لاماً ، اقتداراً على لغتهم . وقوله : « هوناً » ، أراد تقريباً ليناً غير مبالغ فيه ، ويروى « رسلا » وهى متقاربة المعانى.

( ٢ ) أراد بالاطمئنان هنا : سكونه فى صيامه وقيامه . وذو مأوان : مكان فى طريق مكة ، وهو واد . وهكذا فى المخطوطة بالهمز ، وأكثرهم على ترك الهمز ، قال ابن دريد : « يهمز ولا يهمز » . والسرح واحدته سرحة : شجر طوال عظام يستظل بها ، ينبت بنجد فى السهل والغلظ ولا ينبت فى رمل ولا جبل ، وهو مائل النبتة أبداً ، وميله من بين جميع الشجر فى شق اليمين . والمرقب هنا : الأرض المشرفة على ما حولها . شبه فرسه هنا بالسرحة الباسقة فى المكان المشرف.

( ٣ ) مضى تفسير صدر البيت فى رقم : ١٠٤ ص : ٨٤ . والصهوة : موضع اللبد من الفرس ، وهو مقعد الفارس منه . والعير : حمار الوحش . والمرقب هنا: ربوة أو علم يوفى عليه المرء لينظر من بعد . وقال أصحاب الصفات: إنه ليس فى الدواب أحسن صهوة من حمار الوحش إذا قام واستوى فى موقفه، وإنما يفعل ذلك عند إرادة الماء ، فهو يجمع أتنه ويحوطها ، ثم يوفى على ربوة يقلب طرفه فى الأرجاء حتى تدنو ساعة انطلاقه إلى الماء بصواحبه .

( ٤ ) الجؤجؤ : ملتقى الفهدتين من الفرس ، من أسافلهما إلى أعاليهما ، والفهدتان : اللحم =

وَعَيْنانِ كَالْمَاوِيَّتَيْنِ ، وَمَحْجِرٌ ... إلى سَنَدٍ مثلِ الرِّتاجِ المُضَبَّبِ (١)
إذا ما جرى شَأْوَيْنِ وابتلَّ عِطفُه ... تَقُولُ هَزِيزُ الرِّيحِ مَرَّتْ بأَثْأَبِ (٢)
كأنَّ دِماءَ الهادياتِ بنَحْرِهِ ... عُصارةُ حِنَّاءٍ بشَيْبٍ مُخَضَّبِ (٣)

١٠٦ — وقال أيضاً :

تَرُوحُ كأنَّها مِمَّا أصابَتْ ... مُعلَّقةٌ بأَحْقِيها الدِّلِيّ (٤)

---

= الناتىء في صدره . والحشر : اللطيف الدقيق الطرف . قال ابن قتيبة في المعاني الكبير : ١٣٥ : « وعرض الصدر محمود ، فأما الجؤجؤ والزور ، فيوصفان بالضيق . . . ويقال إن الفرس إذا دق جؤجؤه وتقارب مرفقاه ، كان أجود لجريه » . ورواية أبي عبيدة : « له عنق حشر » ، وهي جيدة . ويعالى : يمد به إلى أعلى ويرفع . والمشذب الذي استؤصل ما عليه من الأغصان ، فاستوى وبان طوله . وطول العنق واستواؤه مما يمدح به الفرس .

( ١ ) الماوية ، المرآة ، كأنها نسبت إلى الماء لصفائها ، وأن الصور ترى فيها كما ترى في الماء الصافي . المحجر : ما دار بالعين من العظم الذي في أسفل الجفن . والسند : ما ارتفع من الأرض في قبل الجبل ، وعلا عن السفح . والرتاج : الباب العظيم المغلق يكون فيه باب صغير وباب . والمضبب : الذي ألبس الحديد . يرى موقع عينيه الصافيتين ومحجره من رأس مشرف صلب ، كأنه باب مضبب بالحديد .

( ٢ ) الشأو : الشوط والمدى . والعطف : الجانب ، وهما عطفان لكل إنسان ودابة ، وأفرد على إرادة الاثنين ، وتقول : تظن ، كقول عمر : « فتى تقول الدار تجمعنا » ، أي تخال وتظن . وهزيز الريح : صوت حركتها . الأثأب : شجر واسم الظلال ينبت في بطون الأودية ، يستظل تحته الألوف من الناس . والفرس الجواد ذو عفو وعقب ، فالعفو أول عدوه ، والعقب أن يعقب حضراً أشد . ويستحب منه أن يعرق مرة ويجف مرة ، لأنه لو دام العرق لأضعفه ، وأن لا يعجل عرقه ولا يبطىء . ولذلك قال : « إذا ما جرى شأوين . . . » ، وذلك عندئذ أشد لجريه ، فإذا اضطرم في عدوه سمع له حفيف كحفيف الريح في الشجر المتكاثف .

( ٣ ) مخضب أراد ، يخضب ، ومضى تفسير بيته الآخر ص : ٨٥ ، تعليق رقم : ١ .

( ٤ ) هما في صفة المعزى ، وذكر قبلهما أنها رعت الربيع حتى حفلت ضروعها باللبن . تروح : تؤوب بعد المرعى عشياً . مما أصابت : من الربيع ، فامتلأت ضروعها . والأحقي جمع حقو : وهو الخصر والجانب . والدلي جمع دلو . يقول : هي تعود من المرعى حافلة الضروع ، كأن دلاء علقت بجنوبها .

إذَا ما قامَ حَالبُها أَرَنَّتْ كأَنَّ الحَيَّ صَبَّحَهمْ نَعِيُّ[١]

١٠٧ — أخبرنى يونس بن حبيب ، قال ، قال ذو الرُّمَّة : مَنْ أحسنُ الناس وصفاً للمطر ؟ فذكروا قولَ عَبيد :

دانٍ مُسِفٌّ فُوَيْقَ الأرضِ هَيْدَبُه يَكادُ يَدْفَعُهُ من قامَ بالرَّاحِ[٢]

فَمَنْ بنَجْوَتِهِ كَمَنْ بِمَحْفِلِهِ والمُسْتَكِنُّ كمَنْ يَمْشِى بِقِرْوَاحِ[٣]

— فجعلها يونس لعَبيد ، وعلى ذلك كان إجماعُنا ؛ فلما قدِم المفضَّل صَرَفها إلى أوْس بن حَجَر .[٤]

// وذكروا قولَ عبد بنى الحَسْحاس :[٥]

---

(١) أراد بالحالب : جماعة الحالبين ، لا واحداً . أرنت ، من الرنة والإرنان : وهو الصيحة الحزينة عند البكاء . جعل ثغاء الشاء عند الحلب ، واختلاط أصواتها كأنه صوت مأتم فجأهن نعى عزيز عليهن مع الصبح ، فهو أشد لبكائهن واختلاط أصواتهن .

(٢) هو عبيد بن الأبرص ، ديوانه : ٧٥ يصف السحاب والمطر . دان : سحاب قريب من الأرض . مسف : من أسف الطائر إذا دنا من الأرض دنواً شديداً وهو يرفرف بجناحيه ، يصف شدة تدليه كأنه طائر مسف . والهيدب : ما تدلى منه كهدب الثوب وخمله ، يخيل المرء لشدة دنوه وإطباقه أنه لو استوى قائماً لنالته يده .

(٣) يذكر مطره وكثرته ، ومكان البيت فى آخر القصيدة ، وإن رواه أكثر الرواة تالياً لسابقه . والنجوة نجوة الوادى ، فهى سنده المشرف الذى لا يعلوه السيل . والمحفل : حيث يحتفل السيل أى يجتمع ماؤه . والضمير فى «نجوته» و «محفله» للوادى ، وإن لم يذكر فى الشعر . والمستكن : الذى استكن فى بيته ، والكن : البيت . والقرواح : الأرض البارزة للشمس لا يسترها شىء . فمن شدة مطره وتدفقه وكثرته لا يجد الذى فى سند الوادى أو فى بطنه مخلصاً من سيله ، والمستكن فى بيته والسائر تحت السماء سواء فيما ينالهما من مائه .

والقصيدة من روائع الشعر ، فاطلبها فى الديوان ، أو فى مختارات ابن الشجرى .

(٤) ديوان أوس بن حجر القصيدة رقم : ٤ .

(٥) هو سحيم ، عبد بنى الحسحاس ، أحد أغربة العرب ، كان شديد السواد ، وأدرك الجاهلية يذكرون أن رسول الله صلى الله عليه وسلم تمثل بشىء من شعره — إن صح — فى خبر مذكور . وقد قتله مواليه فى خلافة عثمان لتمرضه لنسائهم .

نَعِمْتُ به ظَنًّا، وأيقنْتُ أنَّه ... يَحُطُّ الوُعُولَ والصُّخُورَ الرَّوَاسِيَا (١)

وما حَرَّكَتْه الرِّيحُ، حتَّى ظَنَنْتُه ... بحَرَّةِ ليلَى أو بنَخْلَةَ ثاوِيَا (٢)

فدَرَّ على الأنْهاءِ أوَّلُ مُزْنِهِ ... فعَنَّ طَوِيلًا يَسْكُبُ الماءَ سَاحِيَا (٣)

رُكامٌ يَسُحُّ الماءَ عن كُلِّ فِيقَةٍ ... ويُغْدِرُ في القِيعانِ رَنْقًا وصَافِيَا (٤)

ومَرَّ على الأجبالِ أجبالِ طَيِّئٍ ... كما سُقْتَ مَنْكُوبَ الدَّوابرِ حافِيَا (٥)

---

(١) ديوانه: ١٦ — ٣٣، وهي قصيدة من مستجاد أشعار الناس. وأرقام الأبيات التي أنشدها من ٨١ — ٨٦، ٩٠. نعمت به ظنا: الظن هنا بمعنى الرجاء والطمع. يقول: قرت به عيني وأنا أرجو غيثه وأطمع فيه. والضمير في «به» للسحاب الذي ذكره في أبيات سبقت. والوعول جمع وعل: وهي الأروى، تيس الجبل، لا يرى إلا في رؤوس الجبال، فإذا ألح المطر نزل إلى السفح. والصخور الرواسيا: الثابتات، يقتلعها ويهدهدها من شدته.

(٢) حرة ليلى القصوى، حرة بني سليم، من الحجاز ناحية المدينة. ونخلة: قريب من مكة. ثوى بالمكان: حل به وأقام. يقول: ولم تكد الريح تحركه لثقله، حتى ظننته سيلقى ماءه في هذا المكان أو ذاك.

(٣) در المطر يدر: صب ماءه مطرة بعد مطرة واندفق. والأنهاء جمع نهى (بفتح أو كسر فسكون): وهو حيث يجتمع الماء في طرف الوادي، فيصير غديراً. ولعله عنى بها هنا مكاناً بعينه كثير الغدران. والمزن. جمع مزنة وأراد المطر، والمزنة المطرة هنا لا الغيم الأبيض. وعن يعن: اعترض في الأفق. ويروى: «فعق»، أي انشق بمائه واندفق. الساحي: الذي يسحو الأرض ويجرفها ويقشرها من شدته. ورواية الديوان وغيره: ساجيا، بالجيم. والساجي: الساكن، لا يتحرك. يذكر سكون هذا السحاب وهو يريق ماءه.

(٤) الركام: السحاب الغليظ المتراكم بعضه فوق بعض، وذلك أشد لمطره. سح الماء يسحه: صبه صباً شديداً متتابعاً. و «عن» هنا بمعنى «بعد». والفيقة: أن تحلب الناقة ثم تترك ساعة حتى يجتمع لبنها، ثم يعاد حلبها. فأراد أن السحاب يسح المطر ثم يسكن شيئاً ثم يسح أخرى، فما بين السحين هو الفيقة. وغادر الشيء وأغدره: تركه، ومنه سمي الغدير، وهو مستنقع ماء المطر صغيراً كان أو كبيراً. القيعان جمع قاع: وهو أرض سهلة واسعة مستوية مطمئنة، لا حزونة فيها ولا ارتفاع ولا انهباط، لا حصى فيها ولا حجارة، ولا تنبت شجراً، وما حواليها أرفع منها، يصب فيها ماء المطر، ويصير غدراناً. الرنق: الماء الكدر من التراب والقذى. يصف شدة وقعه وتتابعه مرة بعد مرة، فيجرف الأرض، فغادر في القيعان غدراناً بعضها كدر وبعضها صاف.

(٥) جبال طيىء معروفة: أشهرها سلمى وأجأ. المنكوب: الفرس الذي نكبت الحجارة حافره، أو أثرت فيها فظلع وضعف مشيه. ودوابر الفرس: مؤخر حوافره، جمع دابرة، وهي =

جشٌ هَزِيمٌ سَيْلُهُ معَ وَدْقِهِ تَرَى خُشُبَ الغُلّانِ فيه طَوافيا(١)
بَكَى شَجْوَه واغتاظَ حتَّى حَسِبتُهُ من البُعْدِ لمّا جلْجلَ الرَّعدُ حاديا(٢)

فقال ذو الرُّمَّة : بل قولُ امرئِ القيسِ أجودُ حيث يقولُ :(٣)

ديمةٌ هَطْلاءُ فيها وَطَفٌ طَبَقَ الأرْضِ تحرَّى وَتَدِرّْ(٤)

---

= ما حاذى موضع رسنه . وفى المخطوطة «الدوائر» وليس بشىء . وحفى حافر الفرس حفاً ، فهو حاف : رق حافره من كثرة العدو وشدته ، فهو أشد لظلامه إذا نكبته الحجارة . يصف ثقل السحاب وبطء سيره من ثقل مائه وتراكمه ، شبهه بالفرس الين الحفا والظلع يساق سوقاً ليناً رفيقاً بطيئاً.

(١) الأجش : السحاب الغليظ صوت الرعد ، كصوت الطحن بالرحا : والهزيم : السحاب الذى يكون رعده متشققاً كأنه صخر يتآصف بعضه على بعض ويتكسر . والودق : قطر المطر إذا عظم واندفق : والغلان جمع غال : وهو بطن الوادى الذى ينبت الطلح والسلم . والطواف جمع طاف : وهى تعلو الماء طافية عليه . يصف شدة رعده ، وذلك من تراكمه واحتفاله ، وأن ما نزل منه صار سيلا ، ومع ذلك لم ينقطع ودقه بعد ، حتى اجترف شجر الوادى فهو طاف على وجه السيل .

(٢) الشجو : الهم أو الحزن يعترض فى القلب والنفس حتى يختنق صاحبه بالبكاء . وبكى شجوه : بكى حتى أنزف ما اختنق به من الدمع ، كأن السحاب كان قد اختنق بمائه فبكى حتى زال شجوه . واغتاظ من الغيظ : وهو أشد الغضب يتلجلج فى النفس ، يريد أنه حمى واشتد وعنف فجلجل الرعد كما يهدر المغيظ المحنق ، فحسب صوته من البعد البعيد حادياً يحدو بإبل معية حداء يجلجل فى أرجاء المفاوز . وهو كلام حسن يجود على التأمل .

(٣) قال الشنتمرى فى شرح ديوان امرىء القيس : « كان الأصمعى يحدث عن أبى عمرو بن العلاء أنه سأل ذا الرمة فقال : أى الشعراء الذين وصفوا الغيث أشعر ؟ فقال : امرؤ القيس . قال أبو عمرو ، فأنشدنى قوله : ديمة هطلاء . . . » . وذكر الجاحظ فى الحيوان ٦ : ١٣١ ، ١٣٢ ، الأبيات الثلاثة الأولى ، من شعر امرىء القيس ثم قال : « كان أبو عبيدة يقدم هذه القصيدة فى الغيث على قصيدة عبيد بن الأبرص أو أوس بن حجر » . وذكر البيتين السالفين (ص : ٩٢ ) ، ثم قال . « أنا أتعجب من هذا الحكم » . قلت : وأنا أتعجب من تعجب أبى عثمان ! ولم يرد فى المخطوطة غير البيت الأول والثانى ، ولكنى أتممتها لجودتها وسبقها ، ( ديوانه : ١٤٤ ) .

(٤) الديمة : مطر ساكن ليس فيه رعد ولا برق ، ولكنه يشتد ويدوم ، وأقل ما يسمى منه ديمة ما يدوم ثلث النهار أو ثلث الليل ، ثم يبلغ عدة أيام . والهطلاء ، وصف لما من الهطلان =

تُخْرِجُ الوَدَّ إذا ما أَشْجذَتْ وتُوَارِيهِ إذا ما تَشْتَكِرْ (١)

وَتَرَى الضَّبَّ خَفِيفاً ماهِرًا ثَانِياً بُرْثُنَهُ ما يَنْعَفِرْ (٢)

وتَرَى الشَّجْراءَ فى رَيِّقِها كَرُءوسٍ قُطِّعَتْ فيها الخُمُرْ (٣)

ساعةً ، ثُمَّ انْتَحَاهَا وَابِلٌ سَاقِطُ الأَكْنَافِ وَاهٍ مُنْهَمِرْ (٤)

---

= وَالْهَطِل: وهو المطر المتفرق العظيم المتتابع المسترخى . والوطف فى السحاب : أن يتدلى ويتساقط من نواحيه مسترخياً كأنه يحمل حملا ثقيلا من كثرة مائه ، وتكون فى السحابة أهداب كأهداب الخميلة . وطبق الأرض : وجهها وأديمها الواسع المتراحب . وهو منصوب بقوله « تحرى » ؛ ويروى بالرفع بمعنى الغشاء ، أى عم الأرض شملها كأنه طبق ، أى غطاء ، والنصب أحب إلى . وتحرى الشيء : قصده واجتهد فى طلبه وعزم على بلوغه . ودرت السحابة : صبت ماءها صبا كالدرة . يقول هذه الديمة التى وصفها تتحرى وجه الأرض تحريا كأنها طالبة جاهدة ساعية سعى صاحب العزم على بلوغ ماأراد ، وإسناد التحرى للديمة عجب فى البيان .

( ١ ) الود : جبل قرب جفاف الثعلبية . وجفاف الثعلبية من جفاف الطير ، وهى الطريق بين مكة والكوفة من أرض نجد . وأشجذ المطر : سكن وضعف ثم أقلع . واشتكر المطر : حفل واشتد وقعه . يقول إن هذه الديمة من كثافة ودقها إذا احتفلت طمست الود على ضخامته فلا يكاد يرى منه شيء ، فإذا أقلعت ، فكأنما هى تخرجه بعد أن احتوت عليه . وهذه أحسن عبارة عن كثافة المطر وظلمته .

( ٢ ) الماهر : الحاذق الجيد السباحة ، هنا . وبرثن الضب : بمنزلة الأصابع من الإنسان ، والضب أشبه الحيوان كفا بكف الإنسان . وثنى برثنه . قبضه وبسطه فى سبحه . والضب أحسن الحيوان سباحة . وقوله : ما ينعفر : أى لايجد عفراً ( وهو التراب ) فينعفر برثنه ، أى يصيب تراب الأرض ، وذلك من عظم السيل وارتفاعه . وكأنه ذكر النفر هنا ليدل على تباعد جانبى السيل ، فكأنه لوطلب اليابسة لما وجدها .

( ٣ ) الشجراء : اسم لجماعة الشجر واحدته شجرة . ولم يأت من الجمع على هذا المثال إلا أحرف يسيرة ، وإنما نظر فى الإتيان به إلى معنى الصفة للدلالة على تكاثف الشجر وتراكبه . وريق المطر : أول شؤبوبه قبل أن يشتد ويظلم . والخمر جمع خمار : وهو ما تتغطى به المرأة رأسها . والذى يغطى به الرجل رأسه هو العمامة . يقول : إن الأشجار المتكاثفة يعلوها السيل حتى يبلغ رؤوسها فيتضرب موجه ، ويكثر زبده وغثاؤه ، فتراها على وجه السيل كأنها رؤوس قطعت وعليها عمائمها البيض .

( ٤ ) « ساعة » ترد إلى البيت الأول ، أى ديمة تحرى وتدر فعلت ذلك فى الشجراء ساعة ، ثم انتحاها وابل . انتحى الشيء : قصده واعتمد ناحيته . والوابل : المطر الشديد الضخم القطر الحثيث . الأكناف جمع كنف : وهى النواحى والجوانب . وساقط الأكناف ، كأنه يدنو من =

رَاحَ تَمْرِيهِ الصَّبَا ، ثم انْتَحَى     فِيهِ شُؤْبُوبُ جَنُوبٍ مُنْفَجِرْ[١]
ثَجَّ حتى ضَاقَ عن آذِيِّهِ     عَرْضُ خَيْمٍ فَخُفَافٌ فَيُسُرْ[٢]
قَدْ غَدَا يَحْمِلُنِى فى أَنْفِهِ     لَاحِقُ الأَيْطَلِ مَحْبُوكٌ مُمَرّْ[٣]

= الأرض ويتهدم عليها ساقطا لايحبسه شيء. وَاه : قد استرخى من ثقله وشدته فهو لايتماسك . منهمر : سريع السكب متتابع متدفق .

( ١ ) راح : أى عاد فى آخر النهار بالمطر. ومرى ضرع الشاة يمريه : مسح ضرعها مسحاً متتابعاً حتى يدر لبنها . والصبا : ريح تأتى من قبل الشمال ، وتناوحها الدبور . والعرب تقول : إن ( الدبور ) تزعج السحاب وتشخصه فى الهواء ثم تسوقه ، فإن علا كشفت عنه واستقبلته (الصبا) فوزعت بعضه على بعض حتى يصير كسفاً واحداً ، و ( الجنوب ) تلحق روادفه به وتمده . ولذلك جمع امرؤ القيس بين الصبا والجنوب ، فجعل الصبا تمريه وتمسحه حتى يجتمع ماؤه كما يجتمع اللبن فى الضرع ، ثم اعتمدته الجنوب ففتحته وشققته بشؤبوب منفجر . والشؤبوب : دفعة المطر وشدته . والمنفجر : المتدفق المنسكب بأشد قوة .

( ٢ ) ثج المطر : صب صبا غزيراً مصمت الصوت من كثرته . والآذى : الموج المتلطم . وخيم وخفاف ويسر : أودية عظيمة من ناحية البحرين واليمامة إلى نجد . يقول : إن المطر ثج ثجا حتى سالت بالسيل هذه الأودية وضاقت عن مائه المتلاطم تلاطم أمواج البحر .

( ٣ ) أنف البرد وأنف العدو : أوله وأشده . والضمير فى أنفه راجع إلى السيل، وإن لم يذكر مبيناً ، ويعنى أشد سيلانه فى الوادى وتدفقه. لاحق : ضامر . والأيطل : الخاصرة والكشح . والمحبوك : المدمج الخلق . والممر : المفتول فتلا شديداً كأنه حبل محكم الفتل . يصف فرساً. يقول : إن هذا الفرس الضامر قد عدا به فى الوادى ، والسيل المتدفق من ورائه يتبعه على الأثر فلايدركه . فانظر كيف هول أمر المطر ، وهول سرعة السيل المتلاطم فى سبعة أبيات ، لكى يصف سرعة فرسه وشدة حضره فى بيت واحد ؟ ! صورة واضحة لاتحول ألوانها أبداً .

# الشكل الفنى والموضوع

لعل من أوضح المظاهر الدالة على اختلاف الشعر عن النثر ، لتسام كل فن منهما ، بصياغة فنية تختص به وحده ، وتختلف اختلافا واضحا عن الصياغة الفنية للفن الآخر شكلا وموضوعا • فمن ناحية الشكل الفنى، نلاحظ أن للشعر العربى ، صياغة فريدة ، تميزه عن غيره ، من فنون القول الاخرى• اذ انه كما يقول ابن خلدون (كلام مفصل قطعا قطعا متساوية فى الوزن متحدة فى الحرف الاخير من كل قطعة ، وتسمى كل قطعة من هذه القطع عندهم بيتا، ويسمى الحرف الاخير ، الذى تتفق فيه رويا وقافية ، وتسمى جملة الكلام الى آخره قصيدة وكلمة •

وينفرد كل بيت منه بافادته فى تراكيبه،حتى كانه وحده،كلام مستقل عما قبله وما بعده • واذا أفرد كان تاما فى بابه ، فى مدح أو تشبيب او رثاء ، فيحرص الشاعر على اعطاء ذلك البيت ، ما يستقل فى افادته ، ثم يستانف فى البيت الآخر كلاما آخر كذلك •

ويستطرد للخروج ، من فن الى فن ، ومن مقصود الى مقصود ، بان يوطىء المقصود الأول ومعانيه ، الى أن تتناسب المقصود الثانى ، ويبعد الكلام عن التنافر ، كما يستطرد من التشبيب الى المدح ، ومن وصف البيداء والطلول ، الى وصف الركاب او الخيل ، او الطيف ، ومن وصف الممدوح الى وصف قومه وعساكره ، ومن التفجع والعزاء فى الرثاء ، وأمثال ذلك • ويراعى

فيه اتفاق القصيدة كلها في الوزن الواحد ، حذرا من أن يتسامح الطبع في الخروج من وزن الى وزن يقاربه . فقد يخفى ذلك من أجل المقاربة على كثير من الناس)(١)٠

ويبدو أن هذا الشكل الفنى لم يطرأ على الشعر العربى دفعة واحدة ، ولكنه تكون على مراحل وفترات زمنية متباعدة ٠

فهم يذكرون أن الشعر بدأ رجزا وقطعا ، ثم قصد بعد ذلك (٢)٠

ويظهر أن البداية كانت أبياتا قليلة يقولها الرجل منهم فى خطب نزله، أو ملمة ألمت به ، ولم تقصد القصائد الا فى عهد عبد المطلب ، وهاشم بن عبد مناف ، أى قبل الاسلام ، بقرن ونصف من الزمان على وجه التقريب(٣)٠

وهذه الفترة من العصر الجاهلى ، تمثل الجاهلية القريبة عهد بالاسلام ، وهى التى أمدتنا بأخبار ومعلومات عن هذا العصر يمكن أن نثق بصحتها(٤)٠

ومن أخبار أدب هذا العصر عرفنا ، أن أول من قصد القصائد من الشعراء الجاهليين مهلهل بن ربيعة التغلبى(٥)٠

ويختلف النقاد فى عدد الابيات ، التى تكون القصيدة ، فيرى بعضهم ، أن الحد الادنى لذلك سبعة ، ويرفعه آخرون الى تسعة أو عشرة ، أو يزيد عن ذلك بقليل(٦)٠

وهى غالبا لا تتناول غرضا ، او موضوعا واحدا ، بل عدة موضوعات

---

(١) المقدمة ص ٥٣٤ ـ ٥٣٥ ٠
(٢) العمدة ج ١ ص ١٨٩ ٠
(٣) طبقات فحول الشعراء لابن سلام ص ٢٣ ٠
(٤) Nichleson. Aliterary History of the Arabs, p. 71.
(٥) طبقات فحول الشعراء ص ٣٣ ٠
(٦) العمدة ج ١ ص ٧٤

وأغراض ، قد يكون بعضها بمثابة تمهيد للاخر • فقد تبدا ببكاء الاطلال والنسيب ، ثم وصف الرحلة ، ويتخلص الشاعر من ذلك الى الغرض الرئيسى وكثيرا ما يكون المدح •

ويرجع ابن قتيبة (٢٧٦ هـ) تعدد موضوعات القصيدة على هذا النحو ، الى بواعث نفسية وعوامل بيئية ، فيقول (وسمعت بعض أهل الأدب يذكر أن مقصد القصيد ، انما ابتدأ فيها بذكر الديار والدمن والآثار ، فبكا وشكى، وخاطب الربع واستوقف الرفيق ، ليجعل ذلك سببا ، لذكر أهلها الظاعنين عنهـا •

اذ كان نازلة العمد فى الحلول والظعن ، خلاف نازلة المدر ، لانتقالهم من ماء الى ماء ، وانتجاعهم الكلأ ، وتتبعهم مساقط الغيث حيث كان ، ثم وصل ذلك بالنسيب ، فشكا شدة الوجد ، وألم الفراق ، وفرط الصبابة والشوق، ليميل نحو القلوب ، ويصرف اليه الوجوه ، ويستدعى به اصغاء الاسماع اليه ، لان التشبيب قريب من النفوس لائط بالقلوب ، لما قد جعل الله فى تركيب العباد من محبة الغزل ، والف النساء ، فليس يكاد احد يخلو من أن يكون متعلقا منه بسبب ، وضاربا فيه بسهم حلال أو حرام • فاذا علم أنه استوثق من الاصغاء اليه ، والاستماع له ، عقب بايجاب الحقوق ، فرحل فى شعره ، وشكا التعب والسهر ، وسرى الليل ، وحر الهجير ، وانضاء الراحلة والبعير • فاذا علم انه قد أوجب على صاحبه حق الرجاء ، وذمامة التأميل ، بدأ فى المديح فبعثه على المكافأة وهزه للسماح ، وفضله على الاشباه)(٢)•

ويظهر أن هذا هو الذى دعا بعض أساتذة النقد المعاصرين ، الى اعتبار

---

(٢) الشعر والشعراء جـ ١ ص ٧٤ •

العامل الجغرافى المتصل بصبيمة البيئة العربيـة ، من أهم العـوامل ، التى حددت شكل القصيدة الجاهلية(٨)٠

ومهما يكن من أمر ، فهذا الشكل الفنى ، لم يكن السمة العامة،لكل القصائد التى وصلتنا عن العصر الجاهلى ، فقد لوحظ أن بعض قصـائد شعر هـذا العصر ، لم تكن تلتزمه التزاما تاما ، مثل قصائد الرثاء ، التى كانت تـدور غالبا ، حول موضوع واحد ، هو اظهار التفجع على الميت ، وتأبينه ° وهـذا يفسر لنا سر أفراد ابن سلام فى كتابة طبقات فحول الشعر ، شعراء المراثى عن غيرهم من الشعراء العرب ، وجعلهم طبقة قائمة بذاتها(٩)٠

ثم أن بعض المعلقات ، لم تبدأ ببكاء الاطلال ، بل بالحديث عن الخمـر والشراب.، مثل معلقة عمرو بن كلثوم ، التى استهلها بقوله(١٠) :

الا هبى بصحنك فاصبحينا     ولا تبقى خمـور الأندرينا

يضاف الى ذلك كله ، هذه القصائد والمقطعات الكثيرة ، التى تدور حـول الفخر والنسيب ، وهما يعدان موضوعا واحدا ، فالشاعر الذى يتغزل كان عليه أن يقرن ذلك بالحديث عن نفسه ، وكرمه وشجـاعته ليبين لمحبوبته انه اهـل لها ٠

وقد زخرت كتب المختارات الشعرية ، كالمفضليات والاصمعيات ، وحماسة ابى تمام ، بكثير من هذه القصائد والمقطعات ، التى لم تكن تلتزم هذا الشكل الفني ، وكانت تدور غالبا ، حول موضوع واحد ٠

وبناء على هذا يمكننا القول ، بأن قصائد الشعر الجـاهلى ، كانت فى مرحلة ما من مراحله الاولى ، ذات موضوع واحد ٠

---

(٨) يعزى هذا الرأى لاستاذنا الدكتور محمد العشماوى انظر ، قضـايا النقد الادبى والبلاغة ص ١٢٥ ٠

(٩) طبقات فحول الشعراء ص ١٦٩ ٠

(١٠) انظر المعلقة الخامسة من المعلقات السبع شرح الزوزنى ٠

ويبدو أن تعدد موضوعات القصيدة ، جاء فى مرحلة متأخرة عن المرحلة السابقة ، ويظن أن السبب فى ذلك ، يرجع الى أن الشعراء فى مرحلة متأخرة من مراحل تطور الشعر الجاهلى ، قد انحرفوا بالشعر عن طريقه الصحيح، الذى كان يرفع من شأنهم فى نفوس معاصريهم ، الى التكسب بالمدح فانحطت منزلتهم ، وسمت عليها منزلة أولئك الذين كانوا ينافسونهم فنون القول الاخرى كالخطابة ، ومن ثم فقد أصبحت الخطابة أعلى منزلة من الشعر .

يقول ابن رشيق (وقالوا : كان الشاعر فى مبتدأ الامر ، أرفع منزلة من الخطيب ، لحاجتهم الى الشعر فى تخليد المآثر ، وشدة العارضة ، وحماية العشيرة ، وتهيبهم عند مشاعر غيرهم من القبائل ، فلما تكسبوا به ، وجعلوه طعمة ، وتولوا به الاعراض ، وتناولوه ، صارت الخطابة فوقه)(١١).

وبانحراف الشعر عن مضمونه الاجتماعى ، وظهور التكسب فيه ، أصبحت المدائح ، كما يقول الدكتور مندور ، «تتكون من جزئين منفصلين تمام الانفصال القصيدة القديمة ثم المدح»(١٢).

ومن ثم ، فمن الممكن أن نعتبر القصيدة القديمة ، بمثابة مقدمة أو تمهيد للمدحة ، وهى فى الحقيقة ، تمثل الجانب الذاتى من القصيدة الجاهلية ، اذ يعبر فيها الشاعر عن نفسه تعبيرا صادقا ، وقد يمزج فيها بين ذاته الفردية، وذات القبيلة أو الجماعة ، مزجا نفسيا رائعا ، معبرا عن ذلك ، أصدق تعبير ، وأروعه.

وعلى كل حال ، فسواء أكان تعدد موضوعات القصيدة الجاهلية ، تطورا فنيا ، نشأ عن تطور فى بعض أغراض الشعر ، أو كان الباعث عليه ، بواعث نفسية وبيئية ، فقد أصبح هذا الشكل ، تقليدا من تقاليد الصناعة الشعرية

---

(١١) العمدة جـ ١ ص ٨٢ ـ ٨٣ .
(١٢) النقد المنهجى ص ٣١ .

الموروثة عن العرب ، وسمة بارزة في كثير من قصائد الشعر الجاهلي، وخاصة قصائد المدح التي امست بعد ذلك مثالا يحتذى •

ولكن يبدو أن التجديد الذي طرا على الشعر العربي بعد الاسلام ، قد مس شكل القصيدة ، وأدى الى تغيير فيه ، وفي موضـــــوعها(١٣)، فقد ارتفعت أصوات بعض النقاد ، في القرنين الثاني والثالث الهجريين بخاصة ، داعية الى نوع من الوحدة في القصيدة علاوة على وحدة الوزن والقافية ، وهذه الوحدة تقوم على ارتباط معاني الابيات بعضها ببعض وتلاحمها ، وكانوا يرون هذا مظهرا من مظاهر قوة الطبع ، وعدم التكلف •

يقول ابن قتيبة (وتتبين التكلف في الشعر ، بان ترى البيت فيه ، مقرونا بغير جاره ، ومضموما الى غير لفقه ، ولذلك قال عمرو بن لجأ لبعض الشعراء: أنا أشعر منك ، قال وبم ذلك ، فقال لاني أقول البيت واخاه ، وأنت تقـــول البيت وابن عمه •

وقال عبد الله بن سالم لرؤبه : مت يا ابا الجحاف اذا شئت ، فقال رؤبة، وكيف ذلك ، قـــال : رأيت ابنك عقبة ينشـــد شعرا له أعجبني ، فقـــال رؤبة نعم ، ولكن ليس لشعره قران ، يريد أنه لا يقارن البيت بشبهه (١٤)•

ويبدو ان هذا كان مذهب المحدثين من الشعراء والنقاد آنذاك ، وقد دفعهم الى المناداة به ، رغبتهم في أن تصبح القصيدة الشعرية ، اشبه ببعض فنون النثر ، كالرسالة والخطبة ، في وحدة الموضوع ، وتلاحم أجزائها ، وتسلسل معانيها ، وارتباط بعضها ببعض •

---

(١٣) حديث الاربعاء لطه حسين ج ٢ ص ١٧ ـ ١٨ ، تاريخ الشعـــر العربي لنجيب البهبيتي ص ١٤٣ ـ ١٤٤ ، ومقدمة التطور والتجديد للدكتور شوقي ضيف •

(١٤) الشعر والشعراء ج ١ ص ٧٧ ـ ٧٨ ، البيان والتبيين للجاحظ ج١ ص ١٤٨ •

ويوضح هذه الحقيقة قول الحاتمى ٣٨٨ هـ (مثل القصيدة مثل الانسان فى اتصال بعض اعضائه ببعض ، فمتى انفصل واحد عن الآخر ، وباينه فى صحة التركيب ، غادر الجسم ذا عاهة تتخون محاسنه ، وتعفى معالمه • وقد وجدت حذاق المتقدمين ، وأرباب الصناعة من المحدثين ، يحترسون فى مثل هذا الحال ، احتراسا يجنبهم شوائب النقصان ، ويقف بهم على محجة الاحسان ، حتى يقع الاتصال ، ويؤمن الانفصال ، وتاتى القصيدة فى تناسب صدورها واعجازها ، وانتظام نسيبها بمديحها ، كالرسالة البليغة ، والخطبة الموجزة ، لا ينفصل جزء منها عن جزء •

وهذا مذهب اختص به المحدثون ، لتوقد خواطرهم ، ولطف أفكارهم•••، فأما الفحول الاوائل ، ومن تلاهم من المخضرمين الاسلاميين ، فمذهبهم التعالم عن كذا ، الى كذا)(١٥) •

وقد سبق الحاتمى ، الى ملاحظة هذه الظاهرة ، وتعليلها ، ابن طباطبا العلوى (٣٢٢ هـ) • ولكنه لم ينسبها الى مذهب أو اتجاه شعرى معين •

ويحضرنى فى هذا قوله (واحسن الشعر ما ينتظم القول فيه انتظاما، يتسق به أوله مع اخره ، على ما ينسقه قائله ، فان قدم بيتا على بيت دخله الخلل ، كما يدخل الرسائل اذا نقض تاليفها وقوله بعد ذلك ، (يجب أن تكون القصيدة كلها ، ككلمة واحدة فى اشتباه أولها بآخرها ، نسجا وفصاحة وجزالة الفاظ ودقة معان ، وصواب تأليف • ويكون خروج الشاعر من كل معنى يصنعه الى غيره من المعانى خروجا لطيفا •••، حتى تخرج القصيدة كأنها مفرغة افراغا ••• ، لا تناقض فى معانيها ، ولا وهى فى مبانيها ، ولا تكلف فى نسجها)(١٦)•

ومهما يكن من أمر ، فان القدماء المحافظين ، والمحدثين المجددين ، من

---

(١٥) الحصرى زهر الاداب جـ ٣ ص ١٦ •

(١٦) عيار الشعر ص ١٢٦ ـ ١٢٧ •

أسلافنا الشعراء والنقاد العرب . قد انقسموا على أنفسهم حيال الشكل الفنى للقصيدة ، فبينما تمسك المحافظون بالشكل الفنى ، الذى ورثته للقصيدة عن العصر الجاهلى ، ثار المجددون عليه ، وطالبوا الشعراء بخلق نوع من الوحدة المعنوية ، بين ابيات القصيدة ، متأثرين فى هذا ، بالخصائص والسمات الفنية لبعض فنون النثر العربى ، كالخطابة والرسائل ·

وقد اشار ابن رشيق القيروانى الى المذهبين ، رافضا مذهب المحدثين، متعللا فى ذلك بأنه لا يناسب الشعر الغنائى ، ولكنه يناسب الفن القولى الذى يعتمد على السرد أو الحكاية ، وهذا لا يتحقق ، الا فى النثر ، والشعر القصصى ·

يقول (ومن الناس من يستحسن الشعر مبينا بعضه على بعض ، وانا استحسن أن يكون كل بيت قائما بنفسه ، لا يحتاج الى ما قبله ، ولا الى ما بعده ، وما سوى ذلك ، فهو عندى تقصير ، الا فى مواضع ، معروفة مثل الحكايات وما شاكلها ، فان بناء اللفظ على اللفظ ، أجود من جهة السرد(١٧)·

واذا كان بعض نقادنا ، الذين يمثلون فى عصرهم ، الاتجاه الحديث فى نقد الشعر ، يطالبون بوحدة معنوية داخل القصيدة ، فلا ينبغى أن يفهم من ذلك، أن هذه الوحدة المعنوية ، هى الوحدة العضوية التى ينادى بها ، بعض نقاد عصرنا ، المتأثرين بقواعد النقد الاوربى الحديث ، واصوله ، فالوحدة التى ينادون بها تختلف اختلافا واضحا عن هذه ، فهى وحدة شعرية ، أو وحدة مغزى أو موضوع يستكشفه الناقد أثناء تحليله للنزعة الغالبة ، على القصيدة، ويخضع له جميع ما فيها عناصر (١٨)·

وبالرغم من اختلاف نقادنا المعاصرين حول امكان تحقق هذه الوحدة

---

(١٧) العمدة جا ص ٢٦١ ـ ٢٦٢ ·
(١٨) فن الشعر لاحسان عباس ص ١٩٨ ·

فى الشعر العربى القديم واستماتة بعضهم فى اثبات ذلك (١٩) ، فان الاتجاه الذى كان يغلب على أسلافنا من النقاد العرب ، هو الاهتمام بوحدة البيت ، لا وحدة القصيدة ·

ويعتبرون هذا ، من المميزات التى تميز الشعر عن النثر ·

ويظهر أن ابن رشيق كان يرى رأى القدماء فى ذلك ، معتبرا البيت أساس وحدة القصيدة ، ومشبهه ببيت البناء (قراره الطبع ، وسمكه الرواية،ودعائمه العلم ، وبابه الدربة ، وساكنه المعنى)(٢٠)·

وما دام كل بيت فى القصيدة ، مستقلا بذاته ، عن الابيات الاخرى، فلا ضير اذن ، ان تتعدد موضوعات القصيدة ، وليس فى هذا عيب ، كما يتصور بعض المستشرقين من الاوربيين(٢١) ، أو أولئك النقاد العرب المعاصرون ، الذين يحاولون اخضاع ادبنا لمقاييس النقد الاوربى الحديث · على أن بعض مذاهب هذا النقد ، كالرمزية ترى فى تعدد موضوعات القصيدة، وافتقارها الى الوحدة العضوية أو المنطقية «دليلا على الشاعرية المطبوعة،التى تدرك بفطرتها أن لغة الشعر الوجدانى ، غير لغة العلم والفلسفة ، وترى ان بسط الافكار بطريقة منطقية يكسبها صراحة ، والمنطق والصراحة من خواص العلم والفلسفة لا من خواص الشعر : ان الشاعر المطبوع ، هو الذى يبسط

---

(١٩) لقد اختلفت آراء نقادنا المعاصرين ، حول تحقق الوحدة العضوية فى القصيدة الجاهلية ، فمنهم من رأى امكان تحقق ذلك مثل طه حسين ، وقد أشار الى هذا ، اثناء تحليله لمعلقة لبيد·

انظر حديث الاربعاء ج ١ ص ٣٠ ، ومنهم من أنكر ذلك ، مثل غنيمى هلال ، ومصطفى بدوى ، انظر للاول النقد الادبى الحديث ص ٢١١-٢١٣ط · الثالثة ، وللثانى دراسات فى الشعر والمسرح ص ١٠ · على حين وقف أستاذنا الدكتور العشماوى ، من هذين الرأيين موقفا وسطا ، فأكد تحققها فى الشعر الجاهلى ، ولكن على نطاق ضيق ، انظر قضايا النقد الادبى والبلاغة ص ٢١٦ ·

(٢٠) العمدة ج ١ ص ١٢١ ·

(٢١) Gibb, Arabic Literature, p. 18 -- 20 .

للحوادث النفسيه ، كما تتولد بصورة طبيعية خالية من ترتيب المنطق وتنظيم العقــل) (٢٢)٠

وقد لاحظ بعض نقادنا المتاخرين ، ان تعدد موضوعات القصيدة ، وتنوع معانيها ، يجدد النشاط الذهني للقارىء ، وينفى عنه الملل ، ويجعله يتابع الاستماع للقصيدة أو قراءتها بشوق ولهفة ٠

يقــول (إن الحــذاق من الشــعر ٠٠٠ لما وجــدوا النفــوس ، تســـام التمــادى على حــال واحــدة ، وتؤثــر لانتقـــال من حـــال الى حـــال ووجـدوها تستريح الى استئناف الأمـر بعد الأمـر ، واستجداء الشيء بعد الشيء ، ووجدوها تنفر من الشيء ، الذى يتناهى فى الكثرة ، اذا اخذ مأخـذا واحدا ساذجا ، ولم يتحيل فيما يستجد نشـــاط النفس لقبوله بتنويعــه ، والافتنان فى انحاء الاعتماد به ، وتسكن الى الشيء ، وان كان متناهيا فى الكثرة ، اذا اخذ من شتى مآخذه ، التي من شأنها ان يخرج الكلام بهـا فى معـــارض مختلفــة ، اعتمـــدوا فى القصائد أن يقسموا الكـــلام فيهـــا الى فصول ، ينحى بكل فصل منها منحى من المقاصــــد ، ليكون للنفس فى قسمة الكلام الى تلك الفصول ، والميل بالاقاويل فيها ، الى جهات شتى من المقاصـد ، وانحـــاء شتى من المآخـــذ استــراحة ، ولاســـتجداد نشــاط ، بانتقالها من بعض الفصول الى بعض ، وترامى الكلام بها الى انحاء مختلفة من المقاصد . فالراحة حاصلة بها ، لافتنان الكلام ، فى شتى مذاهبه المعنوية، وضروب مبانيه النظمية)(٢٣)٠

ومهما يكن من أمـر ، فقـد ترتب على اتســام القصيدة العربيــة بوحـدة البيت وتعدد الموضـــوعات ، نقد النقاد العـــرب لها جزءا جــزءا ، وبيتا بيتا ،

---

(٢٢) الرمزية فى الادب العربى لدرويش الجندى ص ١٥٩ ٠
(٢٣) منهاج البلغاء ص ٢٩٥ ــ ٢٩٦ ٠

بالمبدأ بداية القصيدة ، والخروج/التخلص الى الغرض الرئيسى ، والنهاية للخاتمة(٢٤)٠

وطالبوا الشاعر بأن يراعى ذلك مراعاة تامة فى شعره ، أى كيف يبدأ ؟ وكيف يتخلص ؟ وكيف ينتهى ؟

يقول ابن رشيق عن المبدأ (وبعد : فان الشعر قفل أوله مفتاحه ، وينبغى للشاعر أن يجود ابتداء شعره ، فانه أول ما يقرع السمع ، وبه يستدل على ما عنده من أول وهلة ، ويجتنب الاوخليليوقد ، فلا يستكثر منها فى ابتدائه ، فانها من علامات الضعف والتكلان ، الا للقدماء الذين جروا على عرق ، وعملوا على شاكلة ، وثيجعله حلوا سهلا ، وفخما جزلا)(٢٥)٠

وينقل لنا حازم القرطاجنى ، أهم الصفات التى يشترطها النقاد ، لجودة المبادىء وحسنها ، فيقول (ويجب أن تكون المبادىء جزلة ، حسنة المسموع والمفهوم ، دالة على غرض الكلام وجيزة تامة ٠ وكثيرا ما يستعملون فيها النداء والمخاطبة والاستفهام ، ويذهبون بها مذاهب ، من تعجيب أو تهويل ، أو تقرير أو تشكيك ، أو غير ذلك ٠٠٠)(٢٦)٠

هذا عن المبدأ ، أما عن الخروج ، فيسميه بعضهم بالتخلص ، ويقصدون بذلك ، انتقال الشاعر من النسيب أو وصف للرحلة الى المديح ، انتقالا تدريجيا ، وبتحيل لطيف ٠

ولذا فهم يستحبون فيه ، ان يكون لطيفا وبديعا ٠

ولشعرائهم فى التخلص البديع مذاهب وطرق ، كان يقول الواحد منهم

---

(٢٤) ويسمى بعض النقاد أوائل الابيات بالمطالع ، ولخرها بالمقاطع٠ انظر العمدة ج ١ ص ٢١٦ ٠

(٢٥) المرجع السابق ص ٢١٧ ـ ٢١٨ ٠

(٢٦) منهاج البلغاء ص ٣٠٥ ـ ٣٠٦ ٠

مثلا ، عند فراغه ، من النسيب أو وصف الرحلة ، دع ذا وعد عن ذا ، ثم يشرع في الحديث عن الغرض الذى يقصد. ، أو يأتى بأن ابتداء للكلام الذى يقصده والمهم ان يكون التخلص تدريجيا لا فجائيا ، ومتصلا ، لا منقطعا ، يقول ابن رشيق (فاذا لم يكن خروج الشاعر الى المدح متصلا بما قبله ، ولا منفصلا بقوله دع هذا ، وعد عن ذا ، ونحو ذلك ، سمى طفرا وانقطاعا) (٣٧) •

أما الانتهاء الذى يعدونه نهاية القصيدة ، وآخر ما يبقى منها فى الاسماع فقد اشترطوا فيه (أن يكون محكما ، لا تمكن الزيادة عليه ، ولا يأتى بعده أحسن منه ، وان كان أول الشعر مفتاحا له ، وجب أن يكون الآخر قفلا عليه) (٣٨) •

كما اشترطوا فى معانيه أن تكون متناسبة مع اغراضه ، فإن كان الغرض مدحا مثلا ، وجب أن يكون الختام بمعان سارة ، وإن كان رثاء ، وجب أن يكون . بمعان مؤسية•

اما لفظه فينبغى (أن يكون مستعذبا ، والتاليف جزلا متناسبا ، فان النفس عند منقطع الكلام ، تكون منفرغة لتنقد ما وقع فيه ، غير مشتغلة باستئناف شىء آخر) (٣٩) •

ومهما يكن من أمر ، فهذا تصور أسلافنا من النقاد العرب ، لشكل القصيدة، وبنيتها ، وما ترتب على ذلك ، من قواعد وأحكام نقدية •

والواقع انهم لم يقتصروا فى نقدهم للقصيدة على هذه الناحية الشكلية وحسب ، ولكنهم تعدوا ذلك الى موضوعها ومضمونها ، وجرهم هذا للحديث عن أغراض الشعر ومعانيه •

---

(٣٧) العمدة ج ١ ص ٢٣٤ •
(٣٨) المرجع السابق ج ١ ص ٢٣٩ •
(٣٩) منهاج البلغاء ص ٣٠٦ •

وقد مطبوا الى ان الشعر وليد انفعال أو باعث نفسي ما ، قد يكون الغضب او الطرب او الرغبة أو الرهبة ، أو أى مثير خارجي ، سواء أكان سارا ، أم مؤلما يقول ابن قتيبه (وللشعر دواع تحث البطيء وتبعث المتكلف منهــا الطمع ، ومنها الشوق ، ومنها الشراب ، ومنها الغضب) (٣٠) ٠

ويعتبر حازم القرطاجنى ، هذه البواعث ، التى تحرك الشاعر ، الى قول الشعر وانشاده ، أغراض الشعر الاول ، ويعرفها بقوله (وهي أمور تحـدث عنها تأثرات وانفعالات ، للنفوس ، لكون تلك الامور مما يناسبها ويبسطها، أو الطرب ، أو الرغبة أو الرهبة ، أو أى مثير خارجي ، ســواء اكان سارا ، ام الامر من وجهين ٠

فالامر قد يبسط النفس ويؤنسها بالمسرة والرجاء ، ويقبضها بالــكآبة والخوف ، وقد يبسطها بالاستغراب لما يقع فيه من اتفاق بديع) (٣١) ٠

وهذه البواعث منها ما هو نفسي داخلى ، ومنها ما هو خارجي ٠

ومنها ومن بعض الانفعالات المصاحبة لها ، تنشأ أغراض الشعر الاول ومعـــانيه ٠

واحسن الشعر وأصدقه ، ما جاء مزيجا من بعض هذه البواعث والانفعالات المصاحبة لها ٠ يقول حازم (فمعانى الشعر على هذا التقسيم ترجع الى وصف أحوال الامور المحركة الى القول ، والى وصف أحـــوال المتحركين بها ، والى وصف أحوال المحركات والمحركين معا ، واحسن القول واكمله ما اجتمع فيــه وصف الحالين )(٣٢) ٠

ويبدو أن كثيرا من النقاد المتقدمين على حازم لم يراعوا هذا مراعاة تامة

---

(٣٠) الشعر والشعراء ج ١ ص ٧٨ ـ ٧٩ ٠

(٣١) منهاج البلغاء ص ١١ ٠

(٣٢) نفس المصدر ص ١٢

مى عمليه الخلق الشعرى ومد لاحظ صاحب ذلك ولسندل عليه باختلافهم مى عدد اعراض الشعر فبعضهم جعلها سته هى المدح والرثاء والهجاء والنسيب والوصف والتشبيه(٣٣)٠

واضاف بعضهم التشبيه للوصف وجعلها خمسه(٣٤)

وحصرها بعضهم مى اربعه أصول على اعتبار ان اركان الشعر اربعة ، هى الرغبة ، والرهبة ، والطرب والغضب(٣٥)٠ وردها احدهم الى الرغبة والرهبة ، ومن ثم ، فقد اجملها ، فى عرضين هما المدح والهجاء(٣٦)٠

وهذا الاختلاف والاضطراب مرده مى رأى خلط بعض هؤلاء النقاد بين البواعث النفسية للشعر ، وأعراضه وبواعث الشعر شىء واغراضه شىء آخـــر ٠

فالباعث وبخاصة النفسى ، قد ينتج عنه أكثر من غرض شعرى ، فكل باعث نفسى ، أى عاطفه ، له انفعال يأتى مصاحبا له ، ومن مزج العاطفة بالانفعال المصاحب لها ، ينشأ الغرض الشعرى ٠

وهذا ما يذهب اليه ، حازم يقول (فالارتياح للامر السار اذا كان صادرا عن قاصد لذلك ، ارضى فحرك الى المدح ، والارتماض للامر الضار اذا كان صادرا عن قاصد لذلك ، أغضب فحرك للذم وتحرك الامور غير المقصود أيضا، من جهة ما تناسب للنفس وتسرها ومن جهة ما تنافرها الى نزاع اليها أو نزوع عنها ، وحمد وذم أيضا ٠

واذا كان الارتياح لسار مستقبل فهو رجاء واذا كان الارتماض من ضار

---

(٣٣) نقد الشعر لقدامه بن جعفر ص ٣٥
(٣٤) يعزى هذا الرأى للرماسى
(٣٥) العمده جـ ١ ص ٣
(٣٦) نقد الشعر ص ٠

مستقبل فتلك رهبه ، واذا كان الارتماض لانقطاع امل فى شىء ، كان يؤمل، فان نحى فى ذلك منحى التصبر والتجمل ، سمى تاسيا أو تسليا ، وان نحى منحى الجزع والاكترلث ، سمى تأسفا وتندما)(٣٧)٠

ومن ثم ، فقد حاول حازم ان يرد آغراض الشعر كلها ، الى المنابع النفسية والشعورية التى نبعت منها ، وقد حاول ذلك قبله ، بعض المتقدمين من النقاد، اذ ردوا الشعر ، كما مر بنا ، الى عاطفتين هما الرغبة والرهبـــة ، أو الحب والخـــوف ٠

ولنفعالين هما الغضب والطرب ٠ ويبدو انهم ، لم يفرقوا بين الإنفعـــال والعاطفة ، وفهموا الاثنين بمعنى واحد ، وقد ترتب على ذلك ، ردهم بعـض اغراض الشعر الى العاطفة وحدها ، وبعضها الى الانفعال وحده ٠

ومما يوضح هذا قولهم ، إن قواعد الشعر اربع ، الرغبة والرهبة ، والطرب والغضب ٠ (فمع الرغبة يكون المـــدح والشكر ، ومع الرهبة يكون الاعتذار والاستعطاف ، ومع الطرب يكون الشوق ورقة النسيب ، ومع الغضب يكون الهجاء ، والتوعد والعتاب الموجع)(٣٨)٠

ولكن حازما قد ادرك كما اشرنا ، أن الغرض الشعرى لا ينشأ عن العاطفة وحدها ، ولا عن الانفعال وحده ، ولكنه ينشأ منهما معـــا ، اى مزيجا من الانفعال والعاطفة ٠

ويؤكد هذا قوله (فأما طريق معرفة القسمة الصحيحة ، التى للشعــر من جهة اغراضه ، فهو أن الاقاويل الشعرية ، لما كان القصد بها استجلاب المنافع واستدفاع المضار ، ببسطها النفوس الى ما يراد من ذلك ، وقبضها عما يراد بما يخيل لها فيه من خير أو شر ٠

---

(٣٧) منها ج البلغاء ص ١١ ـ ١٢ ٠
(٣٨) العمده جـ ٠ ص ١٢٠

وكانت الاشياء التى يرى انها خيرات او شرور ، منها حصل ، ومنهـا ما لم يحصل ، وكان حصول ما من شأنه أن يطلب يسمى ظفرا ، وفـوته فى مظنة الحصول تسمى نجاة . سمى القول فى الظفر والنجاة تهنئة ، وسمى القول بالاخفاق ، ان قصد تسلية النفس عنه تأسيا ، وان قصد تحسرهـا تأسفا ، وسمى القول فى الرزء . ان قصد استدعاء الجلد على ذلك تعـزية ، وان قصد استدعاء الجزع على ذلك تفجيعا .

فاذا كان المظفور به على يد قاصد للنفع جوزى على ذلك ، بالذكر الجميل وسمى ذلك مديحا ، وان كان الضار على يد قاصد لذلك فادى ذلك الى ذكـر قبيح ، سمى ذلك هجاء ، وان كان الرزء بفقد شيء فندب الشيء سمى ذلك رثاء)(٣٩) .

وبهذا استطاع أن يحدد الاغراض الرئيسية للشعر العربى ، واضحـا فى اعتباره مصادرها ، ومنابعها النفسية التى تنبع عنها . وقد وصل من هـذا، الى أن أغراض الشعر الاساسية أربعة ، هى :

المدائح وما معها ، والتهانى وما معها ، والتعازى وما معها ، والاهـاجى وما معها .

وأغراض الشعر الاساسية عند المتقدمين عليه اربعة كذلك وهى ، المدح، والهجاء ، والنسيب ، والرثاء .

وهو يتفق معهم من ناحية التسمية فى الغرضين الاولين ، ولكنه يختلف معهم فى الغرضين الآخرين .

ومرد هذا ، اعتباره النسيب ، مزيجا من اكثر من عاطفة وانفعال ، فقـد يكون مزيجا من الحب والاعجاب ، وبذلك يشارك المدح ، فى العاطفة والانفعال وقد يكون مزيجا من الحب والالم ، وبذلك يشارك الرثاء فى عاطفته وانفعاله

---

(٣٩) منهاج البلغاء ص ٣٣٧ .

كذلك ، وقد يكون مزيجا من السرور والتملك ، فيشارك التهانى ، فى منابعه النفسية والشعورية •

وهذا التلون ناتج ، عن الحالة النفسية للشاعر ، والتجربة التى عاناها، ونوعها ، ولذا فقد اعتبر قسما من النسيب تابعا للتهانى ، وقسما تابعا للتعازى •

اما عن مخالفته المتقدمين عليه ، فى استعماله لكلمة التعازى بدلا من الرثاء فمرده على ما يبدو لى ، لحساسه اللغوى ، بان كلمة الرثاء ، لا تعنى سوى ندب الميت ، أما التعازى فمفهومها أوسع من ذلك ، اذ يدخل فيها التأسينية، والتعزية ، والتفجع ، وندب الميت •

وجميعها يشترك فى انفعال واحد ، هو الالم •

وبرغم طرافة هذه النتيجة التى وصل اليها حازم فى هذا الموضوع ، فهى لا تختلف كثيرا عما وصل اليه جمهور النقاد من المتقدمين عليه ، فقد اتفق أكثرهم كما أشرنا ، على ان الاغراض الاساسية للشعر أربعة ، واضاف بعضهم الى ذلك غرضين ، هما الوصف والعتاب(٤٠) ، وهما على كل حال، متداخلان ، مع بعض الاغراض الاربعة الاساسية ، ويشتركان ، فى العاطفة احيانا ، والانفعال احيانا اخر ••• فالوصف مزيج من عاطفة الحب والاعجاب• وهو بذلك يشارك الغزل والمدح فى العاطفة والانفعال والعتاب مزيج من الحب والغضب ، ومن ثم فهو يشترك مع الوصف فى العاطفة ، ويختلف عنه فى الانفعال ، ويشارك المدح العاطفة ، كما يشارك الهجاء الانفعال •

وعلى كل حال ، فيبدو ، أن هذه الاغراض الستة ، تمثل لجماع طائفةكبيرة من أسلافنا النقاد ، ولذا وجدناهم ، يصفون كل غرض من هذه الاغراض ، بصفات تحدد خصائصه ، ويشترطون لجودته ، شروطا •

---

(٤٠) العمدة جـ ٢ ص ١٦٠ •

فمثلا احسن النسيب واجوده هو «ما كثرت فيه الادلة على التهالك فى الصبابة ، وتظاهرت فيه الشواهد على افراط الوجد واللوعة ، وما كان فيه من التصابى والرقة ، أكثر مما يكون من الخشن والجلادة ، ومن الخشوع والذلة اكثر مما يكون من الاباء والعز ، وأن يكون جماع الأمر فيه ، ما ضاد التحافظ والعزيمة ، ووافق الانحلال والرخاوة»(٤١)٠

وينبغى تبعا لهذا أن يكون « حلو الالفاظ رسلها ، قريب المعانى ، سهلها ، غير كز ولا غامض ، وأن يختار له من الكلام ، ما كان ظاهر المعنى ، لين الايثار رطب المكسر ، شفاف الجوهر ، يطرب الحزين ، ويستخف الرصين) (٤٢) ٠

هذا عن النسيب ، اما عن المدح : فقد ذكـــروا أن الغاية منه ، هى ابراز مناقب وفضائل الممدوح الانسانية ، التى تميز الانسان عن غيره من الحيوانات وأصل هذه الفضائل أربع ، هى العقل والشجاعة ، والعدل والعفة ٠

ولذا «كان القاصد لمدح الرجال بهذه الاربع خصال مصيبا ، والمادح بغيرها مخطئا ٠ وقد يجوز فى ذلك ، أن يقصد الشاعر للمدح منها بالبعض ، والاغراق فيه دون البعض»(٤٣)٠

وتختلف المعانى فى المدح باختلاف مقامات الممدوحين ونوعهم ، فما يقال فى الملوك ، لا يقال فى السوقة ، وما يقال للرجال ، لا يقال للنساء ، ومايمدح به القائد ، لا يمدح به الكاتب وهكذا ، فلكل صفاته ، ومميزاته التى يتمـيز بها عن غيره ٠

وعلى الشـــاعر أن يراعى ذلك ، مراعاة تامة فى مدائحه ، فاذا مـدح قائدا مثلا ، فعليه أن يختار أفضل ما يناسبه من الصفات ، كالجود والشجاعة ،

---

(٤١) نقد الشعر لقدامة ص ٧٣ ٠
(٤٢) العمدة جـ ٢ ص ١١٦ ٠
(٤٣) نقد الشـــعر ص ٣٩ ٠

وشدة الحزم ، وسرعة البطش ، واذا مدح قاضيا ، فانسب ما يصفه به ، العدل والانصاف ...(٤٤).

والفاظ الشاعر فى المدح ، وأسلوبه ، ومعانيه ، كل ذلك ، يختلف عن نظيره فى النسيب .

فمما يناسب النسيب من ذلك مثلا ، رقة اللفظ ورشاقة المعنى ، أما المدح فيناسبه من ذلك ، جزالة اللفظ ، ووضوح المعنى .

ويوضح ذلك قول أبى تمام ناصحا البحترى ، في وصيته له :

(فان اردت النسيب فاجعل اللفظ رقيقا ، والمعنى رشيقا ، واكثر فيه من بيان الصبابة ، وتوجع الكآبة ، وقلق الاشواق ، ولوعة الفراق ، واذا اخذت فى مدح سيد ذى أياد ، فاشهر مناقبه ، واظهر مناسبه ، وأبن معالمه ، وشرف مقامه ، وتقاض المعانى ، ولحذر المجهول منها)(٤٥).

ويشبه المدح ، فن الرثاء ولولا اختلاف زمن كل منهما ، لاصبحا فنا واحدا ، . وهذا ما دعا ، ناقدا كقدامة الى القول (ليس بين المرثية والمدحة فصل الا ان يذكر فى اللفظ ، ما يدل على انه لهالك ، مثل كان وتولى ، وقضى نحبه ، وما أشبه ذلك)(٤٦).

وسبيل الرثاء ، اذا كان الميت ، ملكا ، أو رئيسا ، أو قائدا عظيما ، «أن يكون ظاهر التفجيع بين الحسرة ، مخلوطا بالتلهف ، والاسى والاستعظام»(٤٧)

واذا كان الرثاء متداخلا مع المدح ، فان الهجاء ضده .

---

(٤٤) العمدة جـ ٢ ص ١٣٤ ، ١٣٥ .
(٤٥) زاهر الآداب جـ ١ ص ١٠١ ، وانظر كذلك العمدة جـ ٢ ص ١١٤–١١٥ ومنهاج البلغاء ص ٢٠٣ .
(٤٦) نقد الشعر ص ٥٩ .
(٤٧) العمدة جـ ٢ ص ١٤٧ .

فبينما نرى المادح يبرز فضائل الممدوح ، نرى الهجاء يسلب المهجو هذه الفضائل . ولذا قال بعضهم ، انه كلما كثرت أضداد الممدوح فى الشعر كان ذلك أهجى له(٤٨). واجود الهجاء ، فى رأى قدامة ، ما سلب المهجو صفاته النفسية لا الجسدية(٤٩).

وفى رأى كثير من الشعراء والنقاد ، ترك الفحش والايجاز فى التعبير ، ولذا فضلوا فيه التعريض على التصريح(٥٠).

ويعد **العتاب** : فى رأيهم فنا وسطا بين المدح والهجاء ، وكثيرا ما ينشأ عن الحب والغضب ، ولكنه قد يشتد ويعنف ، حتى يصبح هجاء .

يقول ابن رشيق (العتاب وان كان حياة المودة ، وشاهد الوفاء ، فانه باب من أبواب الخديعة ، يسرع الى الهجاء ، وسبب وكيد ، من أسباب القطيعة والجفاء ، فاذا قل كان داعية الالفة وقيد الصحبة ، واذا كثر خشن جانبه ، وقل صاحبه)(٥١).

اما **الوصف** : فهو ذكر الشيء الموصوف ، بأحواله ، وصفاته ، وهيئاته.

ويرى بعضهم انه (لما كان اكثر وصف الشعراء ، انما يقع على الاشياء المركبة من ضروب المعانى ، كان احسنهم من أتى شعره بأكثر المعانى ، التى الموصوف المركب منها ، ثم بأظهرها فيه ، حتى يحكيه بشعره ، ويمثله للحس بنعته)(٥٢).

ويرجع ناقد كابن رشيق ، معظم اغراض الشعر اليه ، ويرى أنه مناسب

---

(٤٨) نقد الشعر ص ٥٥ .
(٤٩) المرجع السابق ص ١١٠ .
(٥٠) العمدة جـ ٢ ص ١٧٢ ـ ١٧٣ .
(٥١) المرجع السابق جـ ٢ ص ١٦٠ .
(٥٢) نقد الشعر ص ٧٠ ـ ٧١ .

للتشبيه ، ومشتمل عليه ، والفرق بينهما ، يرجع الى أن الوصف لخبار عن حقيقة الشيء ، والتشبيه مجاز وتمثيل(٥٣)٠

هذه هي أهم الصفات والشروط ، التي اشترطها ، كثير من اسلافنا النقاد في أغراض الشعر وفنونه ٠ وهي في الحقيقة ، تدور حول ، هذه الاغراض الستة التي أشرنا اليها آنفا ٠

ومن الطريف أن أحد شعراء القرن الثالث الهجري ، وهو العباس الناشئ قد جمع لنا معظم هذه الاغراض وصفاتها ، في منظومته عن صناعة الشعر ، والتي جاء فيها ، قوله ناصحا الشاعر :

فاذا ما مدحت بالشعر حرا رمت فيه مذاهب المسهبينا
فجعلت النسيب سهلا قريبا وجعلت المديح صدقا مبينا

وتنكبت ما تهجن في السمع وان كان لفظه موزونا :

واذا ما قرضته بهجاء دين يوما للبين والظاعنينا
فجعلت التصريح منه دواء وجعلت التعريض داء دفينا

واذا ما بكيت فيه على الغا دين يوما للبين والظاعنينا
حلت دون الاسى وذللت ما كان من الدمع في العيون مصونا
ثم ان كنت عاتبا شبت في الوعد وعيدا ، وبالصعوبة لينا

فتركت الذي عتبت عليه حذرا آمنا عزيزا مهينا(٥٤)

ومهما يكن من أمر ، فيمكننا ان نستدل من ذلك كله ، على أن للشعر العربي موضوعا يختلف عن موضوع النثر ٠

---

(٥٣) العمدة جـ ٢ ص ٢٩٤ ٠
(٥٤) المرجع السابق جـ ٢ ص ١١٣ ــ ١١٤ ٠

وهذا صحيح ... يشكل الواقع التاريخى لنشأة النثر العربى وتطوره ... تماما ٠

فقد بدأ هذا الفن القولى منذ نهاية القرن الثانى وبداية القرن الثالث ، يتطور تطورا فنيا مذهلا ، وتتعدد موضوعاته ، ونكثر ، مزاحمة فى ذلك الشعر مزاحمة عنيفة ، حتى ضيق عليه الخناق ، ونازعه موضوعاته، وشاركه اياها ، مشاركة الند للند ، والنظير للنظير ٠ يقول طه حسين (وبعد أن كان المدح والهجاء والرثاء أمورا ، لا تتجاوز الشعر ، طمع فيها الكتاب ، فمدحوا وهجوا ، وعاتبوا ورثوا ، ووصفوا فاكثروا من الوصف ، ومن وصف أشياء، لم يكن الشعر العربى يعرض لها) (٥٥) ٠

وقد ظهر هذا بشكل واضح فى نثر الجاحظ ، ومن اتى بعده من كتاب للقرنين الرابع والخامس الهجريين ، حتى عصور انحطاط الشعر العربى وتدهوره ، فى عهد المماليك والاتراك ٠

وبالرغم من هذا كله ، فان قوالب النثر الفنية ، التى كانت تصب فيها هذه الموضوعات ، تختلف عن قوالب الشعر ، وتختلف فيما بينها نظرا للاختلاف أجناس النثر وفنونه ، التى كانت فى بداية نشأته ، لا تخرج عن الخطابة والكتابة(٥٦)٠

هذا مع اضافة بعضهم مثل قدامة الى ذلك ، الجدل والحديث اليومى ، وتقسيمه النثر بناء على ذلك ، الى أربعة فنون ، ويوضح هذا قوله (وليس يخلو المنثور من أن يكون خطابة ، أو ترسلا ، أو احتجاجا أو حديثا)(٥٧) ٠

ونست معه فى اعتباره فن الجدل ، فنا نثريا قائما بذاته ، لان هذا الفن

---

(٥٥) من حديث الشعر والنثر ص ٥٥ ــ ٥٦ ٠
(٥٦) الصناعتين ص ١٥٤ ٠
(٥٧) نقد النثر ص ٩٣ ٠

كما يقول(قول يقصد به، اقامة الحجة فيما اختلف فيه اعتقاد المتجادلين)(٥٨)٠

واذا كان على هذا النحو ، فهو يعد لونا من الوان الخطابة الاستدلالية(٥٩)٠ فكثيرا ما كان يجرى هذا الفن القولي على شكل حوار ، وكان ذلك يستدعي في اغلب الاحوال ، وجود مشاهدين ليسمعوا وليحكموا بين الخصمين المتنازعين ٠

ولست معه كذلك في اعتباره الحديث الذي يدور بين مختلف الناس في حياتهم اليومية ، فنا نثريا ٠ لأن لهذا الحديث باعترافه ، وجوها كثيرة، وانواعا مختلفة ، منها الهزل القبيح ، والسخيف من الكلام ، الذي هو على حد تعبيره (كلام للرعاع والعوام ، الذين لم يتأدبوا ، ولم يستمعوا كلام الادباء، ولا خالطوا الفصحاء ، وذلك معيب عند ذوي العقول ، لا يرضاه لنفسه الا مائق جهول)(٦٠)٠

واذا كان الحديث اليومي ، يتضمن هذا النوع من الكلام ، فلا يمكننا باي حال من الاحوال ، ان نعده فنا نثريا ، الا اذا سمت لغته والفاظه ، عن لغة العوام والفاظهم ، وحظى بلذة فنية خاصة في نفوس سامعيه ، مثل الحكايات والنوادر ، التي كان يرويها بعض الرواة من الاعراب ، ونشأ عنها بعد ذلك فن المقامة(٦١)٠

---

(٥٨) المرجع السابق ص ١١٧ ٠

(٥٩) يقسم أرسطو الخطابة الى ثلاثة أقسام ، استدلالية ، واستشارية، وقضائية ، ويرى ان لكل نوع موضوعا ، فموضوع الاستدلالية المدح والذم ، وموضوع الاستشارية النصح بفعل شيء او عدمه ، أما موضوع القضائية فهو الاتهام او الدفاع٠ انظر كتاب الخطابة الترجمة العربية القديمة ص ١٦ ـ ١٧٠ ويرى الدكتور غنيمي هلال أن العرب لم يعرفوا الا نوعين من الخطابة هما الاستدلالية والاستشارية ، انظر كتابه النقد الادبي الحديث ص ٢٠٥ ٠

(٦٠) نقد النثر ص ١٣٨ ـ ١٣٩ ٠

(٦١) تطور الاساليب النثرية لانيس المقدسي ص ٢٦٣ ٠

ومن الامثلة على ... بعض فنـــون النثر القصصي الاجنبي . التى ترجمت الى العربية فى العصر العباسي ٠وقد أصبحت المقامة بالاضافة الى هذه الفنون القصصية جزء من النثر العربى ، وذلك بعد أن نضجت وتطـورت فى القرن الرابع بخاصة ، واصبح لها سمات فنية خاصة بها(٦٢)٠

لكن الشائع بين نقادنا العرب ، أن فنون النثر العربى ، ترجع أصـلا الى الخطابة والكتابة(٦٣)٠

يقول القلقشندى عن النثر مفضلا اياه على الشعر (فان المقصود الاعظـم منه الخطب والترسل ، وكلاهما شريف الموضوع حسن التعلق) (٦٤) ٠

ولذا فقد رايناهم يضعون لكل فن من هذين الفنين شروطا فنية خاصة به ، تحدد خصائصه وسماته ٠ فبالنسبة للخطابة ، ادركوا أنها فن قولى،يحتاج كالشعر ، الى موهبة ودربة ، وممارسة لاساليب الفن الكلامى ٠ يقول الجاحظ نقلا عن ابى داود بن جرير (أس الخطابة الطبع ، وعمودها الدربة ، وجناحاها رواية الكلام ، وحليها الاعراب ، وبهاؤها تخير اللفظ ، والمحبة مقرونة بقـلة الاستكراه)(٦٥)٠

واشاروا الى ان لهذا الفن القولى موضوعـــات ، وأغراضـــا مختلفة فى الجاهلية والاسلام ٠

فقد من أغراضه فى الجاهلية «اصلاح ذات البين ، واطفاء نائرة الحـرب، وحمالة الدماء ، والتاكيد للعهد فى عقد الاملاك ، وفى الاشادة بالمناقب ، وكل ما أريد ذكره ، وشهرته بين الناس»»(٦٦)٠

---

(٦٢) ولكثرها فارسى أو هندى انظر الفهرست لابن النديم ص٢٢٤ـ٢٢٥
(٦٣) الصناعتين ص ١٥٤ ٠
(٦٤) صبح الاعشى ص ١٥٤ جـ١٠
(٦٥) البيان والتبيين جـ ١ ص ٥١ ٠
(٦٦) نقد النثر ص ٩٣ ٠

وبرغم تعدد هذه الأغراض والموضوعات ، فلم تكن الخطبة تتنـاول منها إلا موضوعا واحـدا • وهو في أغلب الاحـوال ، موضوع اجتماعي ، يتصـل اتصالا وثيقا بالحياة الاجتماعية للعرب •

وعلى هذا ، يمكننا القول بأن الغرض من الخطابة في هذا العصر ، كان غرضا اجتماعيا •

فقد كانت تدور غالبا ، حول المنافرات والمفاخرات •

وقد اختفى هذا اللون الخطابي بعد ظهور الاسلام ، الذي دعـا الى نبـذ التفاخر والتكاثر ، بالاحساب والانساب(٦٧) ، وحلت محله ، الخطابة الدينية، التي أصبحت مثالا يحتذيه فيما بعد ، كثير من الفنـــون الخطابية ، التي تعددت ، وتنوعت بعد ذلك ، بين سياسية ، ومذهبية ، وحفلية • ويرجـع هذا في ظني الى ارتباط الدين بالسياسة ارتباطا قويا •

يقول العسكري (والخطابة لها الحظ الاوفر من امر الدين ، لان الخطبـة شطر الصلاة،وهي عماد الدين في الاعياد،والجمعات والجماعات ، وتشمل على ذكر المواعظ ، التي يجب أن يتعهد بها الامام رعيته ، لئلا تدرس من قلـوبهم أثار ما انزل الله عز وجل من ذلك في كتابه) (٦٨) •

ويقول القلقشندي (اذ الخطب كلام مبني على حمد الله وتمجيده ، وتقديسه وتوحيده ، والثناء عليه ، والصلاة على رسوله ﷺ ، والتذكير والترغيب في الآخرة ، والتزهيد في الدنيا ، والحض على طلب الثواب ، والامر بالصـلاح والاصلاح ، والحث على التعاضد والتعاطف ، ورفض التباغض والتقـاطع ، وطاعة الائمة ، مما هو مستحسن شرعا وعقلا)(٦٩)•

---

(٦٧) الفن ومذاهبه في النثر العربي ص ٥٢ •
(٦٨) الصناعتين ص ١٣٠ •
(٦٩) صبح الاعشى ج ١ ص ٦٠ •

وعلى هذا ، فقد اشترطوا فى الخطبة وبخاصة الدينية شروطا من اهمها أن تفتتح بالتحميد والتمجيد ، وتوشح بآى من القرآن الكريم ، وببعض الاحاديث النبوية ، والامثال والحكم العربية(٧٠)· وكانوا يسمون الخطبة التى لم تبدأ بالتحميد بالبتراء . ويسمون التى لم توشح بالقرآن الكريم ، والصلاة على النبى ﷺ بالشوهاء(٧١)·

وكانوا يستحبون فى الخطب غير الدينية ، والحفلية بنوع خـــاص ، أن توشح بآى من القرآن ، فهذا كما يقول الجاحظ ، «مما يورث الكلام البهـاء والوقار ، والرقة وحسن الموقع»(٧٢)· وكانوا لا يفضلون ، فى هـــذا النـوع من الخطابة ، وخاصة الطويل منه ، التمثل بشىء من الشعر(٧٣)·

ولما كانت الخطبة فنا القائيا ، يترجل غالبا فى حشد من الناس ، ويتخذ الخطيب من اثارة مشاعرهم ، وسيلة لاقناعهم بما يقول ، لم يقتصروا فى نقدهم لها ، على نصها وحده ، ولكنهم تعدوا ذلك ، الى صاحبها ، ومنشئها،أى الى الخطيب ، الذى يرجع له الفضل ، فى تحقيق الغاية منها ، واشترطــوا فيه شروطا لتحقيق ذلك منها : جهارة الصوت ، ورباطة الجاش ، وكان أعيب عيوبه عندهم التلعثم والاضطراب ·

يقول الجاحظ (وأعيب عندهم من دقة الصوت ، وضيق مخرجه ، وضعف قوته ، أن يعترض الخطيب البهر والارتعاش ، والرعد والعرق)(٧٤)·

واشترطوا فيه كذلك ، أن لا يتصنع فى قـــوله ، وأن يتجنب التعقيد والتشديق ، «وأن يكون فى جميع الفاظه ومعانيه ، جاريا على سجيته ، غير

---

(٧٠) نقد النثر ص ٩٥ ·
(٧١) البيان والتبيين جـ ٢ ص ١٩ ·
(٧٢) المرجع السابق جـ ١ ص ٩٣ ·
(٧٣) نقد النثر ص ٩٥
(٧٤) البيان والتبيين جـ ص ٢ ١ ·

[illegible] . لا متكلف ، [illegible] وسعه ، فان التكلف اذا ظهر فى الكلام هجنه ، ومسخه)(٧٥) ٠

وأن يكون عارفا بمواقع القول ، واوقاته واحوال المخاطبين ، النفسية والاجتماعية ، واقدارهم ، ويلتزم كذلك بمبدأ لكل مقام مقال ٠

«فلا يستعمل الايجاز فى موضع الاطالة ، فيقصر عن بلوغ الارادة ، وألا يستعمل الاطالة فى موضع الايجاز ، فيتجاوز مقدار الحاجة ، الى الاضجار والملالة ، وألا يستعمل الفاظ الخاصة فى مخاطبة العامة ، ولا كلام الملوك مع السوقة ، بل يعطى كل قوم من القول بمقدارهم ، ويزنهم بوزنهم)(٧٦)٠

ومهما يكن من أمر ، فالذى يعنينا هنا ، أن الخطابة فن من فنون النثر، يتميز بوحدة الموضوع ، وقد كان موضوع هذا الفن فى العصر الجاهلى ، أى فى بداية نشأته ، اجتماعيا ، ثم اصبح فى صدر الاسلام ، دينا تشريعيا، ثم تنوعت أغراضه بعد ذلك ، بين سياسية ومذهبية ، واجتماعية ، علاوة على الدينية التشريعية ٠

ولما تنوعت موضوعات الخطابة فى العصور الاسلامية ، شاركت الشعر بعض هذه الموضوعات ولكنها مع هذا اختلفت عنه فى طريقة تناولها ، لبعض هذه الموضوعات ، نظرا لاختلاف سماتها الفنية عن سمات الشعر ٠ ويتفق معها فى هذه الناحية فن كتابة الرسائل ، الذى يشبهها فى كثير من سماتها الفنية ٠

ويوضح هذه الحقيقة ، قول صاحب الصناعتين :

(واعلم أن الرسائل والخطب متشابهتان فى أنهما كلام لا يلحقه وزن ولا تقفية ، وقد يتشاكلان ايضا من جهة الفواصل والالفاظ ٠ فالفاظ الخطباء تشبه الفاظ الكتاب فى السهولة والعذوبة ، وكذلك فواصل الخطب ، مثل

---

(٧٥) نقد النثر ص ٥ ٠

(٧٦) المرجع السابق ص ٩٥ ـ ٩٦

مواصل للرسائل ولا مرق ـ سهم الا ان الخطبه نشائه ـب والرســـائل
سكتب سهـ

والرسالة تجعل خطبه والخطبه تجعل رساله مى ايسر كلفه . ولا يتهيأ مثل ذلك مى الشعر ، من سرعه قلبه واحالته الى الرسائل الا بتكلفة ٠

وكذلك الرسالة والخطبة لا يحمــلان شعرا الا بمشقة ومما يعرف أيضــا من الخطابة والكتابة ، انهما مختصتان بأمر الدين والسلطان وليس للشــعر بهما اختصـــاص) (٧٧) ٠

واذا كان فن كتابة الرسائل يتشابه مع الخطابة فنيا فهو يتفق معها كذلك مى الغرض الاساسى ٠ فكما كان الغرض الاساسى من الخطـــابة فى الاسلام دينيا ، كان كذلك الغرض الاســـاسى من الكتابة في بداية ظهورها ٠ فقد نشأ فن الكتابة الديوانيه . لرعاية أحوال الامة الاسلامية ، ومصالحها . اذ كان يستخدم فى تسجيل شئون الدولة الرسمية . إبان الحرب والسلم ، وهذا ، يتعلق بمصالح الامه واحكام الشريعة ٠

يقول صاحب صبح الاعشى (والترسل مبنى على مصالح الامة ، وقوام الرعية ، لما يشتمل عليه من مكاتبات الملوك ، وسراة الناس ، فى مهمات الدين وصلاح الحال ، وبيعات الخلفاء وعهودهم ، وما يصدر عنهم من عهود الملوك . وما يلتحق بذلك من ولايات أرباب السيوف والاقلام ، الذين هم اركان الدولة وقواعدها . الى غير ذلك من المصالح . التى لا تدخل تحت الاحصاء ، ولا يأخذها الحصر)(٧٨) ٠

هذا لأن الكتابة كانت مى بدايه نشاتها عصر الدولة الاسلامية الاولى . ديوانيـــــة ٠

---

(٧٧) الصناعتين ص ١٠٣

(٧٨) صبح الاعشى .

وهذا الفن الكتابى ، لم يعرفه العرب فى الجاهلية ، أو ان شئت فقل ، لم يكونوا فى حاجة ماسة اليه ، حيث انهم لم يعرفوا نظام الدولة في حياتهم الاجتماعية ٠

وتعد الكتابة أساسا من الاسس التى يرتكز عليها النظام السيـاسي للدولة ، ولذا فلما أصبح العرب بعد الاسلام دولة ، أحسوا بحاجتهم الماسة الى هذا الفن ، لتصريف شئون دولتهم ، السياسية والدينية ٠ وقد اقتدوا في ذلك بالفرس ، الذين أخذوا عنهم نظام الدواوين(٧٩)٠

ومن ثم فقد اصطبغت الكتابة الديوانية بالصبغة الفارسية ، التى كانت عليها ايام الساسانيين(٨٠) ، وبالاصول الفنية لها ، كالتروى قبل البدء فى الكتابة ، والتحقيق ووضوح المعانى وقربها ، ومراعاة الفواصل بين الجمـل والعبارات ، وارتباط المعانى بعضها ببعض ، والايجاز فى اللفظ مع الافاضة فى المعنى ٠ ويتضح هذا من قول ابرويز لكاتبه (اذا فكرت فلا تعجل ، واذا كتبت فلا تستعن بالفضول ، فانها هجنة المقالة ، ولا تلبسن كلاما بكلام ، ولا تباعدن معنى عن معنى ، واجمع الكثير مما تريده فى القليل) (٨١) ٠

ويتفق مع بعض ما جاء فى هذا النص قول ابن المعتز (ما رايت بليغا ، الا رايت له فى المعانى اطالة وفى الالفاظ تقصيرا، وهذا حث على الايجاز) (٨٢) ٠

وقد كانوا يشترطون ، فيمن يتقلد هذا المنصب شروطا ، منها ان يكون ملما ، بكثير من صنوف العلم والثقافة فى عصره ، وخاصة الثقافة اللغـوية والادبية ، القائمة على معرفة دقيقة ، باللغة وعلومها ، واسرارها البيـانية ٠

---

(٧٩) يقال ان الديوان اصله فارسى ، انظر الماوردى فى الاحكام السلطانية ص ١٧٥ ٠

(٨٠) التيارات الاجنبية فى الشعر العربى ص ١٥٦ ٠

(٨١) نهاية الارب للنويرى ج ٧ ص ١١ ٠

(٨٢) المرجع السابق والصحيفة ٠

وسبيله الى ذلك ، حفظ الكثير من النصوص الادبية ، شعرا ونثرا ، والتفنن في استعمال اساليبها التعبيرية(٨٣) ٠

وأن يكون ملما كذلك ، بالثقافة الاسلامية ، وبأمور الدولة ، عارفا بأحوالها السياسية والاجتماعية والاقتصادية(٨٤) ٠ يضاف الى ذلك كله ، معرفته ببعض الثقافات الاجنبيه في عصره(٨٥) ٠

ولم تقتصر الكتابة على الناحية للديوانية وحسب ، ولكنها استعملت بعد ذلك ، في شتى شئون الحياة المادية والمعنوية ٠ اذ تنوعت أغراضها منذ العصر الاموى ، فعلاوة على الرسائل الديوانية ، كانت هناك رسائل اجتماعية وسياسية ومذهبية(٨٦) ٠

وتعددت أغراضها في العصر العباسي تعددا كبيرا ، وأصبحت تتناول أغراضا وموضوعات ، شبيهة بموضوعات الشعر ، كالمدح ، والهجاء ، والعتاب والوصف ، وما الى ذلك ٠

وقد حدث هذا ، نتيجة لتطور النثر الفني ، وازدهاره في القرنين الثالث والرابع بخاصة(٨٧) ٠

وعلى كل حال ، فلما ازدهر فن كتابة الرسائل ، وتنوع ، شرع النقاد ، يضعون له ، بعض الاصول والقواعد الفنية الخاصة به ٠ من ذلك مطالبتهم الكاتب ، بأن يختار لكل نوع من كتابته ، ولكل موضوع منها ، ما يناسبه من الاساليب والتعبيرات ٠

---

(٨٣) صبح الاعشى جـ ١ ص ١٤٨ ـ ٢٠١ ٠
(٨٤) أدب الكاتب ص ١١ ٠
(٨٥) رسالة للجاحظ في ذم أخلاق الكتاب ص ١٩١ ـ ١٩٣ (ضمن مجموعة رسائل الجاحظ تحقيق عبد السلام هارون جـ ٢ ط الخانجي) ٠
(٨٦) الفن ومذاهبه في النثر العربي ص ١٠٢ ٠
(٨٧) النثر الفني لزكي مبارك جـ ١ ص ١٣٠ ٠

فمثلا يجب على الكاتب ، الذى يكتب رسالة فى الشكر من تابع الى متبوع، الا يسهب ويطنب ، (فان اسهاب التابع فى الشكر ، اذا رجع الى خصوصية، نوع من الابرام والتثقيل(٨٨) • وينبغى على التابع فى الاستعطاف ، الا يكثر من شكاية الحال ورقتها ، «فان ذلك يجمع الى الابرام والاضجار ، شكاية الرئيس لسوء حاله ، وقلة ظهور نعمته عليه • وهذا عند الرؤساء مكروه جدا ، بل يجب أن يجعل الشكاية ممزوجة بالشكر ، والاعتراف بشمول النعمة ، وتوفير العادة»(٨٩)•

وتتسم رسائل السلطان وكتاباته فى كثير من الأحيان بالايجاز ، ما عدا التى يرسلها الى امرائه وعماله فى أمر من الامور ، التى تختص بأعمال الدولة ، فانها تتسم بالاطناب ، والاسهاب ، ووضوح التعبير(٩٠)•

ومما ينبغى مراعاته فى ذلك ، احوال من يكتب اليهم وطبقاتهم ، ومنازلهم وافكارهم •

يقول صاحب ادب الكاتب (ونستحب له ان ينزل الفاظه فى كتبه،فيجعلها على قدر الكاتب والمكتوب اليه ، والا يعطى خسيس الناس رفيع الكلام ، ولا رفيع الناس خسيس الكلام ، فانى رأيت الكتاب قد تركوا تفقد هذا من أنفسهم ، وخلطوا فيه ، فليس يفرقون بين من يكتب اليه فرأيك فى كذا، وبين من يكتب اليه ، فان رايت كذا ، ورايك انما يكتب بها الى الاكفاء والمتساوين ، ولا يجوز ان يكتب بها الى الرؤساء والاستاذين ، لان فيها معنى الامر •••، ولا يفرقون بين من يكتب اليه ، وأنا فعلت كذا ، وبين من يكتب اليه ، ونحن فعلنا ذلك ، ونحن لا يكتب بها عن نفسه الا آمر ، او ناه ، لأنها من كلام الملوك والعلماء •

---

(٨٨) نقد النثر ص ١٥١ •
(٨٩) المرجع السابق ص ١٥٠ •
(٩٠) أدب الكاتب لابن قتيبة ص ١٧ ط : ليدن

ومصداقا لهذا قول صاحب الصناعتين (فان أول ما ينبغي أن تستعمله في كتاباتك ، مكاتبة كل فريق منهم على مقدار طبقتهم ، وقوتهم في المنطق • والشاهد عليه ، أن النبي ﷺ لما أراد أن يكتب الى أهل فارس كتب اليهم •• من محمد ﷺ ، الى كسرى أبرويز عظيم فارس ، ســـلام الله على من اتبع الهدى وآمن بالله ورسوله ، فادعوك بداعية الله ، فانى أنا رســـول الله الى الخلق كافة ، لينذر من كان حيا ، ويحق القول على الكافرين ، فاسلم تسلم، فان أبيت فاسم المجوس عليك ، فسهل ﷺ كما ترى فى غاية التسهيل ، حتى لا يخفى منها شيء ، على من له أدنى معرفة في العربية ، ولما أراد أن يكتب الى قوم من العرب ، فخم اللفظ ، لما عرف من فضل قولهم على فهمه وعـادلتهم لسماع مثله)(٩١)•

ومهما يكن من امر ، فقد تطـور فن كتابة الرســائل ، واصـبح يتنــاول موضوعات كثيرة ، تتعلق بشئون الحياة المادية والمعنوية ، وكثير من هـذه الموضوعات ، كان من اختصاص الشعر •

وقد استطاع هذا الفن النثرى ، أن يتفوق على الشعر في هـذه الناحية• وربما يرجع هذا،كما يرى زكى مبارك ، الى خلوه من قيد الوزن والقافية (٩٢)•

وقد استطاعت بعض فنون النثر القصصي ، مثل المقامة ، أن تشارك فن الرسائل هذه الناحية •

والمقامة فى أصل معناها ، حديث طريف ، أو حكاية تقال فى مجـــلس أو جماعة من الناس(٩٣) ، ثم تطور هذا الفن الادبى فى القرن الرابع ، واتخــذ شكلا فنيا خاصا به •

---

(٩١) الصناعتين ص ١٤٧ •

(٩٢) النثر الفنى ج ١ ص ١٣٠ •

(٩٣) وانظر كذلك تطور الادب النثريه ص ٣٦٢

ـ ويعزى الفضل فى ذلك الى بديع الزمان الهمذانى (٩٤) ، الذى أسهم اسهاما كبيرا ، فى تطوير هذا الفن ، ووضع أصوله الفنية :

فاصبحت المقامة ، حكاية أو قصة ، تروى على لسان راو ، يتبع بطلها فى كل مكان يذهب اليه ، مسجلا نوادره وحكاياته ، التى تتسم فى كثير من الاحيان ، بالنقد الاجتماعى اللاذع ، لكثير من عيوب المجتمع ونقائصه :

وهى بذلك تعالج موضوعات تتصل بالحياة الاجتماعية والادبية آنذاك اتصالا وثيقا ، وتتسم بحسن العرض ، وجمال الصياغة والتعبير •

وتتمثل فى بعضها شروط القصة ، بمعناها الفنى الحديث •

ففيها الحوار ، والحكاية أو السرد ، والحبكة الفنية •

ولكن يغلب عليها فى كثير من الاحيان ، مزج الشعر بالنثر ، كبعض الرسائل الاخوانية ، والادبية منها بنوع خاص •

وهذا على كل حال ، ان دل على شىء ، فانما يدل على تداخل فنى الشعر والنثر ، وطغيان موضوع كل منهما على موضوع الآخر حتى أصبح هذا سمة الانشاء الادبى •

وامسى ذلك ، صفة بارزة ، يشترط توافرها فيمن يريد أن يكون اديبا •

يقول صاحب الصناعتين (فان اكمل صفات الخطيب والكاتب ، أن يكونا شاعرين ، كما أن من أتم صفات الشاعر ، أن يكون خطيبا كاتبا)(٩٥) •

وجملة القول : أنه بالرغم من تناول ، فنون النثر العربى ، كالخطابة والكتابة ، والمقامة ، بعض موضوعات الشعر ، فان كل فن من هذه الفنون

---

(٩٤) من مقامات الهمذانى التى يتمثل فيها هذا ، المقامة المضيرية ، والحلوانية ، والاسدية •

(٩٥) الصناعتين ص ١٣٣ •

النثرية ، كان يختلف عن الشعر في طريقة معالجته لهذه الموضوعات ، تبعا لاختلاف ، أشكاله وسماته الفنية ، عما يماثلها فى الشعر .

ثم إن موضوع الشعر ، يختلف أصلا عن موضوع النثر . فالنثر يرجع فى الاصل كما أشرنا ، الى الخطابة والكتابة ، وقد كان لكل فن من هذين ، فى بداية نشأته ، موضوع يختلف عن موضوع الشعر ، ولكن التطور الذى جد عليهما بعد ذلك ، جعلهما يلتقيان مع الشعر فى موضوعه .

وعلى هذا ، يمكننا القول ، بأن الشعر يختلف عن النثر من ناحية الشكل الفنى ، ومن ناحية الموضوع اصلا ، بالرغم من ان التطور الادبى ، قد أدى الى التقائهما فيه بعد ذلك .

# الطبـــع والتـــكلف

لقد كان من بين الأسباب الفنية ، التى دفعت كثيرا من النقـاد المحافظين الى تفضيل الشعر القديم على الشعر المحدث ، هو اعتقادهم بأن هذا النوع من الشعر يتسم بالطبع ، أما النوع الآخر ، فانه يتسم بالتكلـــف .

وكان أول تعليق يصـــدر منهم عقب سماعهم لهـــذا الشعر ، وادراكهم لحداثته هو أنه متكلف (١) .

ويظهر أن هذا الاعتقاد ، قد شاع فى البيئة الادبية زمنا طويلا ، ووقر فى أذهان النقاد على اختلاف مواقفهم من الشعر المحدث (٢) .

وشاع معه تصور خاطىء لمفهوم هذا المصطلح النقدى ، وهـــو استعمال كلمة تكلف بمعنى صنعة (٣) .

وفى هذا خلط واضطراب بين مفاهيم مثل هذه المصطلحات ، قد يؤدى الى احداث نوع من البلبلة فى فهمها وتحديد ماهيتها .

وقد نشأ هذا الخلط ، على مايبدو ، من ادراك كثير من النقـاد الأوائـل ، لحقيقة هامة تتعلق بطبيعـــة العمل الادبى ، وهى أنـــه صناعة تعتمد أساسا على التفنن فى التعبير والصياغة ، ويتضح هذا من

---

(١) الموازنة جـ ١ ص ٢٤ الوساطة ص ٥٠ والصناعتين ص ٥١ .

(٢) البيان والتبيين جـ ٢ ص ٩ ، ١٣ ، العمدة جـ ١ ص ١٢١ ، سر الفصاحة ص ٢٦٦ ــ ٢٩٧ .

(٣) العمدة جـ ١ ص ١٢٩ ــ باب المطبوع والمصنوع ــ ، مقدمة ابن خلدون ص ٥٤٥ .

قول الجاحظ ( وانما الشعر صناعة وضرب من النسج وجنس من التصوير ) (٤) ٠

وقول محمد بن سلام الجمحي ( وللشعر صناعة وثقافة يعرفها أهل العلم به ، كسائر أصناف العلم والصناعات ) (٥) ٠

كما يتضح هذا ، من تسمية بعضهم للشعراء والكتاب بصناع الكلام (٦) ٠ فالعمل الادبي صناعة أو حرفة ، يتطلب كأى صناعة من الصناعات ، أو أى حرفة من الحرف ، الاجادة والاتقان ٠

واتقان الصناعة ، يعد في رأى بعضهم صنعة (٧) ، ويستدل بها على تكلف الصانع لذلك أى اتقانه له ٠

ومن ثم : فالشاعر الذى يطيل النظر فى شعره ، يعد عندهم متكلفا ، وصاحب صنعة ، مع أنه فى الحقيقة ، لايستهدف من وراء ذلك سوى الوصول بشعره الى درجة عالية من الاجادة الفنية ٠

يقول الجاحظ ( ومن شعراء العرب من يدع القصيدة تمكث عنده حولا كرتيا وزمنا طويلا ، يردد فيها نظره ، ويجيل فيها عقله . ويقلب فيها رأيه ، اتهاما لعقله وتتبعا على نفسه ، فيجعل عقله زماما على رأيه ، ورأيه عيارا على شعره ، اشفاقا على أدبه واحرازا لما خوله الله تعالى من نعمته ، وكانوا يسمون تلك القصائد الحوليات والمقلدات

---

(٤) الحيوان ج ٣ ص ١٣٢ ط : بيروت ٠

(٥) طبقات فحول الشعر ص ٦ ـ ٧ تحقيق شاكر ط الاول

(٦) الصناعتين ص ١٥ ٠

(٧) راجع معاني هذه المادة فى لسان العرب حراف العين فصل الصاد ، والقاموس المحيط باب العين فصل الصاد ، ومادة ( صنع ) بأساس البلاغة ٠

والمنقحات والمحكمات ، ليصير قائلها فحلا خنذيذا ، وشاعرا مفلقا ) (٨) .

ويرغم ادراك الجاحظ لهذه الغاية الفنية ، التى كان يسعى الى تحقيقها هؤلاء الشعراء ، فانه يسمهم بميسم التكلف ، مرددا قول أستاذه الأصمعى فيهم :

« زهير بن أبى سلمى والحطيئة وأشباههما عبيد الشعر » (٩) .

ذلك لأنهم فى رأيه نقحوا أشعارهم ، ولم يذهبوا فيها مذهب المطبوعين (١٠) .

وبناء على هذا ؛ يتهم « الجاحظ » كل الشعراء الذين ينحون هذا المنحى بالتكلف والتصنع . يقول ( وكذلك كل من جود فى جميع شعره ، ووقف عند كل بيت قاله ، وأعاد النظر فيه ، حتى تخرج أبيات القصيدة كلها مستوية فى الجودة .

وكان يقال : لو أن الشعر كان قد استعبدهم ، واستفرغ مجهودهم ، حتى أدخلهم فى باب التكلف ، وأصحاب الصنعة ، ومن يلتمس قهر الالفاظ واغتصاب المعانى لذهبوا مذهب المطبوعين ، الذين تأتيهم المعانى سهوا رهوا ، وتنثال الالفاظ عليهم انثيالا ) (١١) .

وهذا النص يكشف لنا فى الحقيقة ، عن تصور الجاحظ لمفهوم آخر للتكلف فهو يعنى بالاضافة الى التنقيح الفنى ، خلو العمل الادبى

---

(٨) البيان والتبين جـ ٢ ص ٩ .

(٩) المرجع السابق جـ ٢ ص ١٣ .

(١٠) الشعر والشعراء جـ ١ ص ٧٧ ـ ٧٨ .

(١١) البيان والتبيين جـ ٢ ص ١٣ .

العاطفة . فالشاعر مثلا الذى يخلو شعره من العاطفة ، أو أى أثر للانفعال يعد متكلفا ، ويستدل على ذلك بقهره للألفاظ والمعانى .

والواقع أن تصور الجاحظ لمفهوم التكلف على هذا النحو ، يعد تصورا معقولا ، ويتفق ووجهة نظر الكثرة الكثيرة من النقاد ، على مختلف العصور والأزمان ، كما سنرى ، وليته اقتصر عليه ، ولم يخلط بينه وبين التجويد الفنى .

ولكن يبدو أنه قد انساق وراء أستاذه الاصمعى ، فى فهمه لهذا المصطلح ، فخانته الدقة فى تحديد مفهومه ، وبدا فى تعريفه له شىء من الخلط والاضطراب . ويظهر أن هذا قد انعكس على أحد معاصريه من النقاد ، المتأثرين بمنحاه النقدى فبدا فى تحديده لمفهوم هذا المصطلح ، شىء من هذا الخلط والاضطراب .

اذ أصبح هذا اللفظ يعنى عنده أمورا مختلفة ، منها التنقيح الشعرى ، وافتعال الموضوع ، وهلهلة النسج الفنى .

ويتضح هذا جليا من قوله ( فالمتكلف هو الذى قوم شعره بالثقاف ، ونقحه بطول التفتيش ، وأعاد فيه النظر بعد النظر (١٢) .

وقوله ( والمتكلف من الشعر ، وان كان جيدا محكما ، فليس به خفاء على ذوى العلم ، لتبينهم فيه مانزل بصاحبه من طول التفكير ، وشدة العناء ، ورشح الجبين ) (١٣) . وقوله ( وتتبين التكلف فى الشعر أيضا ، بأن ترى البيت فيه مقرونا بغير جاره ومضمونا الى غير لفقه ، ولذا قال عمر بن لجأ لبعض الشعراء ، أنا أشعر منك قال : وبم ذاك ؟؟ فقال لانى أقول البيت وأخاه،وأنت تقول البيت وابن عمه)(١٤) .

---

(١٢) الشعر والشعراء جـ ١ ص ٧٧ ـ ٧٨ .

(١٣) المرجع السابق جـ ١ ص ٨٨ .

(١٤) المرجع السابق جـ ١ ص ٩٩ .

ويظهر أن هذا الخلط والاضطراب ، الذى يبدو على بعض هؤلاء النقاد فى تحديدهم لمفاهيم مثل هذه المصطلحات النقدية ، لايرجع الى تأثرهم بآراء أسلافهم فى ذلك وحسب ، وانما يرجع أيضا الى أنهم لم يكونوا يعنون كثيرا ، بتحديد مفاهيم المصطلحات النقدية ، بقدر ما كانوا يعنون بوصف الظواهر الادبية والنقدية وتحليلها ، ثم رواية الشاهد والمثل فى ذلك (١٥) .

وقد فطن الى هذه الحقيقة بعض النقاد الذين أتوا من بعدهم ، ولهذا وجدناهم يهتمون كثيرا بتحديد مفاهيم مثل هذه المصطلحات .

ويبدو هذا بوضوح عند صاحب الصناعتين ، الذى يعرف هذا المصطلح النقدى بقوله فالتكلف طلب الشىء بصعوبة للجهل بطرائق طلبه بسهولة : والكلام اذا جمع وطلب بتعب وجهد ، وتنولت ألفاظه من بعد فهو متكلف ) (١٦) .

فالتكلف حسب هذا التعريف يعد افتعالا للفظ والموضوع ، وهذا أقرب الى الزيف الفنى ، منه الى الصدق الفنى .

والواقع أن صاحب الصناعتين لم يأت بجديد يذكر فى هذا التعريف ، فهو يدور تقريبا حول المعنى الذى أشار اليه الجاحظ فى هذا الصدد ، وهو قهر المعانى والالفاظ ، أو ماعبر عنه بعض النقاد بشدة العناء ورشح الجبين .

وربما كان صاحب العمدة ، أدق تعبيرا عن هذا المعنى من كل أولئك النقاد فقد عرف التكلف تعريفا موجزا ، فى قوله هو ما بعد من المطبع (١٧) ، أى العاطفة .

---

(١٥) راجع البيان والتبيين ج ٢ ص ٥ .

(١٦) الصناعتين ص ١٠ ـ ١١ .

(١٧) العمدة ج ١ ص ٢٩٥ .

وهذا المعنى هو الذى أخذ يدور حوله معظم أسلافنا من النقاد ، من لدن الجاحظ الذى يعد منشىء البيان العربى ، حتى عبد القاهر الجرجانى الذى أصل أصوله وحدد قواعده ومصطلحاته (١٨) ٠

ولو تأملنا بعناية ، تصور كل ناقد من هؤلاء النقاد لمفهوم هذا المصطلح النقدى ، لاتضح لنا صدق ذلك ٠

فكل ناقد من هؤلاء ، يبنى تصوره لمفهوم هذا المصطلح ، على أنه المقابل لمصطلح نقدي آخر ، وهو الطبع ٠

ولذا فان أبرز صفات المتكلف عندهم ، أنه ليس بمطبوع ٠

ومن ثم ، فالعمل الادبى فى رأيهم ، اما مطبوع ، واما متكلف ٠

وقد يستعملون أحيانا كلمة مصنوع بدلا من متكلف (١٩) ، احساسا منهم بزيف هذا النوع من الكلام وعدم صدقه الفنى ٠

ويخلط بعضهم أحيانا ، بين مفهومى الصنعة والتكلف (٢٠) ، ومفهومى الصنعة والصناعة (٢١) ٠

---

(١٨) راجع البحث الذى كتبه الدكتور طه حسين عن البيان العربى من الجاحظ الى عبد القاهر ( ترجمة العبادى ص ٢٤ ـ ٣٠ ( منشور ضمن كتاب نقد النثر ) ٠

(١٩) العمدة ج ١ ص ١٢٩ ، مقدمة ابن خلدون ص ٥٤٥ ٠

(٢٠) البيان والتبيين ج ٢ ص ١٣ ، والعمدة ج ١ ص ١٢٩ ٠ والفن ومذاهبه فى الشعر العربى ص ٤١ ط : السادسة ٠

(٢١) والذى يرجع الى مفهومى هاتين اللفظين فى بعض المعاجم اللغوية ، يلحظ أن بينهما صلة قريبة فى المعنى ، وبخاصة فى المجال الادبى ، فكلمة صناعة تطلق على العمل الادبى لانها مصدر صناعى على وزن فعالة ، أم كلمة صنعة فهى مصدر على وزن فعلة ، ولذا تطلق على طريقة صياغة العمل الادبى ، أو البناء الفنى له ٠ راجع مادة ( صنع ) فى الصحاح فى اللغة والعلوم ط : بيروت ـ دار الحضارة العربية ٠

وعلى هذا يستعملون كلمة صنعة بمعنيين أحدهما عام والآخـــر خـــاص .

فالمعنى العام ، المراد به التفنن فى التعبير والصيـــاغة (٢٢) ، وهى بهذا المفهوم تقابل كلمة الفن فى عصرنا الحاضر .

أما المعنى الخاص ، فيطلق على البديع ومحسناته المختلفة (٢٣).

ولاشك أن بين المعنيين تداخلا قويا أشبه بتـــداخل الجزء مع الكل ، والخاص مع العام ، ذلك لأن دخول البديع فى الفن التعبيرى ، وان عد عند بعضهم مظهرا من مظاهر التكلف (٢٤) ، فانه على كـــل حال ، يعد لونا من ألوان التفنن فى التعبير والصياغة .

ومهما يكن من أمر ، فاذا كنا قد عرفنا مايقصده هؤلاء النقـــاد بمفهوم التكلف ، فيحسن بنا أن نعرف ماذا يقصدون بمفهوم الطبع ، ذلك المصطلح المقابل لهذا المصطلح النقدى ؟؟ .

لو عدنا الى النص السابق ، الذى يحدد فيه الجاحظ ، تصوره لمفهوم التكلف لوجدناه يشير الى المطبوعين من الشعراء ، ويصفهـــم بقوله « هم الذين تأتيهم المعانى سهوا ورهوا ، وتنثال الألفاظ عليهم انثيالا » .

ويلاحظ أن وصفه للكلام المطبـــوع ، لايخرج على هـــذا المعنى كثيرا ، فهو الذى تجود به الطبيعة ، وتعطيه النفس سهوا رهوا (٢٥) .

---

(٢٢) البيان والتبيين ج ٢ ص ٩ .

(٢٣) بديع ابن المعتز ص ٢ ـ ٥٣ ، الوساطة ص ٣٤ ـ ٤٧ ، الصناعتين ص ٢٧٢ ـ ٤٥٠ .

(٢٤) الوساطه ص ٣٤ .

(٢٥) البيان والتبيين ج ٢ ص ٢٩ .

وهو بهذا يرى أن الكلام المطبوع ، هو الذى يصدر عن العاطفة فى سهولة ويسر ، ويتدفق تدفقا فجائيا وتلقائيا ، دون ضغط أو اكراه .

وشبيه بهذا الفهم قول ابن قتيبة معرفا المطبوع ( والمطبوع من الشعراء من سمح بالشعر واقتدر على القوافى وأراك فى صدر بيته عجزه ، وفى فاتحته قافيته ، وتبينت على شعره رونق الطبع ووشى الغريزة ، واذا امتحن لم يتلعثم ، ولم يتزحر ) (٢٦) .

وواضح من هذا النص التشابه الكبير ، بين فهم صاحبه وفهم الجاحظ لمدلول هذا المصطلح النقدى .

مع أن كلام ابن قتيبة ينصب هنا على الشاعر المطبوع ، أما كلام الجاحظ فانه ينصب على الشعر والشاعر .

والواقع أن هناك اتصالا وثيقا بين الشاعر المطبوع وشعره ، فالشاعر الصادق هو الذى يصدر عن طبع صادق .

ونص ابن قتيبة يؤكد ذلك ، ويؤدى الى النتيجة نفسها ، التى وصل اليها الجاحظ فى تحديده لمفهوم هذا المصطلح النقدى .

فالشاعر المطبوع ، هو الذى يصدر فى رأيه — عن عاطفة صادقة ، وطبع صادق ، ويبدو على شعره جمال ذلك الطبع وصفائه ، فيتدفق سهلا سمحا ، مسكا بعضه برقاب بعض .

ويضيف ابن قتيبة الى صفات الشاعر المطبوع ، صفة أخرى وهى الارتجال . مما دفع بعض نقادنا المعاصرين الى اتهامه فى دراسته لهذه القضية بالخلط بين مفهوم الطبع والارتجال (٢٧) .

---

(٢٦) الشعر والشعراء جـ ١ ص ٩٠ .

(٢٧) تاريخ النقد العربى لطه ابراهيم ص ١٣١ ، النقد المنهجى ص ٣٩ .

دعني وشرب الهوى ياشارب الكاسي    فانني للذى حسيته حساسي

لايوحشنك ماستسمجت من سقمي    فان منزله بي أحسن الناس

من خلوتي فيه مبدا كل جانحة    وفكرتي منه مبدا كل وسواس

من قطع ألفاظه توصيل مهلكتي    ووصل ألحاظه تقطيع أنفاسي

رزقت رقة قلب منه نغصه    منغص من رقيب قلبه قاس ٠

متى أعيش بتأميل الرجاء اذا    ماكان قطع رجائي في يدي ياسي(٣٨)

ثم عقب عليها مبديا اعجابه بها ، فكل بيت منها في رأيه لم يخل من معنى لطيف وصنعة بديعة ، فقد جانس وطابق ، واستعار فأحسن في ذلك كله ، وهذه الابيات تعد من جيد غزل أبي تمام (٣٩) ٠

وبرغم جودتها فانه يرى أن حظها من الصدق الفني ، أقل من حظ ما يماثلها في الغرض نفسه من أشعار القدماء ٠

ولذا فان اعجابه بها ، لايصل حد اعجابه بقول أحد الاعراب :

أقول لصاحبي والعيس تهوى    بنا بين المنيفة فالضمار ٠

تمتع من شميم عرار نجد    فما بعد العشية من عرار ٠

الا حبذا نفحات نجد    وريا روضه غب القطار ٠

وعيشك اذ يحل القوم نجدا    وأنت على زمانك غير زار ٠

شهور ينقضين وما شعرنا    بأنصاف لهن ولاسرار

(٣٨) ديوان أبي تمام مج ٤ ص ٢١٦ ٠

(٣٩) الوساطة ص ٣٣ ٠

فـــأما ليلهـــن فخـــير ليـــل    وأقصر مايكون النهـــار (٤٠)

فأبيات هذا الشاعر ، أكثر التصاقا بالنفس والوجدان فى رأى هذا الناقد من أبيات أبى نمام ، ودلك لخلوها من الصنعة ، وسهولة مأخذها ، وقرب تناولها ، ومن ثم ، فانه يفضلها على أبيات أبى تمام ٠

ويتخذ منها شاهدا على طبع الشعر القديم وبعده عن الصنعة ، التى يرى أنها مذهب المحدثين ، الذى غلب على أشعارهم ، وأفرطـــوا فيه ، ومن ثم ، فقد اتسم شعرهم بالتكلف (٤١) ٠

ونحن نتفق معه فى الحكم ، ولكننا نختلف معه فى التعليـــل ، فصحيح أن هذه الابيات على بساطة معانيها ، وسهولة ألفاظها ، قـــد تبدو أجود من أبيات أبى تمام على دقة معانيها ورشاقة ألفاظهـا ، ولكن ليس مبعث هذا ، خلوها من الصنعة ، بل بواعث أخرى ٠

لعل من أوضحها أنها أصدق تصويرا لمشاعر صاحبها ونفســـه من تلك ، وأكثر صراحة منها فى التعبير عن انفعالات الرجل البدائى ، الذى يمثل طفولة الانسان وفطرته النقية الصافية ٠

ولكن لا ينبغى أن يحملنا هذا القول ، على الاعتقاد بخلوها من الصنعة الفنية ٠ فلو تأملناها جيدا لأدركنـــاها أن هناك مسحة من الصنعة الفنية ، تسرى فيها ولكنها تختفى وراء طبع قوى وعاطفـــة جياشـــة ٠

٠ فهناك مثلا جناس لفظـــى بين عوار وعرار فى شطـــرى البيت الثانى ؛ وبين ليلهن وليل فى الشطر الاول من البيت الاخير ٠

وهناك تقابل بالتضاد بين أوائل الشهر وأواخرها فى البيـــت الخامس ، وبين الليل والنهار فى البيت الاخير ٠

---

(٤٠) المرجع السابق والصحيفة ٠
(٤١) المرجع السابق ص ٣٣ ـ ٣٤ ٠

ويبدو بوضوح من خلال مناقشة ابن رشيق لهـــذا الموضوع . والحاحه الشديد . على التفريق بين مفهوم كل من هذين المصطلحـــين الفنيين ، أن البديهه صفة تقلب على بعض الشعراء أو الادباء ، فى أى عصر من العصور ، وكذلك الارتجال ، وقد تلتقيان معا فى شاعر أو أديـــب ما .

ومن ثم ، فليس من المعقول أن نعتبر أيا منهم سمة عامة عــلى شعر عصر بعينه ، كما تصور الجاحظ مثلا .

ثم كيف يستقيم وصف « الجاحظ » للشعر الجاهلى بالارتجال وعدم الاناة مع اتهامه وأستاذه الاصمعى ، لبعض شعراء هذا العصر بأنهم عبيد الشعر الذين نقحوه ، ولم يذهبوا فيه مذهب المطبوعين .

أيمكن أن نشاطر بعض نقادنا المعاصرين الرأى ، فى الاستدلال بهذا على تناقض الجاحظ !! ، (٣٢) أم من الافضل أن نلتمس لـــه عذرا فى هذا ، ونحمل قوله هنا على التغليب لا التعميم !! .

جائز جدا هذا الفرض الاخير ، ولكن ليس فى نص الجاحـــظ مايدل على ذلك بيد أن اشارته الى ظهور شعراء غير مطبوعين فى العصر الجاهلى : واعتباره ذلك شيئا خارجا على المألوف من عادة الشـــعر العربى ، الذى يتسم أصلا بالطبع ، تؤكد صحة ذلك . ولو ربطنـــا هذا بقضية نشأة الشعر العربى وتطوره ، منذ أن تدفق هذا الفـــن التعبيرى فى المرحلة الاولى من نشأته ، كلاما انفعاليا مثيرا ، فى شكل سجع أو رجز ، تغلب عليه العفوية والتلقائية ، لاتضح لنا أن كـــلام الجاحظ ينطبق على هذه المرحلة الاولى انطباقا كبيرا ، ويصعب انطباقه على المراحل الاخرى ، سواء المرحلة التى ظهرت فيها القصائد القصيرة ،

---

(٣٢) الفن ومذاهبه فى الشعر العربى ص ٢١ .

ذات الغرض الواحـــد ، والابيات المحـــدودة ، أم مرحلة القصائـد الطويلة ، المتعددة الابيات والاغراض (٣٣) ٠

ذلك لان الشعر فى هذه الفترة ــ أى فترة ظهور القصيـــدة على مايبدو من تاريخ نشأته قد ظهرت فيه الاناة والروية ، واكتسب شيئا ليس بالقليل من روح الفن وأصوله ، ومن ثم ، فقد امتدت اليه يـد الصقل والتهذيب (٣٤) ٠

وما دام الشعر قد أصبح فنا ، فليس من المعقول وصفه بالتلقائية أو العفوية ، ذلك لأن الفنون ، كما يقول أحـــد نقادنا المعـــاصرين « لاتوجد بغير قواعد تعصمها من الفوضى ، بل لاتوجد لعبة عامة ، بغير قاعدة عامة ، ولايستطيع لاعب الشطرنج ، أو النرد ، أو الدومينو مثلا أن يحرك القطع كما يشاء والا بطلت اللعبة كلها فى لحظة واحدة»(٣٥)٠

ولا ريب أن ظهور الفن التعبيرى متأصلا ، ومقتنا على هذا النحـو الذى يبدو على سائر الفنون ، يتطلب شيئـــا من الأناة والرويـــة ، والالتزام الدقيق ، بأصول هذا الفن وقواعده ، وقد يستدعى ذلـك ، ادامة النظر فى العمل الادبى ، حتى يأتى محققا لاصوله الفنية ٠

وهذا لايتنافى والطبع ، كما يتصور بعض أسلافنا من النقاد ٠

لأن أوجز مايقال عن الفن المطبوع هو ــ كما أشرنا ــ التى يصدر عن العاطفة ٠ وليس فى تجويد العمل الادبى وتأصيله فنيا ، ماينافى ذلـــك ٠

---

(٣٣) راجع الجزء الذى كتبته عن ( الشكل الفنى للشعر ) فى كتابى من قضايا الشعر والنثر ص فى النقد العربى القديم ص ٣٤ ـ ٤٣ ط : الاولى ٠

(٣٤) العصر الجاهلى لشوقى ضيف ص ١٨٣ ــ ١٨٨ ٠

(٣٥) دراسات فى المذاهب الادبية والاجتماعية للعقاد ص ١٨ ـ ١٩ ط : بيروت المكتبة العصرية ٠

فقد يتلازم وجود الفن والطبع معا ، وقد تنشأ عن الطبع أحيانا بعض الأصول الفنيـــــة •

وقد أدرك هذه الحقيقة بعض نقادنا المتأخـرين كابن خلدون ، فعرف الكلام المطبوع ، بأنه الكلام الذى تتحقق فيه أصول الفـــن التعبيرى ، وهذا لايتأتى الا بتزاوج العاطفة والفن معا •

ويتضح هذا من قوله ( اعلم أنهم اذا قالوا الكلام المطبوع ، فانهم يعنون به الكلام الذى كملـــت طبيعته وسجيتـــه ، من افادة مدلوله المقصود منه ، لأنه عبارة وخطاب وليس المقصود منه النطق فقط ، بـل المتكلم يقصد أن يفيد سامعه مافى ضميره ، افادة تامة ، ويدل بـــه دلالة وثيقـــة •

ثم يتبع تراكيب الكـلام فى هذه السجية التى له بالأصـــالة ، ضروب من التحسين والتزيين ، بعد كمال الافادة ، وكأنها تعطيها رونق الفصاحة ، من الاسجاع ، والموازنة بين جمل الكلام ، وتقســـيمه بالاقسام المختلفة الاحكام ، والتورية باللفظ المشترك من الخفى من معانيه ، والمطابقة بين المتضادات ، ليقع التجانس بين الالفاظ والمعانى ، فيحصل للكلام رونق ولذة فى الاسماع ، وحلاوة وجمال ، كلها زائدة عن الفائدة ) • (٣٦) فالشعر المطبوع ليس كلاما ارتجاليا ، خاليـا من أصول الفن والصنعة ، ولكنه مقيد بهذه الاصول الفنية •

ونحن مع أولئك النقاد ، الذين يرون أن الطبع : هو أصل الفن التعبيرى (٣٧) ، ولكن ليس معنى ذلك ، أنه طبع ســـاذج خال من أصول الفن وقواعده •

---

(٣٦) مقدمة ابن خلدون ص ٥٤٥ •

(٣٧) البيان والتبيين جـ ٢ ص ٩ ـ ١٣ ، الموازنه جـ ١ ص ٢٣ ـ ٣٤ ، العمدة جـ ١ ص ٩٢ ، سر الفصاحة ٢٦٦ ـ ٢٦٧ •

ولاينبغى أن يحملنا هذا على التصور بفرض قيود على الطبع تشل حركته ، وتكبله ، أو تعلى من قيمة الفن والصنعة على حسابه ·

فنحن أبعد مانكون عن هذا التصور الخاطىء ·

ذلك لاننا لانميل الى القول بالاعلاء من شأن الصنعة على الطبع ، أو الطبع على الصنعة ، وانما نحن نميل الى القول بتزاجهما ، وامتزاجهما معا فى الفن التعبيرى بحيث لا يطغى أحدهما على الآخر ، هذه ناحية ·

وأخرى ، وهى أننا لانتصور قيام فن تعبيرى أصيل على الصنعة وحدها أو على الطبع ، بل هذه وذاك ·

وربما كان من أفدح الاخطاء ، التى وقع فيها بعض أسلافنا من النقاد ، هو أنهم كما رأينا ، نظروا الى الفن التعبيرى القديم على أنه خال من قيود الصنعة ، لانه مطبوع ، أما الفن المحدث فهو العكس من ذلك ، خال من الطبع ، ومقيد بقيود الصنعة وأغلالها ، وكل مايخرج على هذا يعد عندهم شذوذا وخروجا على هذه القاعدة ·

والغريب أن هذا القول ، كان يردده فى البداية،النقاد المحافظون والمتعصبون للقديم بنوع خاص ، ولكن سرعان ما أصبح أمرا مسلما به عند المدافعين عن الشعر ؛ والمتعاطفين مع شعرائه ·

ويبدو هذا بوضوح عند صاحب الوساطة ، الذى لم يمنعه تعاطفه مع المحدثين ودفاعه عن بعضهم ، من التحلل من هذا الاعتقاد ·

ومما يدل على صحة ذلك ، أنه أثناء مناقشته لقضية الطبع عند قدماء الشعراء ومحدثيهم ، تعرض لذكر نماذج من شعر هؤلاء الشعراء ، يتمثل فيها طبع كل منهم وذكر من بينها أبياتا لابى تمام فى الغزل وهى قوله

والواقع أن هذا الاتهام كان ينبغي أن يوجه الى الجاحظ أولا . لأنه هو الذي سبق ابن قتيبة الى هذا الخلط ·

ويبدو هذا بوضوح ، من الحاحه كثيرا على وصف الكلام المطبوع بالتلقائية ، والتدفق العفوى والفجائي ·

ويظهر أنه قد بنى حكمه هذا ، قياسا على تصوره لمفهوم التكلف ·

فاذا كان الكلام المطبوع هو المقابل للكلام المتكلف ، فما يصلح وصفا لأحدهما لايصلح وصفا للآخر ·

فاذا كان المتكلف من الكلام يوصف مثلا بالخلو من العاطفة ، فان المطبوع يوصف على العكس من هذا ، بأنه ينبوع العاطفة ·

واذا كان الاول يتصف بالروية والأناة ، فلا ينبغي أن يتصف الثاني بمثل ذلك بل عكسه ، هذه ناحية ·

وأخرى وهى أنه ربط كغيره من النقاد بين الطبع والاصالة (٢٨) . فالفن المطبوع أصيل وهذا صحيح ، ولا وجه للغرابة فيه ·

ولكن وجه الغرابة يكمن حقا ، فى فهمه لمعنى الاصالة فهما زمنيا ، فالاصالة صفة تختص بالقديم من الفن التعبيرى ، الذى كان يصدر عن طبع سهل سمح وفطرة نقية صافية ·

ولهذا ، فليس فيه أناة ولا معاناة ، وانما هو ارتجال في ارتجال ·

ويتضح هذا من قوله ( وكل شيء للعرب ، فانما هو بديهة وارتجال ، كأنه الهام وليست هناك معاناة ، ولا مكابدة ، ولا اجالة فكر ، ولا استعانة ، وانما هو أن يصرف وهمه الى الكلام ، أو الى رجز يوم الخصام ، أو حين يمتح على رأس بئر ، أو يحد وببعير ، أو عند

---

(٢٨) العمدة جـ ١ ص ١٢٩ ·

المقارعة ، أو عند صراع أو في حرب ، فما هو الا أن يصرف وهمه الى جملة المذهب ، أو الى العمود الذى اليه يقصد ، فتأتيه المعانى ارسالا ، وتنثال الألفاظ انثيالا ، ثم لا يقيده على نفسه ، ولايدرسه واحدا من ولده ٠

وكانوا أميين لايكتبون ومطبوعين لا يتكلفون وكان الكـــلام الجيد عندهم أظهر وأكثر ، وهم عليه أقدر ) (٢٩)

وهذا النص يكشف لنا بوضوح وجلاء ، عن خلط الجاحظ بين مفهوم الطبع والارتجال فى الفن التعبيرى ، فالفن المطبوع ، هو الذى يصل فى رأيه الى قمة الارتجال ، وهذا سمة الشعر العربى القديم ٠

ويظهر أنه يستعمل كلمة البديهة هنا مرادفة لكلمة الارتجال ، وهو بهذا يخلط كذلك بين مفهوم البديهة والارتجال ، ويستعمـــل اللفظتين بمعنى واحد ٠

والواقع أن بين هاتين اللفظتين فرقا دقيقا فى المعنى ، وقد فطن الى هذه الحقيقة ابن رشيق القيروانى فقال مفرقا بينهما ( البديهة عند كثير من الموسومين بعلم هذه الصناعة فى بلدنا ، أو من أهل عصرنـا هى الارتجال ، وليست به لان البديهة فيها الفكرة والتأنى ، والارتجال ماكان انهمارا وتدفقا لايتوقـف ) (٣٠) ٠

فالبديهة اذن غير الارتجال ، ذلك لما تتصف به من الاناة والروية والتفكير ، وهذا لايتحقق فى الارتجال ، الذى هو فى الحقيقة ، كمـا يبدو من معناه اللغوى ، كلام غير معد ذهنيا (٣١) ٠

---

(٢٩) البيان والتبيين جـ ٣ ص ٢٨ ٠
(٣٠) العمدة جـ ١ ص ١٨٩ ٠
(٣١) راجع معنى هذه اللفظة ، واللفظة السابقة فى لسان العرب : حرف اللام فصل الراء وحرف الهاء فصل الباء ، ومادتى « رجـل » و « بده » فى أساس البلاغـــة ٠

وأعمق من هذا التقابل الظاهرى ذلك التقابل المعنوى بين رحلة الابل ، التى تحمل الشاعر من مكان الى مكان ، بعيـــدا عن أرضه وموطنه ورحلة الزمن التى يمثلها انقضاء الشهور والايام سراعا مخلفة وراءها ، الحسرة والندم على رحيل ماض عزيز ٠ ٠

ولاحظ استغلال الشاعر لموسيقية الالفاظ والحروف ، التى تبدو واضحة ، من تكراره مثلا لحرف بعينه فى بيت واحد ، كالشـــين فى البيت الثانى ، والراء فى البيتين الثالث والخامس ، والواو فى البيت الرابع ٠

ويبدو هذا الجمـال الموسيقى كذلـك ، من استعماله لبعض الحروف المتقاربة فى مخارجها الصوتية فى بيت واحد ، مثل الصـــاد والضاد والسين والشين فى البيتين الاول والرابع ؛ والدال والراء فى البيت الثانى ٠

وهذا التلاؤم الصوتى ، يحدث فى هذا النص رنينا ، موسيقيـا خافتا ، قد لاتسمعه الاذن ، لكن النفس تحسه ، ويلذ وقعه على القلب والفـــؤاد ٠

ولاحظ كذلك ، تكرار الشاعر لكلمة نجد فى ثلاثة أبيات متتالية. وتأمل فى دلالة هذا التكرار اللفظى ، على مايبطنه الشاعر فى خبايـــا نفسه من حب لهذا الموطن ، وتعلق شديد به ٠

وبالمثل تأمل هذه الراء المكسورة ، التى اتخذها قافية لهــذه الابيات ، ثم اربط بين هذا الشكل القوسى المكسور لهذا الحـــرف ، وبين الانكسار النفسى الذى ينتابه ، اثر احساسه ، بمفارقته لموطنه ، والذى تسرى رائحته النفاذة فى هذه الابيات ٠

فالقول اذن بخلوها من الصنعة الفنية فيه مغالطة كبيرة ٠

وأفدح من هذه المغالطة ، الادعاء بخلو الشعر العربى القديم ، والجاهلى بنوع خاص من ذلك ، أو القول بفقره فى هذه الناحية ٠

لك لان الشعر العربى قديمه ومحدثه . لايخلو من الصنعـة كما أشرنا . كما انه لايخلو من الطبع كذلك ٠

ولكن شعراءه على احتلاف أعصرهم ، وتباين بيئاتهم كانـوا متفاوتين فى ذلك : وقد فطن الى هذه الحقيقة بعض نقادنا القدماء (٤٢)، وبعض اساتذة البحث الأدبى من معاصرينا (٤٣) ، وهم على صواب فى هذا ، فليس طبع شعراء العصر الجاهلى ، كطبع شعراء العصر العباسى، وليست صنعة هؤلاء كصنة أولئـك ٠

فصنعة الشعر القديم ، والجاهلى بنوع خاص تلتصق بالطبـع غالبا ، وتمتزج به (٤٤) . وكثيرا مايطغى عليها ، وتختفى معالمهـا خلفه ، فلا تبدو الا لمن أوتى دقة فى الحس ، وصفـاء فى الـذوق . وفطنة فى الفهم والنقـد ٠

وهى بوجه عام ، بسيطة ساذجة . اذا ماقورنت بصنعة شعراء البديع فى العصر العبـاسى ، التى تتصف بشىء ليس بالقليـل من التعمق الفنى ، والتى غالبا ما تطغى على الطبع ، فلا يبدو له أثر واضح فى الفن التعبـيرى ٠

ولعل فى النصين السابقين .. مايوضح مثل هذه الفروق الفنية الدقيقة ، بين هذين النوعين (٤٥) ٠

---

(٤٢) العمدة ج ١ ص ١٢٩ ـ ١٣٢ ، مقدمة ابن خلدون ص ٥٤٥

(٤٣) مثل الدكتور شوقى ضيف فى كتابيه الفن ومذاهبه فى الشعر العربى ، وفى النثر العربى انظر مقدمة الكتاب الاول ص ٨ ـ ٩ ط : السادسـة ٠

(٤٤) تاريخ الشعر العربى ، للبهبيتى ص ٦٠ ـ ٦٣ ٠

(٤٥) واذا أردت مزيدا من الشواهد الشعرية على ذلك فارجع الى الوساطة ص ٣٤ ـ ٤٨ ٠

ومهما يكن من أمر ، فان التسليم بصحة وجود مثل هذه الفروق الفنية الدقيقة بين هذين النوعين ، لايعنى عدم وجود فروق أخرى داخل النوع الواحد ، يشهد على وجودها ذلك التطور الفنى ، الذى خضع له الشعر العربى منذ نشأته ، وتطورت معه الصنعة ، وتعقدت بتعقده (٤٦) ، ولذا فان هذه الفروق يمكن ملاحظتها فى شعر العصر الواحد .

فصنعه الشعر الجاهلى فى بداية ظهور القصيد ، تختلف من بعض الوجوه عن تلك التى ظهرت فى مرحلة نضجه واستكماله لأصوله الفنية .

وصنعه العصر الاموى ، تتباين فى بعض ملامحها وصنعة العصر الجاهلى المتأخر على ما بين شعر العصرين من تشابه فنى ، وتقارب فى الصناعة الفنية .

وكذلك صنعة شعراء البديع فى العصر العباسى ، ليست كلها فى درجة واحدة فقد وضح لنا مثلا ، أن هناك فروقا فنية بين صنعة أبى نواس ومسلم ، وكذا بين صنعه أبى تمام والبحترى ، وبين المتنبى وكل أولئك الشعراء .

وهذه الفروق ترجع غالبا الى تباينهم فى الثقافة والطبع والاتجاه الشعرى واختلاف حظوظهم من البديع .

---

(٤٦) وقد بنى الدكتور شوقى ضيف دراسته لهذه القضية على هذه الناحية ، فرأى أن الصنعة ظهرت فى الشعر القديم ، ثم تحولت الى تصنع فى شعر بعض شعراء البديع فى العصر العباسى كمسلم وأبى تمام ، ثم تطورت الى تصنيع فى شعر بعض شعراء القرن الرابع وما بعده ، كالمتنبى وأبى العلاء وغيرها من شعراء هذه الفترة .

راجع مقدمة الفن ومذاهبه فى الشعر العربى ص ٨ ـ ٩ ، ويبدو أنه قد استضاء بوجهة نظر ابن رشيق فى ذلك راجع العمدة جـ ١ ص ١٣٠ ـ ١٣٣ .

وهذا يؤكد لنا ، أن وسم النقاد المحافظين ، للشعر المحدث بميسم واحد ، كالتكلف مثلا ، يتناقض وطبيعة هذا الفن الشعرى ·

وليس معنى ذلك ، انكار وجود هذه الظاهرة الفنية فى الشعر المحدث ، فنحن على العكس من ذلك ، نسلم بصحة وجودها ، لكن فى بعض هذا الشعر لا فى جميعه · فنحن مثلا ، لاننكر وجودها فى شعر بعض شعراء البديع ، وبنوع خاص عند أولئك الذين ، أساءوا استعمال هذا الفن فى الشعر المحدث ·

ولكن لاينبغى أن يفهم سوء الاستعمال هنا ، كما فهمه المحافظون من النقاد على أنه مجرد افراط كمى فى استعمال ألوان هذا الفن (٤٦)·

وانما ينبغى أن يفهم سوء الاستعمال هنا ، على النحو الذى يقرب دلالة هذا التعبير من المفهوم الحقيقى للتكلف ·

وعلى هذا فافراط الشاعر فى استعمال البديع ، ان كان مبعثه الطبع ، وثمرة لانفعال الشاعر بموضوع شعره ، لايعد تكلفا ·

ولكن الالحاح على طلب ذلك فى الشعر ، دون حاجة فنية أو نفسية باعثة عليه ، هو التكلف بعينه ·

وليس من الدقة ، العلمية وسم جميع شعر شاعر ما بذلك · وانما الأقرب الى هذه الدقة ، القول بالتخصيص لا بالتعميم ·

ذلك لأننا مع تسليمنا بصحة مايقال عن اختلاف حظوظ الشعراء من الطبع (٤٨) ، فاننا نسلم بصحة مايقال عن اختلاف حالات الشاعر الواحد فى ذلك ·

---

(٤٧) الموازنة جـ ١ ص ١٨ ، الصناعتين ص ٣١٢ ـ ٣١٥ ، الوساطة ص ٣٤ ·

(٤٨) العمدة جـ ١ ص ٢٠٤ ـ ٢١٥ ·

ومصدقا لهذا قولة الفرزدق المشهورة ( أنا أشعر الناس عند الناس ، وربما مرت على ساعة ، ونزع ضرس ، أهون على من أن أقول بيتا واحدا ) (٤٩) ٠

ومما يؤكد هذه الحقيقة ، وقوع كثير من فحول الشعراء ، فى بعض الاخطاء الفنية (٥٠) ، التى تدل على معاندة كل منهم أحيانا لطبعه ، وعدم توفيقه فى اختيار الوقت الملائم للابداع الفنى ٠

وبناء على هذا ، يمكننا أن نرجع ظهور التكلف فى بعض أشعار المحدثين ، الى طغيان الفن عندهم أحيانا على الطبع ، والحاحهم على طلب البديع ، لغير ضرورة نفسية أو فنية ، سوى الرغبة فى توشيح أشعارهم بمثل هذه الالوان والاصباغ ، التى تصيب التعبير الشعرى ، بالسقم والركاكة ، ويبدو هذا مثلا ، فى قول مسلم بن الوليد :

سل فلست ثم سل سليلها    أخا فلم يتخون جسمه الكمد (٥٢)

وقول أبى تمام :

خان الصفاء أخ كان الزمان له    أخا فلم يتخون جسمه الكمد (٥٢)

وشبيه بهذا قول المتنبى :

ولاالضعف حتى يبلغ الضعفضعفه    ولا ضعفضعف الضعفبل مثلهألف

---

(٤٩) البيان والتبيين ج ١ ص ٢٠ ٠

(٥٠) راجع فى الموشح — على سبيل المثال — تراجم هؤلاء الشعراء أمرىء القيس النابغة ، الاشعى ، الفرزدق ، أبى العتاهية ، أبى تمام ٠

(٥١) المرجع السابق ص ٢٩٨ ٠

(٥٢) الديوان ج ٤ ص ٧٤ وانظر الصناعتين ص ٣٥ والموازنة حيث تجد اختلافا طفيفا فى نص هذا البيت ٠

وأسوأ منه ركاكة قوله :

فقلقلت بالهم الذى قلقل الحشا قلاقل عيس كلهن قلاقل (٥٣)

وقد يكون من بين أسباب ظهور التكلف فى أشعار المحدثين ، ادخال بعضهم أحيانا فى هذه الاشعار ، ألفاظا غريبة وحوشية ، وفى هذا خروج على الطبع المحدث ؛ ومنافاة لذوق أهل عصرهم .

ويختلف موقفهم فى هذا عن موقف القدماء ، الذين يصدرون فى استعمالهم لمثل هذه الالفاظ عن طبعهم ، ويتفقون فى هذا وذوق أهل عصرهم .

ومن ثم : فان استعمالهم لها ، لايعد سمة من سمات التكلف .

يقول قدامة بن جعفر ( من عيوب الشعر أن يركب الشاعر منه ، ماليس بمستعمل الا فى الفرط ، ولايتكلم به الا شاذا .

وذلك هو الوحشى ، الذى مدح عمر بن الخطاب زهيرا بمجانبته ، وتنكبه إياه قال : كان لايتبع حوشى الكلام .

وهذا الباب مجوز للقدماء ، ليس من أجل أنه حسن ، لكن لأن من شعرائهم من كان أعرابيا ، غلبت عليه العجرفة فيه ، وللحاجة أيضا للاستشهاد بأشعارهم فى الغريب ، ولان من كان يأتى منهم بالوحشى ، لم يكن يأتى به على جهة التطلب له والتكلف لما يستعمله فيه ، لكن لعادته وعلى سجيه لفظه .

فأما أصحاب التكلف لذلك : فهم يأتون منه بما ينافر الطبع وينبو عن السمع ) (٥٤) .

---

(٥٣) يتيمة الدهر جـ ١ ص ٢٦٠ ـ ٢٦١ .

(٥٤) نقد الشعر ص ٦٥ .

وقياسا على هذا ، يمكن أن نعد الشاعر المحدث الذى يتناول صورا ومعانى ، لاتمت لعصره أو بيئته بصلة متكلفا لذلك .

ومثله أيضا ذلك الشاعر ، الذى يخرج على طبعه ، ويسلم قياده لعقله ، فيجره الى الغموض الشديد ، والتعقيد المعنوى ، الذى لا طائل من ورائه ، سوى اتعاب الذهن ، وكد الخاطر ، وتحويل الشعر الى أحاج وألغاز ومعميات .

وصحيح أن الشعر يتميز بقدر من الغموض ، حتى لايستحيل نثرا (٥٥) .

ولكن هذا الغموض . يمكن أن نسميه بالغموض الموجهه ، الذى لايخرج عن كونه دلالة غير مباشرة فى التعبير ، أو دقة فى التصوير .

وهذا النوع من الغموض يكسب العبارة الشعرية ، نوعا من الجمال الفنى ، الذى لاتبدو حقيقته بدونه (٥٦) .

أما النوع الآخر ، فيمكن أن نسميه بالغموض غير الموجهه ، لأنه عديم الفائدة ، وليس هناك ثمرة تجنى من ورائه ، سوى اتعاب الذهن وكد الخاطر .

وحسبه أنه يسلم الى التعقيد اللفظى أو المعنوى ، أو هما معا .

ولذا فقد كان موضع نفور كثير من نقادنا القدماء ، وسمة من سمات التكلف .

ويوضح هذا قول أحدهم ( ولذلك كان أحق أصناف التعقيد بالذم مايتعبك ثم لايجدى عليك ، ويؤرقك ثم لايروق لك ، وماسبيله سبيل

---

(٥٥) راجع الفصل الذى كتبته عن لغة الشعر ولغة النثر ، فى كتابى من قضايا الشعر والنثر فى النقد العربى القديم ص ١٠٠-١١٩

(٥٦) راجع رأى العقاد فى هذه القضية فى كتابه مراجعات فى فى الادب والفنون ص ٨١ ـ ٨٢ ط : بيروت .

البخيل الذى يدعوه لوم فى نفسه ، وفساد فى حسه ، الى أن لايرضى بضعة فى بخا ، وحرمان فضله ، حتى يأبى التواضع ولين القـــول ، فيتيه ويشمخ بأنفه ، ويسوم له المتعرض له بابا ثانيا من الاحتمال، تناهيا فى سخفه ، أو الذى لايؤيسك من خيره فى أول الامـــر ، فتستريح الى اليأس ، ولكنه يطمعك ، ويسحب على المواعيد الكاذبة ؛ حتى اذا طـال العناء ، وكثر الجهد تكشف عن غير طائل ، وحصلت منه على ندم لتعبك فى غير حاصـل ) (٥٧) ٠

ويمثل لهذا النوع من التعقيد بعدة أمثلة من شعر بعض الشعراء المحـدثين (٥٨) ٠

ولاينبغى أن يفهم من هذا أن القدماء لم يسلموا من الـــوقوع فى مثل هذا التعقيد ، فهناك شواهد ، تدل على وقوع بعضهم فى ذلـــك ، كالفرزدق مثلا ، الذى كان مغرما بهذا النوع من التعقيد ، ومما يروى له فى ذلك قوله فى مدح ابراهيم بن هشام ، الذى كانت تربطه بالخليفـــة هشام بن عبد الملك صلة خئولة :

وما مثله فى الناس الا مملكـــا أبو أمه حى أبـــوه يقـــاربه

وقد بذل النقاد واللغويون جهودا كبيرة فى تفسير معميات هـــذا البيت (٥٩) ، التى يمكن ردها الى ما أحدثه الشاعر فى نصه من تقديم وتأخير ، فلو روى على أصله ، لكان على النحو التالى ٠

وما مثله فى الناس حى يقـاربه الا مملكـــا أبو أمه أبـــوه

أى أنه لايوجد أحد ، يقارب هذا الممدوح فى صفاته الكريمـــة ، وعلو منزلته ، سوى الخليفة هشام بن عبد الملك ، الذى تربطه بهـــذا الممدوح صلة خئولة ، فخاله هو جد هذا الممدوح ٠

---

(٥٧) أسرار البلاغة ص ٣٠ ط . ريتر ، ط ٠ المراغى ص ١٦٣ ٠

(٥٨) المرجع السابق ص ١٣٠ ـ ١٣٢ ٠

ومهما يكن من أمر ، فهذا النوع من التعقيد ، يؤدى الى تغليب العقل على الوجدان ، والصنعة على الطبع ، والفهم على الذوق .

وكلما ابتعد الفن الشعرى عن دائرة الوجدان ، واقترب من دائرة العقل ، وغلب عليه عنصر الاقناع ، كلما أخذت صفاته الفنية فى الانسلاخ عنه ؛ حتى يستحيل فى النهاية ، نظما أجوف ، لا ماء فيه ولا رواء .

ولذا فان أصدق وصف له ، هو أنه زائف أو متكلف .

من كتاب الشعر والشعراء

لابن قتيبة الدينوري

٢٧٦ هـ

بسم الله الرحمن الرحيم
وبركة من الله دائم

قال أبو محمَّد عبدُ الله بنُ مُسْلِم بن قُتَيْبَة :

١ ● هذا كتاب أَلَّفْتُه فى الشعراء[1] ، أخبرتُ فيه عن الشعراء وأزمانهم ، وأقدارهم ، وأحوالهم فى أشعارهم ، وقبائلهم ، وأسماء آبائهم ، ومَن كان يُعْرَف باللقب أو بالكنية منهم . وعمَّا يُستحسنُ من أخبار الرجل ويُستجادُ من شعره ، وما أخَذَتْهُ العلماءُ عليهم من الغلط. والخطاء[2] فى ألفاظهم أو معانيهم ، وما سَبَقَ إليه المتقدّمون فأخذه عنهم المتأخّرون . وأخبرتُ (فيه) عن أقسام الشعر وطبقاته ، وعن الوجوه التى يُختار الشعرُ عليها ويُستحسن لها . إلى غير ذلك ممَّا قدَّمتُه فى هذا الجزء الأوَّل .

٢ ● قال أبو محمَّد : وكان أكثرُ قصدى للمشهورين من الشعراء ، الذين يعرفهم جُلُّ أهل الأدب ، والذين يَقَعُ الاحتجاجُ بأشعارهم فى الغريب ، وفى النحو ، وفى كتاب الله عزَّ وجلَّ ، وحديث رسول الله صلى الله عليه وسلم.

٣ ● فأمَّا مَن خَفِيَ اسمُه ، وقلَّ ذكرُه ، وكَسَدَ شعرُه ، وكان لا يعرفه إلا بعضُ الخوَاصّ ، فما أقَلَّ مَن ذكرتُ من هذه الطبقة . إذ كنتُ لا أعرفُ منهم إلَّا القليلَ ، ولا أعرفُ لذلك القليلِ أيضاً أخبارًا ، وإذْ كنت أعلمُ أنَّه لا حاجةَ بك إلى أن أُسَمِّيَ لك أسماءَ لا أَدُلُّ عليها بخبرٍ أو زمانٍ ، أو نسبٍ أو نادرةٍ ، أو بيتٍ يُستجادُ ، أو يُستغرب .

---

(١) ب « فى الشعر » .

(٢) « الخطاء » بالمد ، وفى هـ « الخطأ » وكلاهما صحيح .

٤ ● ولعلَّك تظنُّ ـ رحمك الله ـ أنَّه يجبُ على من ألَّف مثل كتابنا هذا ألّا يدَع شاعرًا قديماً ولا حديثاً إلّا ذكره ودلَّك عليه ، وتُقَدِّرُ أن يكون الشعراءُ بمنزلةِ رواةِ الحديثِ والأخبارِ ، والملوكِ والأشرافِ ، الذين يَبْلُغُهم الإحصاءُ ، ويَجمعهم العددُ

٥ ● والشعراءُ المعروفون بالشعر عندَ عشائرهم وقبائلهم[1] في الجاهليَّة والإسلام ، أكثرُ من أن يُحِيطَ بهم مُحِيطٌ أو يقف من وراءِ عددِهم واقِفٌ ، ولو أنفدَ عُمْرَه في التنقيرِ عنهم ، واستفرغَ مجهودَه في البحثِ والسؤالِ . ولا أَحْسِبُ أحدًا من علمائنا استغرقَ[2] شعرَ قبيلة حتّى لم يَفُتْه من تلك القبيلة[3] شاعرٌ إلّا عَرَفَه ، ولا قصيدةٌ إلّا رَوَاها

٦ ● حدثنا[4] سَهْلُ بن محمَّد[5] ، حدثنا الأَصْمَعِيُّ[6] ، حدثنا كُرْدِينُ بنُ مِسْمَعٍ[7] قال : جاءَ فِتْيَانٌ إلى أبي ضَمْضَم بعدَ العِشَاء ، فقال ( لهم )[8] : ما جاءَ بكم يا خبثاء ؟ قالوا : جئناك نَتَحَدَّثُ ، قال :

---

( ١ ) ب د س « قبايلهم وعشايرهم »

( ٢ ) ب « استعرف » . ح « استعرج »

( ٣ ) س « لم يفته منها » .

( ٤ ) ب س « بحدثني » .

( ٥ ) هو أبو حاتم سهل بن محمد السجستاني البصري ؛ إمام في غريب القرآن واللغة والشعر . أخذ عن أبي عبيدة والأصمعي وأبي زيد والأخفش ، وأخذ عنه المبرد وابن دريد . مات سنة ٢٥٥ .

( ٦ ) هو أبو سعيد عبد الملك بن قريب الأصمعي . أسد الشعر والغريب والمعاني . كما وصفه المبرد مات سنة ٢١٦ عن نحو ٨٨ سنة

( ٧ ) بحاشية د « قال ابن الجوزي في الألقاب كردين اسمه مسمع بن عبد الملك بن مسمع البصري ، كان إخبارياً . روى عنه أبو عبيدة معمر بن المثنى » . وفي شرح القاموس ٢ : ٤٨٥ « ابن كردين اسمه مسمع » ، ولم أجد فيما بين يدي من مصادر غير ذلك

( ٨ ) كذا ـ وضعناه بين علامتي القوسين فهو زيادة من ... بعد تصحيح مصحح د

كذبتم ، ولكنْ قلتُم (١) كَبِرَ الشَّيخُ فتَتلَعَّبُه (٢) ،عسى أن نـأْخذَ عليه سبعه فأنشدهم لمائةِ شاعرٍ ، وقال مرّةً أخرى : لثمانين [شاعرًا] (٣) سَمَّ اسمُه عَمْرُو .

٧ ●قال الأَصْمَعِيُّ : فعددتُ أنا وخَلَفٌ (الأَحمرُ) (٤) فلم نقدِرْ على ثلاثين (٥)

٨ ●فهذا ما حفظه أَبو ضَمْضَم ، ولم يكن بأَرْوَى الناسِ ، وما أقربَ أن يكونَ مَن لا يعرفُه من المُسَمَّيْنَ بهذا الاسم أكثرَ ممَّن عرفه .

- ٩ ●هذا إلى مَن سَقَطَ شعرهُ من شعراء القبائل ، ولم يحمله إلينا العلماءُ والنَّقَلَةُ (٦) .

١٠ ●أخبرنا (٧) أبو حاتم حدثنا الأَصْمَعِيُّ قال : كان ثلاثةُ إخوة من بنى سَعْد لم يأْتوا الأَمصارَ ، فذَهَبَ (٨) رَجَزُهم ، يقال لهم مُنْذِرٌ ونُذَيْرٌ ومُنْتَذِرٌ (٩) ، ويقال إنَّ قصيدةَ رُؤْبَةَ التى أوَّلُها (١٠) :

* وقَاتِمِ الأَعْمَاقِ خَاوِى المُخْتَرَقْ * لِمُنْتَذِر

(١) ب س « بل قلتم » .
(٢) ن هـ س « كبر الشيخ وتبلغته السن » .
(٣) الزيادة من هـ .
(٤) هو خلف بن حيان الأحمر ، قال أبو عبيدة : « خلف الأحمر معلم الأصمعي ومعلم أهل البصرة » مات فى حدود سنة ١٨٠ .
(٥) ب س « على أكثر من ثلاثين » .
(٦) ب س « الرواة » .
(٧) د « حدثنا » ب س « حدثنى » هـ « قال حدثنا » .
(٨) ب س « ذهب » .
(٩) ب س « ومنيذر » .
(١٠) هى أرجوزة طويلة ، انظرها فى ديوان رؤبة فى ( مجموع أشعار العرب ) ٣ : ١٠٤ — ١٠٨ وفى أراجيز العرب ٢٢ — ٣٨ وانظر الخزانة ١ : ٣٨ — ٤٥ .

١١ ● قال أبو محمَّد : ولم أَعْرِضْ فى كتابى هذا لمن كان غَلَبَ[١] عليه غيرُ الشعر . فقد رأينا[٢] بعضَ مَن أَلَّفَ فى هذا الفنِّ كتاباً يذكر فى الشعراء مَن لا يُعْرَفُ بالشعر ولم يَقُلْ منه إلَّا الشَّذَّ[٣] اليسيرَ ، كابنِ شُبْرُمَةَ القاضى[٤] ، وسُلَيْمانَ بنِ قَتةَ التَّيْمِيِّ المحدِّثِ[٥]. ولو قَصَدْنا لذكر مثل هؤلاء[٦] فى الشعر لذكرنا أكثرَ الناس ، لأنَّه قلَّ أحدٌ له أدنَى مُسْكة من أدب ، وله أدنىٰ حظٍّ من طَبْعٍ ، إلَّا وقد قال من الشعر شيئاً . ولاحتجنا أن نذكُرَ صحابةَ رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وجِلَّةَ التابعين ، وقوماً كثيرًا من حَمَلَةِ العلم ، ومن الخلفاء والأشرافِ ، ونَجعلَهم فى طبقات الشعراء.

١٢ ● ولم أَسْلُكْ ، فيما ذكرتُه من شعر كلِّ شاعر مختارًا له ، سبيلَ مَن قَلَّد ، أو استَحْسنَ باستحسانِ غيره . ولا نظرتُ إلى المتقدِّم منهم بعين الجلالة لتقدمه ، وإلى المتأخِّر (منهم) بعين الاحتقار لتأخُّره . بل نظرتُ بعين العدلِ على الفريقين ، وأعطيتُ كلاً حظَّه ، ووفَّرْتُ عليه حقَّه .

١٣ ● فإنى رأيتُ مِن علمائنا مَن يستجيدُ الشعرَ السخيفَ لتقدُّم قائله ،

---

(١) ه ب س « الأغلب » .

(٢) ه ب س « رأيت » .

(٣) « الشذ » مصدر كالشذوذ ، و « الشاذ » الوصف ، وهنا وصف بالمصدر وهو جائز . وفى ه ب س « النبذ » .

(٤) هو عبد الله بن شبرمة القاضى الفقيه ، مات سنة ١٤٤ .

(٥) بحاشية ف « قال الشريف : ابن قتة هذا عدوى ، وهو أول من رثى أهل البيت » . وانظر بعض شعره فى تاريخ الطبرى ٨ : ٢٤٨ والأغانى ١٧ : ١٦٥ .

(٦) ف ه س « أمثال هؤلاء » .

ويَضَعُهُ فى مُتَخَيَّرِه ، ويُرْذِلُ الشعرَ الرصينَ ، ولا عيبَ له عنده إلَّا أنَّه قيلَ فى زمانه ، أو أنَّهُ رأى قائلَه .

١٤ ● ولم يَقصُرِ اللهُ العلمَ والشعرَ[1] والبلاغةَ على زمنٍ دون زمن ، ولاخَصَّ به قوماً دونَ قومٍ ، بل جَعل ذلك مشتركاً مقسوماً بين عبادِه فى كلِّ دهر ، وجَعل كلَّ قديمٍ حديثاً فى عصره ، وكلَّ شرفٍ خارجيَّةً[2] فى أوَّله ، فقد كان جَريرٌ والفَرَزْدَقُ والأَخْطَلُ وأمثالُهم يُعَدُّون مُحْدَثِينَ . وكان أبو عَمرِو ابنُ العَلاءِ يقول : لقد كَثُر هذا المحدَثُ وحَسُنَ حتَّى لقد هممتُ بروايته .

١٥ ● ثمَّ صارَ هولاءِ قُدَماء عندنا ببُعْدِ العهدِ منهم ، وكذلك يكونُ من بعدهم لمَن بعدَنا ، كالخُرَيْمىِّ والعَتَّابىِّ والحسن بن هانئٍ وأشباهِهم . فكلُّ مَن أتى بحسَنٍ من قول أو فعلٍ ذكرناه (له) ، وأثنينا به عليه ، ولم يَضَعْهُ عندنا تأخُّرُ قائله أو فاعلِه ، ولا حداثَةُ سِنِّه . كما أنَّ الرَّدِىءَ إذا ورد علينا للمتقدِّم[3] أو الشريف لم يرفعه عندنا شرفُ صاحبه ولا تقدُّمُه .

١٦ ● وكان حقُّ هذا الكتاب أن أُودِعَه الأخبارَ عن جلالةِ قدرِ الشعر وعظيمِ خطره ، وعمَّنْ رفعه اللهُ بالمديح ، وعمَّن وَضَعَه بالهجاء وعمَّا أودعَتْه العربُ من الأخبارِ النافعة ، والأنساب[4] الصِحاح ، والحِكَم المضارِعَةِ لحِكَم الفلاسفة ، والعلومِ فى الخيل ، والنجومِ[5] وأنوائها والاهتداء بها ،

---

(١) ف ه س « الشعر والعلم » .

(٢) ف س « وكل شريف خارجياً » . والخارجى : الذى يخرج ويشرف بنفسه من غير أن يكون له قديم . ومنه الخارجية ، وهى خيل لا عرق لها فى الجودة ، فتخرج سوابق ، وهى مع ذلك جياد .

(٣) ف س « للمقدم » .

(٤) ف ه « والأسباب » .

(٥) ف ه س « وفى النجوم » .

والرياح وما كان منها مبشِّرًا أو جائلاً ، والبروقِ وما كان منها خُلَّباً أَوْ صادقاً ، والسحابِ وما كان منها جهَاماً أو ماطرًا ، وعمَّا يبعث منه البخيلَ على السماحِ ، والجبانَ على اللقاء ، والدَّنِىَّ على السُّموِّ .

١٧● غير أنى رأيتُ ما ذكرتُ من ذلك فى كتاب العرب(١) كثيرًا كافياً ، فكرهتُ الإطالة بإعادته . فمَن أَحبَّ أن يعرفَ ذلك ، ليستدلَّ به على حُلْو الشعرِ ومُرِّه . نَظَرَ فى ذلك الكتاب ، إن شاء اللهُ تعالىٰ .

## أقسام الشعر

١٨● قال أبو محمدٍ : تدبَّرْتُ الشعرَ فوجدتُه أربعة أَضْرُبٍ :

١٩● ضربٌ منه حَسُنَ لفظه وجاد معناه ، كقول القائل فى بعض بنى أُمَيَّةَ(٢) :

(١) هـ « فى أنساب العرب». وبحاشية ه « لابن قتيبة كتاب فى تفضيل العرب. قاله ابن عبد ربه ». وكلام ابن عبد ربه فى العقد الفريد ٢ : ٨٨ ونقل عنه شيئاً . وفى شأنه كلام طويل للأستاذ أحمد زكى العلوى فى ترجمة ابن قتيبة فى أول الجزء الرابع من عيون الأخبار ٣٢ — ٣٣ . وقد وجد الشيخ جمال الدين القاسمى رحمه الله قطعة من أول هذا الكتاب ، فنشرها فى مجلة « المقتبس » ثم نشرها علامة الشأم الأستاذ محمد كرد على فى مجموعة « رسائل البلغاء » ٢٦٩ — ٢٩٥ ولكن كتب فى عنوانها أن ابن قتيبة من أهل القرن الخامس ، وهو خطأ ، فإنه من علماء القرن الثالث .

(٢) هذان البيتان للحزين الكنانى من أبيات يمدح بها عبد الله بن عبد الملك بن مروان . وزعم أبو تمام فى الحماسة أنهما له فى مدح زين العابدين على بن الحسين بن على بن أبى طالب( ٤ : ١٦٧ — ١٦٩ من شرح التبريزى) وزعم غيره أنهما من أبيات للفرزدق فى مدح زين العابدين . قال الأصبهانى فى الأغانى « وهو غلط ممن رواه فيهما ، وليس هذان البيتان مما يمدح به مثل على بن الحسين عليهما السلام ، وله من الفضل المتعالم ما ليس لأحد » . وقال أيضاً : « والصحيح أنها للحزين فى عبد الله بن عبد الملك ، وقد غلط ابن عائشة فى إدخاله البيتين فى تلك الأبيات ، وأبيات الحزين مؤتلفة منتظمة المعانى ، متشابهة تنبئ عن نفسها » ثم ساق أبيات الحزين . انظر الأغانى ١٤ : ٧٤ — ٧٧ . والبيتان أيضاً ضمن أبياته فى المؤتلف ٨٨ — ٨٩ . وكذلك نسبهما المصعب الزبيرى فى نسب قريش( ص ١٦٤ ) للحزين الكنانى . والمصعب من أقدم المؤلفين ، وكتابه من المصادر الأولى المعتمدة .

فى كَفِّهِ خَيْزُرَانٌ رِيحُهُ عَبِقٌ ... مِنْ كَفِّ أَرْوَعَ فى عِرْنِينِهِ شَمَمُ[1]

يُغْضِى حَيَاءً ويُغْضَى مِنْ مَهَابَتِهِ ... فَما يُكَلَّمُ إِلَّا حِينَ يَبْتَسِمُ[2]

لم يُقل فى الهيبة شىءٌ أحسنُ منه .

٢٠ ● وكقولِ أَوْسِ بن حَجَر [3] :

أَيَّتُهَا النَّفْسُ أَجْمِلِى جَزَعَا ... إِنَّ الَّذِى تَحْذَرِينَ قَدْ وَقَعَا

لم يبتدئْ أحدٌ مرثيةً بأَحسنَ من هذا .

٢١ ● وكقول أبى ذُؤَيْبٍ [4] :

والنَّفْسُ رَاغِبَةٌ إِذَا رَغَّبْتَهَا ... وإِذَا تُرَدُّ إِلَىٰ قَلِيلٍ تَقْنَعُ

٢٢ ● حدثنى[5] الرِّيَاشِىُّ[6] عن الأَصْمَعِىِّ ، قال : هذا أَبدعُ[7] بيت قاله العربُ .

٢٣ ● وكقول حُمَيْد بن ثَوْرٍ[8] :

أَرَىٰ بَصَرِى قَدْ رَابَنِى بَعْدَ صِحَّةٍ ... وحَسْبُكَ دَاءً أَنْ تَصِحَّ وتَسْلَمَا

ولم يُقَلْ فى الكِبَرِ شىءٌ أحسنُ منه .

---

(١) فى الحماسة « بكفه » وفيها وفى الأغانى « ريحه » . وفى رواية فى الأغانى « ريحه »
(٢) س ف هـ « فلا يكلم » .
(٣) س ف « فإن ما تحذرين » . وهو صدر مرثية جيدة نادرة فى الأمالى ٣ : ٣٤ ، ٣٥ وبعضها فى الأغانى ١٠ : ٧ — ٨ وانظر شرح ذيل الأمالى لراجكوتى ١٩ . وسيأتى البيت فى ترجمة أوس (١٠٢ ل) .
(٤) من مرثية أبى ذؤيب الهذلى أولاده ، وهو البيت ١٣ من المفضلية ١٢٦ بشرحنا مع الأستاذ عبد السلام هرون طبعة دار المعارف .
(٥) س ف هـ « قال وحدثنى » .
(٦) هو العباس بن الفرج الرياشى اللغوى النحوى ، قتله الزنج بالبصرة سنة ٢٥٧ .
(٧) س ف « أبرع » .
(٨) سيأتى فى ترجمته ( ٢٣٠ ل ) .

٢٤ • وكقول النَّابِغَة[١] :

كِلِينِي لِهَمٍّ يَا أُمَيْمَةَ نَاصِبِ ... ولَيْلٍ أُقَاسِيهِ بَطِيءِ ٱلكَوَاكِبِ

لم يبتدئْ أحدٌ من المتقدّمين بأحسنَ منه ولا أغربَ .

٢٥ • ومثلُ هذا (فى الشعر) كثيرٌ ، ليس للإطالة به فى هذا الموضعِ وجهٌ ، وستراه عند ذكرِنا أخبارَ الشعراء .

٢٦ • وضربٌ منه حَسُنَ لفظُه وحَلَا ، فإذا أنت فتَّشْتَه لم تَجِدْ هناك فائدة فى المعنى ، كقولِ القائلِ[٢] :

ولَمَّا قَضَيْنَا مِنْ مِنًى كُلَّ حَاجَةٍ ... ومَسَّحَ بِالأَرْكَانِ مَنْ هُوَ مَاسِحُ

وشُدَّتْ على حُدْبِ المَهَارِى رِحَالُنَا ... ولا يَنْظُرُ ٱلغَادِى ٱلذى هُوَ رَائِحُ[٣]

أَخَذْنَا بِأَطْرَافِ ٱلأَحَادِيثِ بَيْنَنَا ... وَسَالَتْ بِأَعْنَاقِ المَطِىِّ ٱلأَبَاطِحُ[٤]

٢٧ • هذه الألفاظُ كمَا تَرَى ، أحسنُ شىءٍ مَخارجَ ومَطَالِعَ ومَقَاطِعَ ،

(١) النابغة هو الذبيانى . والبيت مطلع قصيدة يمدح بها عمرو بن الحرث الأصغر الأعرج ، فى ديوانه ٢ — ٩ وهو من شواهد سيبويه ١ : ٣١٥ . وانظر ما يأتى فى القطعة رقم : ٢٥٤ .

(٢) هذه الأبيات فى ثمانية رواها الشريف المرتضى فى أماليه ٢ : ١١٠ — ١١١ ونسبها المضرب ، وهو عقبة بن كعب بن زهير بن أبى سلمى . وسيأتى ذكر عقبة هذا فى الفقرة : ٢٠٨ . والأبيات الثلاثة التى هنا ذكرها عبد القادر الجرجانى فى أسرار البلاغة ١٥ مثالا للشعر الذى سما به المعنى ، وشرح ذلك على طريقته . والبيتان الأول والثالث ذكرهما ابن جنى فى الخصائص ١ : ٢٢٥ مثالا للشعر الرائق لفظه البسيط معناه ! ورواهما القالى فى ذيل الأمالى ١٦٦ وياقوت فى معجم البلدان ٨ : ١٥٩ ولم ينسبهما واحد من هؤلاء غير الشريف . وذكر الراجكوتى فى شرح الذيل ٧٧ أنه نسبها غير واحد لكثير عزة .

(٣) « المهارى » بكسر الراء وتخفيف الياء ، ويجوز تشديدها ، وهو الأصل ، لأنه جمع « مهرية » وهى الإبل المنسوبة إلى قبيلة « مهرة بن حيدان » . ويجوز أيضاً فى الجمع « مهارى » بفتح الراء . وفى بعض الروايات « على دهم المهارى » .

(٤) ب د « ومالت » . ف س « وشالت » وبحاشية ف « قال الشريف : الرواية الجيدة بالسين غير معجمة » . وقد شرحها عبد القادر بالسين المهملة .

وإنْ نظرتَ (إلى) ما تحتها من المعنى وجدتَه : ولما قَطَعنا[١] أيَّام مِنًى ، واستلمنا الأَركانَ ، وعالينا إبلنا الأَنضاءَ[٢] ، ومضَى الناسُ لا ينتظر الغادِى الرائحَ ، ابتدأنا فى الحديثِ ، وسارت المطىُّ فى الأَبطح .

٢٨ ● وهذا الصنف فى الشعر كثيرٌ .

٢٩ ● ونحوهُ قولُ المَعْلُوطِ[٣] :

إنَّ الذين غَدَوْا بُلُبِّكَ غادَرُوا ... وَشَلًا بِعَيْنِكَ مَا يَزَالُ مَعِينَا[٤]
غَيَّضْنَ مِنْ عَبَرَاتِهِنَّ وقُلْنَ لِى ... مَاذَا لَقِيتَ مِنَ الْهَوَى ولَقِينَا

٣٠ ● ونحوُه قول جرير[٥] : 9

يا أُخْتَ نَاجِيَةَ ٱلسَّلَامُ عَلَيْكُمُ ... قَبْلَ ٱلرَّحِيلِ وقَبْلَ لَوْمِ ٱلعُذَّلِ[٦]
لَوْ كُنْتُ أَعْلَمُ أَنَّ آخِرَ عَهْدِكُمْ ... يَوْمُ الرَّحِيلِ فَعَلْتُ ما لم أَفْعَلِ[٧]

---

(١) س ف « ولما قضينا » .
(٢) الأنضاء : جمع نضو ، وهو الدابة التى أهزلتها الأسفار وأذهبت لحمها .
(٣) س ف « قول جرير » . وبحاشية ف « قال الشريف : وتروى هذه الأبيات للمعلوط السعدى» والبيتان فى قصيدة لجرير يهجو بها الأخطل فى ديوانه ٥٧٧ — ٥٧٩ . والبيت الثانى فى ثلاثة أبيات للمعلوط بن بدل السعدى فى حماسة أبى تمام ٣ : ٣١٨ — ٣١٩ . وهما فى الأغانى ١٥ : ٦٥ — ٦٦ وروى فيه بإسناده عن ابن قتيبة« أن هذين البيتين للمعلوط وأن جريراً سرقهما منه وأدخلهما فى شعره» .
(٤) الوشل ، بفتح الشين ، من الدمع يكون القليل والكثير . والبيت فى اللسان ١٤ : ٢٥١ والأغانى ٧ : ٥٩ ولفظه عندهما « ما يزال » كما هنا . وفى س ف « لا يزال » وهى توافق روايات الأغانى .
(٥) من قصيدة يجيب بها الفرزدق ، فى ديوانه ٤٤٢ — ٤٤٨ والنقائض ٢١١ — ٢٣١ . وهما فى الأغانى ٧ : ٣٩ .
(٦) فى الديوان والنقائض « يا أم ناجية » . وفيهما « قبل الرواح » وفى الأغانى « قبل الفراق » .
(٧) فى الأغانى « يوم الفراق » .

٣١ ●وقولُه (١) :

بَانَ ٱلخليطُ ولوْ طُوِّعْتُ ما بَانَا وقَطَّعُوا مِنْ حِبَالِ ٱلوَصْلِ أقْرَانَا
إنَّ ٱلعُيُونَ ٱلتى فى طَرْفِهَا مَرَضٌ قَتَلْنَنَا ثُمَّ لم يُحْيِينَ قَتْلَانَا
يَصْرَعْنَ ذَا ٱللُّبِّ حتى لَا حَرَاكَ بِهِ وهُنَّ أَضْعَفُ خَلْقِ ٱللهِ أَرْكَانا

٣٢ ●وضربٌ منه جادَ معناه وقصُرَتْ ألفاظُه (٢) عنه ، كقول لَبِيدِ بن رَبِيعَةَ (٣) :

ما عَاتَبَ ٱلمَرْءَ ٱلكَرِيمَ كَنَفْسِهِ والمَرْءُ يُصْلِحُهُ الجَلِيسُ ٱلصَّالِحُ (٤)

هذا وإن كان جيِّدَ المعنَى والسبكِ فإنَّهُ قليلُ الماءِ والرَّونق .

٣٣ ●وكقول النابغة (للنُّعمان) :

خَطَاطِيفُ حُجْنٌ فى حِبَالٍ مَتِينَـةٍ تَمُدُّ بِهَا أَيْدٍ إلَيْكَ نَوَازِعُ (٥)

٣٤ ●قال أبو محمَّد : رأيتُ علماءَنا يستجيدون معناه ، ولستُ أرَى ألفاظَه جيادًا ولا مُبَيِّنَةً لمعناه ، لأنَّهُ أراد : أنت فى قدرتك علىَّ كخطاطيفَ عُقْفٍ يُمَدُّ بها ، وأنا كدَلْوٍ تُمَدُّ بتلك الخطاطيف . وعلى أنى أيضاً لستُ أرىٰ المعنى جيِّدًا (٦) .

٣٥ ●وكقول الفَرَزْدَق :

والشَّيْبُ يَنْهَضُ فى الشَّبَاب كأنَّه لَيْلٌ يَصِيحُ بجَانِبَيْهِ نَهَـارُ (٧)

---

(١) من قصيدة يهجو الأخطل ، فى ديوانه ٥٩٣ – ٥٩٨ . وانظر الأغانى ٧ : ٣٥ – ٣٧ ، ٥٠ و ١٩ : ٣٧ .
(٢) س ف هـ « الألفاظ » .
(٣) سيأتى البيت (١٤٩ ل) .
(٤) هـ « ما عاتب الحر » .
(٥) الديوان ٥٥ . والحجن : جمع أحجن ، وهو المعوج . وسيأتى البيت (٨٠ ل) .
(٦) س ف هـ « حسناً » .
(٧) فى الأغانى ١٩ : ١٦ « ينهض فى السواد » .

٣٦ ●وضربٌ منه تـأخَّر معناه وتـأخَّر لفظُه ، كقول الأعشىٰ فى امرأةٍ :

وفُوهَــا كَأَقَاحِيٌّ غَذَاهُ دَائمُ الهَطْلِ[١]
كما شِيبَ بِرَاحٍ بَا رِدٍ مِنْ عَسَل النَّحْل

٣٧ ●وكقوله[٢] :

إنَّ مَحَلاًّ وإنَّ مُرْتَحَلَا وإنَّ فى ٱلسَّفْرِ ما مَضَى مَهلَا[٣]
اسْتَأْثَرَ ٱللهُ بِالوَفَاءِ وَبِالْ حَمْدِ وَوَلَّىٰ المَلَامَةَ ٱلرَّجُلَا[٤]
وَٱلأَرْضُ حَمَّالَةٌ لِمَا حَمَّلَ ٱللَّـ ـهُ وَمَا إنْ تَرُدُّ ما فَعَلَا
يَوْماً تَرَاهَا كَشِبْهِ أَرْدِيَةِ ٱلْـ عَصْب ويَوْماً أَدِيمُهَا نَغِلَا[٥]

وهذا الشعرُ منحولٌ ، ولا أعلمُ[٦] فيه شيئاً يُستحسنُ إلَّا قوله :

يَا خَيْرَ مَنْ يَرْكَبُ ٱلْمَطِيَّ ولَا يَشْرَبُ كَأْساً بِكَفِّ مَنْ بَخِلَا

يريدُ أَنَّ كلَّ شَارِبٍ[٧] يشربُ بكفِّه ، وهذا ليس ببخيل فيشرب بكفِّ مَنْ بَخِلَ . وهو معنًى لطيفٌ .

---

(١) « الأقاحى » جمع « أقحوان » قال الأزهرى : « هو القراص عند العرب ، وهو البابونج والبابونك عند الفرس » وله نور أبيض كأنه ثغر جارية حدثة السن . كما فى اللسان .

(٢) البيت الأول والثانى ومعهما بيت آخر فى الأغانى ٨ : ٨٢ . والأبيات مع غيرها فى الخزانة ٤ : ٣٨١ — ٣٨٥ والأول فى سيبويه ١ : ٢٨٤ . وهو فى اللسان ١٣ : ١٧ غير منسوب . والثانى فى معجم الشعراء للمرزبانى ٤٠١ والأغانى ١٠ : ١٣٦ .

(٣) قال الأعلم فى شواهد سيبويه : « الشاهد فيه حذف خبر إن لعلم السامع ، والمعنى : إن لنا محلا فى الدنيا ومرتحلا عنها إلى الآخرة . وأراد بالسفر من رحل من الدنيا ، فيقول : فى رحيل من رحل ومضى مهل ، أى لا يرجع » .

(٤) س ف « يا استأثر » .

(٥) العصب : ضرب من برود اليمن . والنغل ، بفتح الغين : فساد الأديم فى دباغه . والبيت فى اللسان ١٤ . ١٩٤ وقال « واستشهد الأزهرى بهذا البيت على قوله نغل وجه الأرض : إذا تهشم من الجدوبة »

(٦) س ف « لا أعرف »

(٧) ب د « أن كل بخيل » وليس بجيد

٣٨ ●وكقول الخَليل بن أحمد العَرُوضِيّ :

إنَّ الخَلِيطَ تَصَدَّعْ فَطِرْ بِدَائِكَ أَوْقَعْ
لَوْلَا جَوَارٍ حِسَانٌ حُورُ ٱلْمَدَامِعِ أَرْبَعْ
أُمُّ ٱلبَنِينَ وَأَسْمَا ءُ وَٱلرَّبَابُ وبَوْزَعْ
لَقُلْتُ لِلرَّاحِلِ ٱرْحَلْ إِذَا بَدَا لَكَ أَوْ دَعْ

٣٩ ●وهذا الشعرُ بَيِّنُ التكلُّف رديءُ الصنعة . وكذلك أشعارُ العلماءِ ، ليس فيها شيءٌ جاءَ عن إسماحٍ وسهولةٍ ، كشعر الأَصْمَعِيّ ، وشعر ابن المُقَفَّع ، وشعر الخليل ، خلا خَلَفٍ الأَحمرِ ، فإنّه (كان) أجودَهم طبعاً وأكثرَهم شعرًا . ولو لم يكن في هذا الشعر إلا «أُمُّ ٱلْبَنِينَ» و «بَوْزَعْ» لَكَفَاهُ !

٤٠ ●فقد كان جريرٌ أنشدَ بعضَ خلفاءِ بني أُميَّةَ قصيدتَه التي أوَّلُها :

بانَ الخَلِيطُ بِرَامَتَيْنِ فَوَدَّعُوا أَوَ كُلَّمَا جَدُّوا لِبَيْنٍ تَجْزَعُ
كَيْفَ ٱلعَزَاءُ ولم أَجِدْ مُذْ بِنْتُمُ قَلْباً يَقِرُّ ولا شَرَاباً يَنْقَعُ[1]

وهو يَتَحَفَّزُ ويَزْحَفُ من حُسنِ الشعرِ[2] ، حتّى إذا بَلَغ إلى قوله :

وتَقُولُ بَوْزَعُ قَدْ دَبَبْتَ عَلَى ٱلعَصَا هَلَّا هَزِئْتِ بِغَيْرِنَا يَا بَوْزَعُ !

قال له : أفسدتَ شعرَك بهذا الاسمِ ، وفَتَر .

٤١ ●قال أبو محمَّد : وقد يقدحُ في الحَسَن قُبحُ اسمِه ، كما ينفعُ القبيحَ حُسْنُ اسمِه ، ويزيدُ في مهانة الرجل فظاعةُ اسمه[3] ، وتُرَدُّ

---

(١) ينقع بالقاف . يقال « شرب حتى نقع » أي شفى غليله وروى . و « نقع الماء العطش » أذهبه وسكنه .

(٢) س ف « ويزحف إليها استحساناً لها » .

(٣) س ف « فظاظة اسمه » .

عدالةُ الرجل بكنيتِه (١) ولقبِه . ولذلك قيل : اشفَعُوا بالكُنَى ، فإنّها شبهةٌ.

٤٢ ● وتَقَدَّم رجلان إلى شُرَيْحٍ ، فقال أحدهما : ادْعُ أبا الكُوَيفِرِ ليشهدَ ، فتقدَّم شيخٌ فردَّه شُرَيْحٌ ولم يَسأَلْ عنه ، وقال : لو كنتَ عدلاً لم ترْضَ بها . وردَّ آخرَ يُلَقَّبُ « أبَا الذِّبَّانِ » ولم يَسأَل عنه .

٤٣ ● وسأل عُمَرُ رجلاً أراد أن يستعين به (على أمرٍ) عن اسمه واسم أبيه ، فقال: ظالمُ بنُ سَرَّاق ، فقال : تظلم أنت ويسرقُ أبوك ! ولم يستعنْ به .

٤٤ ● وسمع عمرُ بن عبد العزيز رجلًا يدعو رجلًا (٢) : يـأَبَا العُمَرَيْنِ ، فقال : لو كان له عقلٌ كفاه أحدُهما !

٤٥ ● ومن هذا الضرب قولُ الأَعْشَى (٣) :

وقَدْ غَدَوْتُ إلى الحَانُوتِ يتْبَعُنِى ... شَاوٍ مِشَلٌّ شَلُولٌ شُلْشُلٌ شَوِلُ

وهذه الألفاظُ الأربعةُ فى معنًى واحدٍ ، وكان قد يستغنى بـأحدها عن جميعها (٤) . وماذا يزيدُ هذا البيت أنْ كان للأعْشَى أو يَنقُص ؟

٤٦ ● [و] (٥) قولُ أبى الأسَدِ ، وهو من المتأخرين الأخفياء (٦) :

---

(١) س ف « بشاعة كنيته » . (٢) س ف « ينادى آخر » .

(٣) البيت فى اللسان ١٣ : ٣٨٥ والخزانة ٣ : ٥٤٧ . وصدره فى اللسان ١٣ : ٣٩٩ . وهو من قصيدته التى ألحقها التبريزى بالمعلقات وشرحها فى شرح القصائد العشر ٢٧٢ – ٢٨٩ .

(٤) فى اللسان : « الشاوى الذى شوى ، والشلول الخفيف ، والمشل المطرد ، والشلشل الخفيف القليل ، وكذلك الشول ، والألفاظ متقاربة ، أريد بذكرها والجمع بينها المبالغة » .

(٥) واو العطف لم تثبت فى الأصول وإثباتها ضرورى فزدناها .

(٦) اسمه نباتة بن عبد الله الحمانى ، شاعر مطبوع متوسط الشعر ، من شعراء الدولة العباسية من أهل الدينور ، وكان طيباً مليح النوادر مداحاً خبيث الهجاء . قاله فى الأغانى ، وله ترجمة فيه ١٢ : ١٦٧ – ١٧١ والأبيات فيه ١٦٨ يمدح بها الفيض بن صالح وزير المهدى .

وَلَائِمَةٍ لَامَتْكَ يَا فَيْضُ فِى النَّدَى ... فَقُلْتُ لَهَا :لَنْ يَقْدَحَ اللَّوْمُ فِى البَحْرِ
أَرَادَتْ لِتَثْنِى الفَيْضَ عن عَادَةِ النَّدَى ... وَمَنْ ذَا الَّذِى يَثْنِى السَّحَابَ عَنِ القَطْرِ
مَوَاقِعُ جُودِ الفَيْضِ فى كُلِّ بَلْدَةٍ ... مَوَاقِعُ ماءِ المُزْنِ فى البَلَدِ القَفْرِ
كَأَنَّ وُفُودَ الفَيْضِ حِينَ تَحَمَّلُوا ... إلى الفَيْضِ وَافَوْا عندَهُ لَيْلَةَ القَدْرِ

٤٧ ●وهو القائل[1] :

لَيْتَكَ آذَنْتَنِى بِوَاحِـدَاةٍ ... تَكُونُ لِى مِنْكَ سَائِرَ الأَبَدِ
تَحْلِفُ أَلَّا تَبَرَّنِى أَبَدًا ... فَإِنَّ فِيهَا بَرْدًا على كَبِدِى
إِنْ كانَ رِزْقِى إِلَيْكَ فَارْمِ بِهِ ... فِى نَاظِرَىْ حَيَّةٍ على رَصَدِ

٤٨ ●ومن هذا الضرب أيضاً قولُ المُرَقِّش[2] :

هَلْ بِالدِّيَارِ أَنْ تُجِيبَ صَمَمْ ... لَوْ أَنَّ حَيًّا نَاطِقاً كَلِمْ
يَأْبِى الشَّبَابُ الأَقْوَرِينَ وَلَا ... تَغْبِطْ أَخَاكَ أَنْ يُقَالَ حَكَمْ[3]

٤٩ ●والعجبُ عندى من الأَصْمَعِىّ ، إِذْ[4] أَدخله فى مُتخيَّرِه[5] ، وهو شعرٌ ليس بصحيحِ الوزنِ ، ولا حَسَنِ الرَّوِىِّ ، ولا مُتخيَّرِ اللفظِ ، ولا لطيف

---

(١) من أبيات فى الأغانى ١٢ : ١٦٨ يهجو بها أحمد بن أبى دؤاد ، لأنه ملحه فلم يثبه ووعده بالثواب ومطله .

(٢) المرقش الأكبر شاعر جاهلى ، ستأتى ترجمته ١٠٢ — ٢٠٥ ل وهذان البيتان هما الأول والأخير من المفضلية ٥٤ انظرها بشرحنا مع الأستاذ عبد السلام محمد هرون طبعة دار المعارف . وسيأتى بهما المؤلف مرة أخرى ٣٥ ل ، وسيذكر البيت الأخير فى ترجمة المرقش .

(٣) « يأبى » ثابتة الضبط فى المواضع الثلاثة فى هذا الكتاب ، وهى صحيحة على القياس مثل « أتى يأتى ». وأما « أبى يأبى » مثل « سعى يسعى » فإنه سماعى. وفى رواية المفضليات « يأتى » بالتاء المثناة . الأقورين : الدواهى .

(٤) س ف « حين » .

(٥) هذا الشعر فى المفضليات ، ولم يذكر فى الأصمعيات . وقد استدللنا فى مقدمة شرحنا للمفضليات بقول ابن قتيبة هذا على تداخل الأصمعيات فى المفضليات .

المعنَى ، ولا أعلمُ[١] فيه شيئاً يُستحسنُ إلّا قوله :

اَلنَّشرُ مِسْك والوُجُوهُ دَنَا نِيرُ وأَطْرَاف الأَكُفِّ عَنَمْ

ويُستجادُ منه قولُه :

لَيْسَ على طُولِ الحيَاةِ نَدَمْ ومنْ وَرَاء المَرْءِ مَا يُعْلَمْ[٢]

٥٠ ●وكان الناس يستجيدون للأَعْشَىٰ قولَه[٣] :

وكَأْسٍ شَرِبْتُ على لَذةٍ وأُخْرَىٰ تَدَاوَيْتُ منْهَا بهَا

حتّى قال[٤] أبو نُوَاس :

دَعْ عَنْكَ لَوْمِي فَإنَّ اللَّوْمَ إغْرَاءُ وَدَاوِنِي بِالَّتِي كانَتْ هِيَ الدَّاءُ

فسلخه وزاد فيه معنًى آخرَ ، اجتمع له به الحُسْنُ فى صدره وعَجُزِه ، فللأَعْشَىٰ فضلُ السَّبْقِ إليه ، ولأَبِى نُوَاسٍ فضلُ الزيادة فيه[٥].

٥١ ●وقال الرشيد للمفضَّل الضبيِّ : اذكُرْ لى بيتاً جيِّدَ المعنى يحتاج إلى مقارعةِ الفكرِ فى استخراجِ[٦] خَبِيئِه ثمَّ دَعْنى وإيَّاه . فقال له المُفَضَّلُ : أَتَعْرِفُ بيتاً أَوَّله أعرابيٌّ فى شَمْلَتِه ، هابٌّ من نَوْمتِه ، كأنَّما صَدَر عن ركبٍ جَرَىٰ فى أجفانهم الوَسَنُ فركَد ، يستفزُّهم بعُنْجَهِيَّة[٧] البَدْو ،

(١) س ف هـ « ولا أعرف » .

(٢) « يعلم » ضبط فى هذا الكتاب بالبناء للمجهول ، وفى المفضليات بالبناء للفاعل ، فأثبتناهما معاً ، والمعنى واحد ، يريد أن أمام الإنسان عاقبة عمله ، أو أمامه الشيب والهرم والأمراض والعلل .

(٣) س ف « يستجيدون قول الأعشى » .

(٤) س ف « إلى أن قال » .

(٥) س ف « عليه » .

(٦) س ف « إلى مقارعة الأذهان فى إخراج » .

(٧) المنجهية : الكبر والعظمة ، أو الجفوة وخشونة المطعم وسائر الأمور ، أو الجهل والحمق . وضبطت هنا بفتح الجيم ، ونقل صاحب اللسان الفتح عن ابن سيده عن ابن الأعرابى ، والجادة ضم الجيم وهو الذى فى القاموس وغيره .

وتَعَجْرُفِ الشَّدْوِ ، وآخرُه مَدَنِيٌّ رقيقٌ ، قد غُذِّىَ بماءِ العَقِيق ؟

قال : لا أعرفه ، قال : هو بيتُ جَميل بن مَعْمَر :

* أَلَا أَيُّهَا الرَّكْبُ النِيَامُ أَلَا هُبُّوا[١] *

ثمَّ أدركَتْهُ رِقَّةُ المَشُوقِ[٢] فقال :

* أُسَائِلُكُمْ[٣] : هَلْ يَقْتُلُ الرَّجُلَ الحُبُّ ؟ *

قال : صدقتَ ، فهل تعرفُ أنت الآن بيتاً أوَّلُه أَكْثَمُ بنُ صَيْفِيٍّ فى إِصالة الرأى[٤] ونُبْلِ العِظَةِ ، وآخرُه إِبُقْرَاطُ فى معرفته[٥] بالداءِ والدواءِ ؟ قال المُفَضَّلُ : قد هَوَّلْتَ علىَّ ، فليتَ شعرى بأىِّ مهرٍ تُفْتَرَعُ عروسُ هذا الخِدْرِ ؟ قال : بإصغائك وإنصافكَ[٦] ، وهو قولُ[٧] الحسَن بن هانئٍ :

دَعْ عنْكَ لَوْمِى فَإِنَّ اللَّوْمَ إِغْـراءُ     ودَاوِنِى بِالَّتِى كانَتْ هِىَ الدَّاءُ

٥٢ ● قال أبو محمَّد : وسمعتُ بعضَ أهل الأدب يذكرُ[٨] أنَّ مُقَصَّدَ القصيدِ إنَّما ابتدأ فيها بذكرِ الديارِ والدِّمَنِ والآثارِ ، فبكَى وشَكَا ، وخاطبَ الرَّبْعَ ، واستوقَفَ الرفيقَ ، ليجعلَ ذلك سبباً لذكر أهلِها الظاعنينَ (عنها) ،

---

(١) فى الأغانى ٧ : ٨٦ * ألا أيها النوام ويحكم هبوا * وذكر قصة أخرى نحو هذه بين الهيثم ابن عدى وصالح بن حسان .

(٢) س ف ه « الشوق » .

(٣) الأغانى « نسائلكم » .

(٤) « الأصالة » المعروف فيها فتح الهمزة لا غير ، ولكنها ضبطت هنا بالكسر فقط ، فأثبتناها ، وإن لم نجد ما يؤيد الكسر .

(٥) س ب « لمعرفته » .

(٦) س ب « بإنصافك وإنصاتك »

(٧) س ب « وهو بيت »

(٨) س ب « بعض أهل العلم يقول »

إذْ كان نازِلَةُ العَمَدِ[1] في الحلول والظَّعْن على خلاف ما عليه نازِلةُ المَدَرِ ، لانتقالِهم[2] عن ماءٍ إلى ماءٍ ، وانتجاعهم الكَلَأَ ، وتَتَبُّعِهِمْ مساقطَ الغَيْثِ حيثُ كَانَ . ثم وَصلَ ذٰلك بالنسيبِ ، فشكا شِدَّةَ الوَجْدِ وأَلَمَ الفِرَاقِ ، وفَرْطَ الصبابةِ[3] والشوقِ ، لِيمِيلَ نحوَه القلوبَ ، ويصرفَ إليه الوُجوهَ ، ولِيَسْتَدْعِيَ (به) إصغاءَ الأَسماعِ (إليه) ، لأَنَّ التشبيبَ[4] قريبٌ من النفوسِ ، لائِطٌ بالقلوبِ ، لما (قد)جعلَ اللهُ في تركيبِ العبادِ من محبّةِ الغَزَلِ ، وإِلْفِ النساءِ ، فليس يكادُ أحدٌ يخلو من أن يكون متعلّقاً منه بسببٍ ، وضارباً فيه بسهمٍ ، حلالٍ أو حرامٍ . فإذا (علم أنّه قد) استوثق من الإصغاءِ إليه ، والاستماعِ له ، عَقّب بإيجاب الحقوقِ ، فرَحَلَ في شعره ، وشكا النَّصَبَ والسَّهَرَ ، وسُرَى الليلِ وحرَّ الهجيرِ ، وإنضاءَ الراحلةِ والبعيرِ . فإذا عَلِمَ أنّه (قد) أوجب على صاحبه حقَّ الرجاء ، وذِمَامَةَ[5] التأميلِ ، وقَرَّرَ عنده ما ناله من المَكَارِهِ في المسير ، بَدَأَ في المديح ، فبعثه على المكافأَة ، وهزّه للسَّماحِ[6] ، وفضَّله على الأَشباهِ ، وصَغّر في قَدْرِه الجزيلَ .

٥٣ ● فالشاعرُ المُجِيدُ مَن سَلَكَ هذه الأَساليبَ ، وعدَّل بين هٰذه

---

(١) نازلة العمد : هم أصحاب الأبنية الرفيعة الذين يتنقلون بأبنيتهم ، ونحو ذلك فسر الفراء قوله تعالى( إرم ذات العماد) « أنهم كانوا أهل عمد ينتقلون إلى الكلأ حيث كان ثم يرجعون إلى منازلهم » .

(٢) س ب «لانتجاعهم الكلأ وانتقالهم » .

(٣) س ب « فشكا شدة الشوق وألم الوجد والفراق ، وفرط الصبابة » .

(٤) س ب « لأن النسيب » .

(٥) الذمامة ، بفتح الذال وكسرها : الحق والحرمة . وفي س ب « وذمام » وهي بكسر الذال بمعنى الذمامة .

(٦) س ب « على السماح » .

الأَقسامِ ، فلم يجعلْ واحدًا منها أَغْلَبَ على الشعر ، ولم يُطِلْ فيُمِلَّ السامعين ، ولم يقْطَعْ وبالنفوس ظَمَآءٌ إلى المزيد .

٥٤ ●فقد كان بعضُ الرُّجَّازِ أَتَى نَصْرَ بنَ سَيَّارٍ والىَ خُرَاسَانَ لبنى أُمَيَّة[١] ، فمدحه بقصيدة ، تشبيبُها مائةُ بيتٍ ، ومديحُها عشرةُ أبياتٍ ، فقال نَصْرٌ : واللهِ ما بَقَّيْتَ كلمةً عَذْبَةً ولا معنًى لطيفاً إلَّا وقد شَغَلْتَه عن مديحى بتشبيبك ، فإن أَردتَ مديحى فاقتصدْ فى النسيب ، فأَتاه فأَنشدَه :

هَلْ تَعْرِفُ الدَّارَ لأُمِّ الغَمْرِ ... دَعْ ذَا وحَبِّرْ مِدْحَةً فى نَصْرِ

فقال نصرٌ : لا ذٰلك[٢] ولا هٰذا ولٰكنْ بَيْنَ الأَمرين .

٥٥ ●وقيل لعَقِيل بن عُلَّفَة[٣] : ما لك لا تُطِيلُ الهجَاء ؟ فقال : يكفيكَ من القِلَادةِ ما أحاطَ بالعنق .

٥٦ ●وقيل لأبى المُهَوِّش الأَسَدى[٤] : لِمَ لا تُطيل الهجاء ؟ فقال : لم أَجِدْ المثلَ السائرَ إلَّا بيتاً واحدًا .

٥٧ ●وليس لمتأَخِّرِ الشعراء أَن يَخرجَ عن مذهب المتقدِّمين فى هذه الأَقسام ، فيقفَ على منزلٍ عامر ، أَو يبكىَ عند مُشَيَّدِ البنيان ، لأَنَّ المتقدِّمين وقفوا على المنزل الداثر ، والرسم العافى . أَو يرحلَ على حمارٍ أَو بغلٍ ويصفَهما ، لأَنَّ المتقدِّمين رَحَلوا على الناقة والبعير . أَو يَرِدَ على المياه

---

(١) ولى نصر بن سيار خراسان سنة ١٢٥ ولاه إياها الوليد بن يزيد بن عبد الملك .

(٢) س ب — « لا ذاك » .

(٣) هو عقيل بن علفة المرى كان شاعراً شريفاً من غطفان . أخباره فى معجم الشعراء للمرزبانى ٣٠١ — ٣٠٢ والأغانى ١١ : ٨١ — ٨٩

(٤) « المهوش » بكسر الواو المشددة ونسيط ق ب فتح الواو . وأبو المهوش اسمه ربيعة بن وثاب رجح صاحب الخزانة أنه شاعر إسلامى . انظر الخزانة ٣ ٨٦ ١٤٢ والسمط ٨٦٣ .

العِذَابِ الجوارى ، لأنَّ المتقدِّمين وَرَدوا على الأَواجِنِ الطَّوَامِي . أَو يقطعَ إلى الممدوح منابتَ النرجسِ والآسِ والورد ، لأَنَّ المتقدِّمين جَرَوْا على قطع منابت الشيح والحَنْوةِ والعَرَارَةِ[1] .

٥٨ ● قال خَلَفٌ الأَحمرُ : قال لى شيخٌ من أهل الكُوفَة : أَمَا عجبتَ من الشاعر قال :

* أَنْبَتَ قَيْصُوماً وجَثْجَاثَا *

فاحتُمِلَ له ، وقلتُ أنا :

* أَنْبَتَ إِجَّاصاً وتُفَّاحَا *

فلم يُحْتَمَلْ لى ؟

٥٩ ● وليس له أن يقيسَ على اشتقاقهم ، فيُطْلِقَ ما لم يُطلقوا .

٦٠ ● قال الخليلُ (بنُ أحمد) : أنشدنى رجلٌ :

* تَرَافَعَ العِزُّ بِنَا فارْفَنْعَعا *

فقلتُ . ليس هذا شيئاً ، فقال : كيف جاز للعَجَّاجِ أن يقول :

* تَقاعَسَ العزُّ بِنَا فَاقْعَنْسَسا[2] *

ولا يجوزُ لى ؟ !

٦١ ● ومن الشعراء المتكَلِّفُ والمطبوعُ[3] :

(١) الحنوة ، بفتح الحاء : نبات سهل طيب الريح ، وقال أبو حنيفة : الحنوة الريحانة . والعرارة ، بفتح العين : واحدة العرار ، وهو نبت طيب الريح أيضاً ، وقال ابن برى : هو النرجس البرى .

(٢) فى اللسان « تقاعس العز أى ثبت وامتنع ولم يطأطىء رأسه ، فاقعنسس أى فثبت معه » .

(٣) هذا الكلام كأنه منقول بنصه أو معناه فى البيان والتبيين للجاحظ ٢ : ٢١ و ٢ : ٢٥ .

٦٢ ● فالمتكلِّفُ هو الذى قوَّم شعرَه بالثِّقافِ ، ونقَّحه بطولِ التفتيشِ ، وأعادَ فيه النظرَ بعدَ النظرِ ، كزُهَيْرٍ والحُطَيْئَةِ . وكان الأَصْمَعِىُّ يقول : زُهَيْرٌ والحُطيْئَةُ وأشباهُهما[1] (من الشعراءِ) عَبِيدُ الشعرِ، لأنهم نقَّحُوه ولم يذهبوا فيه مذهبَ المطبوعين . وكان الحُطَيْئَةُ يقولُ : خيرُ الشعرِ الحَوْلِىُّ المُنَقَّحُ المُحَكَّكُ . وكان زُهَيْرٌ يسمِّى كُبْرَ قصائدِه الحوليَّات[2].

٦٣ ● وقال سُوَيْدُ بن كُراعٍ ، (يَذْكُرُ تنقيحَه شعرَه)[3] :

أَبِيتُ بِأَبْوَابِ القَوَافِى كَأَنَّمَا ... أُصَادِى بها[4] سِرْباً مِنَ الوَحْشِ نُزَّعَا
أُكَالِئُهَا حَتَّى أُعَرِّسَ بَعْدَ ما ... يكُونُ سُحَيْرًا أَوْ بُعَيْدُ فأَهْجَعا
إِذَا خِفْتُ أَنْ تُرْوَى علىَّ رَدَدْتُهَا ... وَرَاءَ التَّرَاقِى خَشْيَةً أَنْ تَطَلَّعا
وَجَشَّمَنِى خَوفُ ابْنِ عَفَّانَ رَدَّهَا ... فَثَقَّفْتُهَا حَوْلًا جَرِيدًا ومَرْبَعا[5]
(وقَدْ كان فى نَفْسِى عليْها زِيَادَةٌ ... فَلَمْ أَرَ إِلَّا أَنْ أُطِيعَ وأَسْمَعا)

٦٤ ● وقال عَدِىُّ بنُ الرِّقَاعِ[6] :

وقَصِيدَةٍ قَدْ بِتُّ أَجْمَعُ بَيْنَهَا ... حَتَّى أُقَوِّمَ مَيْلَهَا وسِنَادَهَا
نَظَرَ المُثَقِّفِ فى كُعُوبِ قَنَاتِهِ ... حَتَّى يُقِيمَ ثِقَافُهُ مُنْآدَهَا

٦٥ ● وللشعرِ دواعٍ تحثُّ البطىءَ وتبعثُ المتكلِّفَ ، منها الطمعُ ، ومنها الشوقُ ، ومنها الشراب ، ومنها الطرب ، ومنها الغضب .

---

(١) س ب « وأمثالها » .
(٢) سيأتى نحو هذا ٦١ ل .
(٣) من أبيات ستأتى ترجمته ٤٠٣ ل . وانظرها جاولة فى الأغانى ١١ : ١٢٣ .
(٤) س ب ف د « به » .
(٥) حولا جريداً : أى تاماً .
(٦) من قصيدة سيأتى بعضها فى ترجمته ٣٩٢ — ٣٩٣ ل والبيتان فى الموشح ص : ١٣ .

٦٦ ● وقيل للحُطَيْئَة . أىُّ الناسِ أشْعَرُ(١)؟ فأخرج لساناً دقيقاً كأنَّه لسانُ حيَّة ، فقال : هذا إذا طمع .

٦٧ ● وقال أحمد بن يوسف الكاتب لأبى يعقوبَ الخُرَيْمىّ : مدائحك لمحمَّد بن مَنْصُور بن زِيَاد ، يعنى كاتبَ البرامكةِ ، أشعرُ من مراثيك فيه وأجود ؟ فقال : كنَّا يومئذ نعملُ على الرجاء ، ونحن اليومَ نعملُ على الوفاء ، وبينهما بَوْنٌ بعيد(٢).

٦٨ ● وهذه عندى قصَّةُ الكُمَيْت فى مدحه بنى أُمَيَّة وآلِ أبى طالبٍ ، فإنَّه كان يتشيَّع وينحرفُ عن بنى أُمَيَّة بالرأى والهوى ، وشعرُه فى بنى أُمَيَّة أجودُ منه فى الطالبيِّين ، ولا أرى علة ذلك إلَّا قوَّةَ أسباب الطمع وإيثار النفس لعاجل الدنيا على آجل الآخرة .

٦٩ ● وقيل لكُثَيِّرٍ : يأَبا صَخْرٍ كيف تصنعُ(٣). إذا عَسُرَ عليك قولُ الشعر ؟ قال : أَطُوف فى الرِّباع المخلية والرياض المعشبة ، فيسهلُ علىَّ أرصَنُه ، ويُسرعُ إلىَّ أحسنُه .

٧٠ ● ويقال أيضاً إنَّه لم يُسْتَدْعَ(٤) شاردُ الشعر بمثل الماء الجارى والشرَف العالى والمكان الخَضِرِ الخالى .

٧١ ● وقال الأَحْوَص(٥) :

وأشْرَفْتُ فى نَشْزٍ مِنَ الأَرْضِ يَافِعٍ ... وقَدْ تَشْعَفُ الأَيْفَاعُ مَنْ كانَ مُقْصَدا

---

(١) س ب « من أشعر الناس » .

(٢) سيأتى ذلك مرة أخرى ، فى الفقرة : ١٥٧٩ .

(٣) س ب « كيف تصنع يابا صخر » .

(٤) س ب « ما استدعى » .

(٥) من أبيات ستأتى فى الفقرة : ٩٠٣ .

وإذا شعفَتْه الأَيفاعُ مرَّتْ واستدرَّته

٧٢ ● وقال عبدُ الملك بن مرْوان لأَرْطاة بن سُهَيَّةَ . هل تقول الآنَ شعرًا ؟ فقال : (كيف أقول وأنا) ما أشرب ولا أطرب ولا أغضبُ ، وإنما يكونُ الشعر بواحدة من هذه[١].

٧٣ ● وقيل للشَّنْفَرَى حين أُسِرَ : أَنْشِدْ ، فقال : الإنشادُ على حين المَسَرَّة[٢] ، ثم قال :

فَلَا تَدْفنُونِى إنَّ دَفنى مُحَرَّمٌ ... عليْكُمْ ولٰكِنْ خَامِرِى أَمَّ عَامِرِ[٣]

إِذَا حَمَلُوا رأْسِى وفى الرأْسِ أَكثَرِى ... وغودِرَ عِنْدَ المُلْتَقَى ثَمَّ سَائرِى[٤]

هُنالِكَ لَا أَرْجُو حَيَاةً تَسُرُّنى ... سَميرَ الليالِى مُبْسَلاً بالجَرَائرِ[٥]

٧٤ ● وللشعر تاراتٌ[٦] يبعد فيها قريبُه ، ويَستصعِبُ (فيها) رَيِّضُه . وكذلك الكلامُ المنثور فى الرسائل والمقامات والجوابات ، فقد يتعذَّر على الكاتب الأَديب وعلى البليغ الخطيب ولا يُعْرَف لذلك سببٌ[٧] ، إلَّا أن

---

(١) ستأتى القصة مطولة فى ترجمته ٣٣٢ ب . انظر الأغانى ١١ : ١٣٤ – ١٣٥

(٢) س ب « على حال المسرة » وهذه القصة مختصرة فى قصة مقتله ، وتجدها متصلة فى الأنبارى ١٩٤ – ١٩٧ والأغانى ٢١ : ٨٧ – ٩٣ والخزانة ٢ : ١٦ – ١٨ . والأبيات فى الحماسة بشرح التبريزى ٢ : ٦٣ – ٦٥ .

(٣) حاشية ب « قال الشريف . الرواية لا تدفنونى » والذى فى المراجع التى أشرنا إليها « لاتقبرونى. إن قبرى » وفى سائر الروايات « أبشرى أم عامر » . قال التبريزى « فى قوله ولكن أبشرى أم عامر وجهان ، أحدهما أبشرى أم عامر بأكلى إذا تركت ولم أدفن ، والثانى اتركونى التى يقال لها أبشرى أم عامر . ويروى خامرى أم عامر » وأم عامر هى الضبع

(٤) ب د هـ « إذا حملت » وفى الخزانة والأغانى « إذا احتملت » وفى الأنبارى والحماسة « إذا احتملوا »

(٥) فى الأنبارى والحماسة والس... ٨ : « سجيس الليالى وهما بمعنى والمراد أبداً ومعنى « مبسلا بالجرائر » أنه أسلم إلى عدو ... ى عليهم المبسل نسنم

... « أوقات »

(٧) س ... « ولا تعرف لذلك علة

يكونَ من عارض يعْتَرِضُ[١] على الغريزةِ من سُوءِ غذاءٍ أو خاطرِ غَمٍّ .

٧٥ • وكان الفَرَزْدَقُ يقول : أنا أشعرُ تَمِيمٍ (عند تَميمٍ) ، وربما أَتَتْ عليَّ ساعةٌ ونزعُ ضرس أسهلُ[٢] عليَّ من قولِ بيت .

٧٦ • وللشعر أوقاتٌ يُسْرِعُ فيها أَتِيُّه ، ويَسْمَحُ (فيها) أَبِيُّه . منها أوَّلُ الليل قبل تَغَشِّى الكَرَى ، ومنها صدرُ النهار قبلَ الغَدَاء ، ومنها يومُ شرب الدواء ، ومنها الخلوةُ فى الحبسِ[٣] والمسيرِ .

٧٧ • ولهذه العلل تختلفُ أشعارُ الشاعرِ ورسائلُ الكتاب .

٧٨ • وقالوا فى شعر النابغة الجَعْدىّ : خِمَارٌ بِوَافٍ ومطْرَفٌ بآلاف[٤].

٧٩ • ولا أرى غيرَ الجَعْدىّ فى هذا الحكم إلَّا كالجَعْدىّ ، ولا أحسبُ أحدًا من أهل التمييز والنظرِ[٥] ، نَظَر بعينِ العدل وتَركَ طريقَ التقليد ، يستطيعُ أن يُقَدِّمَ أحدًا من المتقدّمين المُكْثرين على أحد إلَّا بأَنْ يَرى الجيِّدَ فى شعره أكثرَ من الجيِّد فى شعر غيره .

---

(١) س ب «يعرض» وبحاشية ب" «قال الشريف: يختار فى الشر عرض يعرض، وفى الخير عرض يعرض» . وقد ضبط الفعل الماضى فيهما بفتح الراء ، وهو خطأ ، فإن الذى فى المصباح أن الفعل كله كله من باب «ضرب» ثم قال «وعرضت له بالسوء أعرض ، من باب تعب ، لغة» . ونص اللسان أيضاً على البابين أنهما لغتان .

(٢) س ب «أهون» .

(٣) س ب «فى المجلس» .

(٤) هذه الكلمة فى الأغانى ؛ ١٣٧ عن الأصمعى قال : «ذكر الفرزدق نابغة بنى جعدة فقال كان صاحب خلقان ، عنده مطرف بألف وخمار بواف ، يعنى درهماً» . وقال محمد بن سلام الجمحى فى طبقات الشعراء ٢٦ : «وكان الجعدى مختلف الشعر مغلباً ، فقال الفرزدق : مثله مثل صاحب الخلقان ترى عنده ثوب عصب وثوب خز وإلى جانبه سمل كساء» . وسيأتى نحو هذا فى الفقرة : ٩٨ ؛

(٥) س ب «من أهل المعرفة أو أهل التمييز» .

٨٠ ولله دَرُّ القائل أشعرَ الناسِ مَن أنت فى شعره حتّى تَفْرُغ منه .

٨١ وقال العُتبيُّ : أُنْشدَ مَرْوانُ بن أبى حَفْصَة لزُهَيْرٍ فقال : زُهَير أشعرُ الناس ، ثمَّ أُنشدَ للأَعْشَى فقال : (بل) هذا أشعرُ الناسِ ، ثمَّ أُنشد لامْرِئ القَيس فكأنَّما سَمع به غِنَاءً على شراب ، فقال : امرؤُ القيس والله أشعر الناسِ .

٨٢ وكلُّ علمٍ[1] محتاجٌ إلى السماع . وأحوجُه إلى ذلك علمُ الدين ، ثمَّ الشعرُ ، لما فيه من الألفاظِ الغريبة ، واللُّغاتِ المختلفة ، والكلامِ الوحشىِّ ، وأسماء الشجرِ والنباتِ والمواضعِ والمياهِ . فإنَّك لا تَفْصِلُ فى شعر الهُذَلِيِّين إذا أنت لم تسمعه بين «شَابَةَ» و «سَايَةَ» وهما موضعان[2] ، ولا تثق بمعرفتك فى حَزْمِ نُبَايِعَ[3] ، وعُرْوَان الكَرَاثِ[4] ، وشَسَّى عَبقَرَ[5] ،

(١) س ب د « وكل العلم »

(٢) « شابة » بالشين المعجمة والباء الموحدة الخفيفة ، قال ياقوت : « جبل بنجد ، وقيل بالحجاز فى ديار غطفان بين السليلة والربذة » و «سابة» بالسين المهملة وبعد الألف ياء مثناه تحتية مفتوحة ، قال ياقوت : « اسم واد من حدود الحجاز » ثم نقل عن ابن جنى أنه « واد عظيم به أكثر من سبعين عيناً » .

(٣) « حزم نبايع » : جبل أو واد فى ديار هذيل .

(٤) « عروان » بضم العين من أمنع جبال حجاز وأكثره صيداً وعسلا ، وهو من منازل هذيل ، كما فى صفة الجزيرة ١٧٣ ونقل ياقوت عن ابن دريد فتح العين . و « الكراث » بفتح الكاف والراء وآخره ثاء مثلثة نبت ، قال ياقوت ٦ ١٥٩ « وهو الهيلون » وذكر بيت ساعدة بن جؤية الهذلى : « دفاق فعروان الكراث فضيمها » [illegible] ذكر البيت مرة أخرى فى ٧ : ٢٢٦ وقال : « دفاق وعروان والكرات وضيم . أودية كلها فى بلاد هذيل هكذا هو فى عدة مواضع من كتاب هذيل . وهو غلط ، والصواب الكراث [illegible] الموحدة » وقد أخطأ فى [illegible] فإن الموضع هو عروان ونسب للنبت الذى يكثر فيه ، والثاء المثلثة [illegible] فى المصادر [illegible] الصحاح [illegible] « الكراث » فى بيت آخر لتأبط شراً لا يحتمل الموضعين [illegible]

(٥) الشجر الغليظ [illegible] ضبطه ياقوت [illegible] بسكون الباء وفتح القاف

وأُسدِ حَلْيَةَ[1] ، وأسدِ تَرْجٍ[2] ، ودُفَاقٍ[3] ، وتُضَارُعَ[4] ، وأشباه هذا لأنَّه لا يلحق بالذكاء والفطنة ، كما يلحق مشتقُّ الغريب .

٨٣ ●وقُرِئَ يوماً على الأصمعيِّ فى شعر أبى ذُؤَيْب :

* بِأَسْفَلِ ذاتِ الدَّيْرِ أُفْرِدَ جَحْشُهَا *

فقال أعرابيٌّ حَضَر المجلسَ للقارئ : ضَلَّ ضَلَالُك (أيها القارئ ) ! إنَّما هى « ذاتُ الدَّبْر » وهى ثَنِيَّةٌ عندنا[5] ، فأخَذَ الأَصْمعىُّ بذلك فيما بعد .

٨٤ ●ومن ذا من الناسِ يأخذُ من دفتر شعر المُعَذَّل بن عبد الله فى وصف الفَرس :

مِنَ السُّحِّ جَوَّالًا كَأَنَّ غُــلَامَهُ ... يُصَرِّفُ سِبْدًا فى العِنَانِ عَمَرَّدَا[6]

إلَّا قرأه « سِيدًا » يذهب إلى الذئب ، والشعراءُ (قد) تشبه الفرسَ

وتخفيف الراء ، وقال : « هى أرض كان يسكنها الجن ، يقال فى المثل : كأنهم جن عبقر » . وقد جاء فى بيت المرار بن منقذ « فشسي عبقر » ( المفضليات ١٦ : ٥٣ ) بفتح الباء وضم القاف وتشديد الراء ، ولم يذكر الأنبارى ( ١٥٣ ) خلافاً فى ضبطه أو تغييراً ، ولكن زعم ياقوت أن الشاعر غيره من أجل الوزن . والظاهر عندى أن الموضع الذى ذكره المرار غير الموضع الذى تنسب إليه الجن .

( ١ ) الظاهر من سياق الكلام هنا أن « أسد حلية » اسم موضع ، ولكن الذى فى ياقوت وصفة جزيرة العرب أن اسم الموضع « حلية » قال ياقوت : « مأسدة بناحية اليمن » ونقل أقوالا أخر فى تعيين موضعها ، فحلية هى الموضع ينسب إليها الأسد فيقال « أسد حلية » .

( ٢ ) هذه كالتى قبلها . قال ياقوت : « ترج ، بالفتح ثم السكون وجيم : جبل بالحجاز كثير الأسد » .

( ٣ ) دفاق ، بضم الدال وتخفيف الفاء وآخره قاف : موضع قرب مكة .

( ٤ ) تضارع : قال ياقوت : « بضم الراء على تفاعل ، عن ابن حبيب ، ولا نظير له فى الأبنية ، وقيل بكسر الراء : جبل بتهامة لبنى كنانة » .

( ٥ ) انظر معجم البلدان ٤ : ٣٢ .

( ٦ ) البيت فى اللسان ٤ : ١٨٧ وقال : « قوله من السح يريد من الخيل التى تسح الجرى ، أى تصب ، والعمرد الطويل » .

بالذنب . وليست الروايةُ المسموعة (عنهم) إلّا «سِبْدًا». قال أبو عُبَيْدَة

المصحّفون لهذا الحرف كثير . يروونه «سيدًا» (أى ذئبًا) ، وإنّما هو «سِبْدٌ» بالباء معجمة بواحدة . يقال «فلانٌ سِبْدُ أَسْبَادٍ» أى داهيةُ دواه .

٨٥ ● وكذلك قولُ الآخَر .

زَوْجُكِ يا ذاتَ ٱلثَّنَايَا الغُرِّ  الرَّتِلاتِ والجَبِينِ الحُرِّ

يرويه المصحِّفون والآخذون عن الدفاتر «الرَّبَلات» وما «الربلاتُ» من الثنايا والجبين؟! وهى أُصول الفخذين ، يقال: «رجل أَرْبَلُ» إذا كان عظيمَ الرَّبلَتَيْنِ ، (أى عظيمَ الفخذَيْن) ، وإنّما هى «الرَّتَلات» بالتاء ، يقال : «ثَغْرٌ رتِلٌ» إذا كان مُفَلَّجًا [1].

٨٦ ● وليس كلُّ الشعر يُختار (ويُحفَظ) على جودة اللفظ والمعنى ، ولكنّه قد يُختار ويُحفَظ على أسبابٍ [2] :

٨٧ ● منها الإصابةُ فى التشبيه ، كقولِ القائِل فى وصف القمر :

بَدَأَنَ بنا وٱبْنُ اللَّيَالِى كَأَنَّهُ  حُسَامٌ جَلَتْ عَنْهُ القُيُونُ صَقِيلُ

فما زِلْتُ أُفْنِى كُلَّ يَوْمٍ شَبَابَهُ  إلى أَنْ أَتَتْكَ العيسُ وهْوَ ضَئِيلُ

٨٨ ● وكقول الآخرَ فى مُغْنٍ

---

(١) وقد رواد صاحب [illegible] [illegible] أيضًا فى أبيات ٧ [illegible]

(٢) [illegible] وقد تحدثنا عن [illegible]

كَأَنَّ أَبَا الشُّمُوس إِذَا تَغَنَّى ... يُحَاكِى عَاطِساً فى عَيْنِ شَمْسِ[1]

يَلُوكُ بِلَحْيِهِ طَوْرًا وطَوْرًا ... كَأَنَّ بِلَحْيِهِ ضَرَبَانَ ضِرْسِ

وقد يُحفَظ. ويُختار على خفّة الرَّوِىّ، كقول الشاعر[2]:

يا تَمْلِكُ يَا تَمْلِي ... صِلِينِى وذَرِى عَذْلِى[3]

ذَرِينِى وسِلَاحِى ثُـ ... ـمَّ شُدِّى الكفَّ بِالغَزْلِ[4]

ونَبْلِى وفُقَاهَا كَـ ... ـعَرَاقِيبِ قَطاً طُحْلِ[5]

ومِنِّي نَظْرَةٌ بَعْدِى ... ومِنِّى نَظْرَةٌ قَبْلِى[6]

وثَوْبَاىَ جَدِيدَانِ ... وأُرْخِي شُرُكَ النَّعْلِ[7]

وإِمَّا مُتُّ يا تَمْلِي ... فَكُونِى حُرَّةً مِثْلِى[8]

وهذا الشعر ممَّا اختاره الأَصْمَعِىُّ (بخفّة رَوِيّه).

---

(١) س ب ﻫ «كأن أبا السمى».

(٢) هذه الأبيات رواها أبو سعيد السيرافى فى كتاب أخبار النحويين البصريين طبعة معهد المباحث الشرقية بالجزائر سنة ١٩٣٦ [ص ٢٩ قال: «وأنشد المازنى قال: أنشدنا الأصمعى عن أبى عمر لرجل من اليمن، وقد سماه غيره فقال امرؤ القيس بن عابس». ونقل ذلك صاحب اللسان ٢٠ : ٢٠ ولكنه أخطأ فجعل الرواية عن أبى عمرو بن العلاء عن الأصمعى، وأبو عمرو شيخ الأصمعى] ورواها صاحب اللسان أيضاً برواية أخرى ٧ : ٢٨٨ قال: «وأنشد أبو عمرو بن العلاء لمنذر الزمانى ويروى لامرىء القيس بن عابس الكندى». والأبيات فى اللسان مرة أخرى ٢ : ٨٤. وزادها أبياتاً ثلاثة فى آخرها.

(٣) س ب «أيا تملك» وهى رواية السيرافى واللسان.

(٤) رواية السيرافى واللسان «بالمزل».

(٥) «فقا النبل» فوقها، أو هى لغة فى «الفوق» على القلب. «طحل» من الطحلة، وهى لون بين الغبرة والبياض بسواد قليل كلون الرياد.

(٦) رواية السيرافى واللسان «خلفى» بدل «بعدى» وفسر صاحب اللسان البيت: «أى أنهم ما حضر وما غاب».

(٧) رواية السيرافى واللسان «قاما» و «فوقى».

(٨) هكذا نسب ابن قتيبة هذه الأبيات إلى اختيار الأصمعى، وهو يريد — والله أعلم — الأصمعيات وما تداخل منها فى المفضليات، وهذه الأبيات لم تذكر فى المفضليات ولا فى الأصمعيات اللتين بين أيدينا، وقد رجحنا لذلك فى مقدمة شرحنا المفضليات، أن للأصمعى اختياراً ذهب عنا، لم يثبت فى المفضليات ولا الأصمعيات.

٩٠ ●وكقولِ الآخَرِ [١] :

وَلَو أُرسِلْتُ مِنْ حُبِّـ ـكِ مَبْهُوتاً مِنَ الصِّينْ [٢]
لَوَافَيْتُكِ قَبْلَ الصُّبـ ـحِ أَوْ حِينَ تُصَلِّينْ [٣]

وكان يَتمثَّلُ بهذا كثيرًا ، وقال : المبهوتُ من الطيرِ الَّذى يُرْسَل من بُعْد قبلَ أَن يَدْرُجَ [٤].

٩١ ●وقد يُختار ويُحْفَظ لأَنَّ قائلَه لم يَقُل غيره ، أَو لأَنَّ شعرَه قليلٌ عزيز ، كقول عبدِ الله بن أُبَيّ بن سَلُولِ المنافقِ [٥] :

مَتَى ما يَكُنْ مَوْلَاكَ خَصْمَكَ لا تَزَلْ تَذِلُّ ويَعْلُوكَ الَّذِينَ تُصَارِعُ
وهلْ ينْهَضُ البَازِى بغَيْرِ جَنَاحِهِ وإنْ قُصَّ يَوْماً رِيشُهُ فَهْوَ وَاقِعُ

وقد يُخْتارُ ويُحْفَظ لأَنَّه غريبٌ فى معناه ، كقول القائل فى الفتَى :

لَيسَ الفتَى بفتًى لا يُسْتَضَاءُ بِهِ ولا يكُونُ له فى الأَرْضِ آثَارُ

٩٢ ●وكقول آخر فى مَجُوسىّ :

شهدْتُ عَلَيْكَ بِطِيبِ المُشَاشِ وأَنَّكَ بَحْرٌ جَـوَادٌ خِضَمّ
وأَنَّكَ سَـيِّدُ أَهْلِ الجَحِيمِ إِذَا مَا تَرَدَّيْتَ فِيمَنْ ظَلَمْ
(قَرِينٌ لِهَامَانَ فِى قَعْرِهَـا وفِرْعَوْنَ والمُكْتَنَى بالحَكَمْ) [٦]

٩٣ ●وقد يُخْتار ويُحْفَظ (أَيضاً) لنبل قائله ، كقول المَهْدىّ :

---

(١) س ب «ومثله» .
(٢) س ب «من حبيك» .
(٣) س ب «عند الصبح» .
(٤) هذا التفسير للمبهوت لم يذكر في المعاجم .
(٥) «سلول» امرأة من خزاعة ، وهى أم عبد الله أو جدته ، نسب إليها . والبيتان فى سيرة ابن هشام أيضاً ٤١٣ طبع أوروبة .
(٦) يريد أبا جهل بن هشام ، فإن أصل كنيته «أبو الحكم» .

تُفَّاحَةٌ مِنْ عِنْدِ تُفَّاحَةٍ جَاءَتْ فماذا صَنَعَتْ بالفُؤادْ
واللهِ مــا أَدْرِى أأَبْصَرْتُهــا يَقْظَانَ أَمْ أَبْصَرْتُهَا فِى الرُّقَادْ

٩٤ ●وكقول الرَّشِيدِ :

النَّفْسُ تَطْمَعُ والأَسْبَابُ عاجِــزَةٌ والنَّفْسُ تَهْلِكُ بَيْنَ اليَأْسِ والطَّمعِ

٩٥ ●وكقول المَأْمُونِ فى رسولٍ :

بعَثْتُكَ مُشْتَاقاً فَفُزْتَ بِنَظْــرَةٍ وأَغْفَلْتَنِى حتَّى أَسَأْتُ بِكَ الظَّنَّا
ونَاجَيْتَ مَنْ أَهْوَىٰ وكُنْتَ مُقَرَّباً فَيَالَيْتَ شِعْرِى عَنْ دُنُوِّكَ ما أَغْنَىٰ(١)
ورَدَّدْتَ طَرْفاً فى مَحَاسِنِ وجْهِهَا ومَتَّعْتَ باسْتماعِ نَغْمتِهَا أُذْنَا(٢)
أَرَى أَثَرًا مِنْها بِعَيْنَيْكَ لَمْ يَكُنْ لقد سَرقَتْ عَيْنَاكَ مِنْ وجْهِهَا حُسْنَا(٣)

٩٦ ●وكقولِ عبدِ الله بن طاهرٍ :

أَمِيلُ مَعَ الذِّمَامِ على ٱبْنِ عَمِّى وأَحْمِلُ لِلصَّدِيقِ على الشَّقِيقِ(٤)
وإِنْ أَلْفَيْتَنِى مَلِكاً مُطَاعاً فإِنَّكَ واجِدِى عَبْدَ الصَّدِيقِ
أُفَرِّقُ بَيْنَ مَعْرُوفِى ومَنِّى وأَجْمَعُ بَيْنَ مَالِى والحُقُوقِ

وهذا الشعرُ شريفٌ بنفسِه وبصاحبِه .

٩٧ ●وكقوله :

مُدْمِنُ الإِغْضَاءِ مَوْصُولُ ومُدِيمُ العَتْبِ مَمْلُولُ

---

(١) س ب « فياويح نفسى » .
(٢) س ب « باستماع نغتها » ب د « باستمتاع نغتها » .
(٣) س ب ه « بعينك » . س ب « من عينها حسناً » .
(٤) س ب « وآخذ للصديق من الشقيق » . ه « وأختار الصديق على الشقيق » .

وَمَدِينُ البِيضِ فِى تَعَبٍ وغَرِيمُ البِيضِ مَمْطُولُ
وأَخُو الوَجْهَيْنِ حَيْثُ وَهَى بِهَوَاهُ فَهْوَ مَدْخُولُ

٩٨ ●وكقول إبراهيمَ بنِ العبّاسِ لابنِ الزيّاتِ [١] :

أَبَا جَعْفَرٍ عَرِّجْ عَلَى خُلَطَائِكَا وأَقْصِرْ قَلِيلاً مِنْ مَدَى غُلَوَائِكا [٢]
فإِنْ كُنْتَ قَدْ أُوتِيتَ فى اليَوْمِ رِفْعَةً فإِنَّ رَجَائِى فى غَدٍ كَرَجَائِكا

٩٩ ●والمتكلَّفُ من الشعر وإنْ كان جيّدًا مُحْكَماً فليس به خفاءٌ على ذوى العلم ، لتبيُّنهم فيه ما نَزَل بصاحبه من طُول التفكُّر ، وشدّة العناء ، ورَشْح الجبين ، وكثرةِ الضرورات ، وحذفِ ما بالمعانى حاجةٌ إليه ، وزيادةِ ما بالمعانى غِنًى عنه . كقول الفَرَزْدَق فى عُمَر بن هُبَيْرة لبعض الخلفاء [٣] :

أَوَلَّيْتَ العِرَاقَ ورَافِدَيْهِ فَزَارِيًّا أَحَذَّ يَدِ القَمِيصِ

يريد : أولّيتَها خفيفَ اليدِ ، يعنى فى الخيانة ، فاضطرّتْه القافيةُ إلى ذكر القميص [٤] ، (ورافداه : دِجْلةُ والفُرَاتُ) .

١٠٠ ●وكقول الآخَر :

مِنَ اللَّوَاتِى والتى واللَّاتِى زَعَمْنَ أَنى كَبِرَتْ لِدَاتِى

---

(١) إبرهيم بن العباس الصولى ، كان صديقاً لمحمد بن عبد الملك الزيات ، ثم آذاه وقصده وصارت بينهما شحناء عظيمة لم يمكن تلافيها . فكان إبراهيم يهجوه . قاله صاحب الأغانى ٩ : ٢١ وذكر البيتين مع اختلاف فى الرواية .

(٢) فى الأغانى «أبا جعفر خف خفضة بعد رفعة» .

(٣) من أبيات فى ديوانه ٤٨٧ — ٤٨٨ والأغانى ١٩ : ١٧ يخاطب بها يزيد بن عبد الملك والبيت فى اللسان ٤ : ١٦٤ و ٥ : ١٥ . واللآلى ٨٦٢ مع آخر .

(٤) هذا التفسير يوافق تفسير الجوهرى قال فى اللسان : «وقد قيل فى الأحذ غير ما ذكره الجوهرى ، وهو أن الأحذ المقطوع ، يريد أنه قصير اليد عن نيل المعالى ، فجعله كالأحذ الذى لا شعر لذنبه — يعنى البعير الأحذ — ولا يحب لمن هذه صفته أن يولى العراق» .

١٠١ ● ، كقول الفرزدق[1]:

وعَضُّ زمانٍ يا ابْنَ مروانَ لم يَدَعْ    مِنَ المالِ إلّا مُسْحَتاً أوْ مُجَلَّفُ[2]

فرَفَع آخر البيتِ ضرورةً ، وأتعب أهلَ الإعراب في طلب العلّةِ[3] ، فقالوا وأكثروا ، ولم يأتوا فيه بشيء يُرْضَى[4]. ومَن ذا يخفَى عليه من أهل النظر أنَّ كلَّ ما أتوا به من العلل احتيالٌ وتمويهٌ ؟ ! وقد سأل بعضهم الفَرَزْدَقَ عن رفعه إيّاه فشتمه وقال : عليَّ أن أقولَ وعليكم أن تحتجُّوا !

١٠٢ ● (وقد أنكر عليه عبدُ الله بن إسحقَ الحَضْرَمِيُّ من قولِهِ[5] :

مُسْتَقْبِلِين شَمالَ الشَّأمِ تَضْرِبُنَا    بحَاصِبٍ مِن نَديفِ القُطْنِ مَنْثُورِ[6]

على عَمَائمنا تُلْقِي ، وأَرْحُلُنَا    على زَوَاحِفَ تُزْجَى مُخُّهَا رِيرُ

مرفوعٌ ، فقال : ألّا قلتَ : « على زَوَاحِفَ نُزْجِيهَا مَحَاسِيرِ ؟

فغضب وقال :

فلوْ كانَ عَبْدُ اللهِ مَوْلًى هَجَوْتُهُ    ولكِنَّ عبدَ اللهِ مَوْلَى مَوَالِيَا)[7]

---

( ١ ) من قصيدة طويلة في ديوانه ٥٥١ - ٥٦٩ والنقائض ٥٤٨ — ٥٧٦ وجمهرة أشعار العرب ١٦٣ — ١٦٨ والبيت في اللسان ٢ ٣٤٦ و ١٠ ٣٧٥ . وسيأتي ٩٩ ل

( ٢ ) هكذا رواية اللسان والجمهرة « مجلف » باللام ، وقال في اللسان : « المسحت : المهلك ، والمجلف الذي بقيت منه بقية » ورواية الديوان والنقائض « أو مجرف » بالراء ، ومعناهما متقارب .

( ٣ ) س ب د « في طلب الحيلة »

( ٤ ) س ب هـ « يرتضى » .

( ٥ ) من قصيدة في ديوانه ٢٦٢ – ٢٦٧

( ٦ ) في الديوان « كنديف القطن »

( ٧ ) رواية الديوان كهذا الذي طلبه عبد الله بن أبي إسحق ، وحكى شارحه نحو هذه القصة عن علي ابن حمزة البصري والقصة رواها محمد بن سلام الجمحي في طبقات الشعراء ٧ — ٨ عن يونس بنحو رواية ابن قتيبة . وهذا البيت الأخير لم أجده في الديوان . وهو مشهور معروف ، وهو في اللسان ٢٠ : ٢٩٠ وفسره بأن : عبد الله بن أبي إسحق مولى الحضرميين وهم حلفاء بني عبد شمس بن عبد مناف ، والحليف عند العرب مولى . ثم قال : موالِيا . نصب لأنه رده إلى أصله للضرورة ، وإنما لم ينون لأنه جعله بمنزلة غير المعتل الذي لا ينصرف.

وهذا كثير فى شعره على جودته

١٠٣ • وتتبيَّنُ التكلُّفَ فى الشعر أيضاً بأن ترى البيتَ فيه مقروناً بغير جارِه ، ومضموماً إلى غيرِ لِفْقه . ولذلك قال عُمرُ بن لَجَإٍ لبعض الشعراء : أنا أشعرُ منك ، قال : وبِمَ ذلك ؟ فقال : لأنى أقول البيتَ وأخاه ، ولأنك تقول البيتَ وابنَ عمِّه .

١٠٤ • وقال عبدُ بن سالم لرؤبةَ : مُتْ يا أبا الجَحَّافِ إذا شئتَ ! فقال رؤبةُ : وكيف ذلك ؟ قال : رأيتُ ابنَك عُقْبَةَ ينشدُ شعرًا له أعجبنى ، قال رؤبةُ : نَعَمْ ، ولكنْ ليس لشعره قِرانٌ . يريدُ أنَّه لا يقارِنُ البيتَ بشبهه[1] . وبعضُ أصحابنا يقول «قرآن» بالضمّ ، ولا أرى الصحيحَ إلَّا الكسرَ وتركَ الهمزِ على ما بيَّنتُ .

١٠٥ • والمطبوعُ من الشعراء من سَمَح بالشعر واقتدرَ على القوافى ، وأراكَ فى صدر بيته عَجُزَه ، وفى فاتحتِه قافيتَه ، وتبيَّنتَ على شعره رونقَ الطبع ووَشْىَ الغريزة ، وإذا امتُحِن لم يتلَعْثَمْ ولم يَتَزَحَّرْ[2] .

١٠٦ • وقال الرِّياشىُّ حدّثنى أبو العالية عن أبى عِمْران المَخْزُومى قال : أتيتُ مع أبى والياً على المدينة من قُرَيش . وعنده ابنُ مُطَيْر[3] ، وإذا مَطَرٌ جَوْدٌ ، فقال له الوالى ، صِفْهُ[4] ، فقال دعنى حتى أُشرِفَ وأنظرَ ،

---

(١) ستأتى هذه القصة مرة أخرى فى الفقرة ١٠٤٨ .

(٢) من الزحير ، وهو إخراج الصوت أو النفس بأنين عند عمل أو شدة

(٣) هو الحسين بن مطير الأسدى شاعر مقدم فى القصيد والرجز فصيح من مخضرمى الدولتين ، قد مدح بنى أمية وبنى العباس له ترجمة فى الأغانى : ١٤ : ١١٠ وقد ذكر نحو هذه القصة وذكر معها الأبيات ٠ ٧ ٠ ؛

(٤) ... وصف لى هذا ...

فأشرفَ ونَظَر : ثمَّ نزل فقال :

كَثُرَتْ لِكَثْرَةِ قَطْرِهِ أَطْبَاؤُهُ فإذَا تَحَلَّبَ فَاضَتِ الأَطْبَاءُ[١]
وكَجَوْفِ ضَرَّتِهِ التى فى جَوْفِهِ جَوْفُ السَّمَاءِ بِسِبَحْلَةٌ جَوْفَاءُ[٢]
ولَهُ رَبَابٌ هَيْدَبٌ ، لِرَفِيفِهِ قَبلَ التَّبَعُّقِ ديمَةٌ وطْفَاءُ[٣]
وكأَنَّ بَارِقَهُ حَرِيقٌ ، يَلتَقِى رِيحٌ عليهِ وعَرْفَجٌ وأَلَاءُ[٤]
وكَأَنَّ رَيِّقَهُ ، ولَمَّا يَحْتَفِلْ وَدْقُ السَّمَاء ، عَجَاجَةٌ كَدْرَاءُ[٥]
مُسْتَضْحِكٌ بِلَوَامِعٍ ، مُسْتَعْبِرٌ بِمَدَامِعٍ لَمْ تَمْرِهَا الأَقْذَاءُ[٦]
فَلَهُ بِلَا حُزْنٍ ولا بِمَسَرَّةٍ ضَحْكٌ يُؤَلِّفُ بَيْنَهُ وبُكَاءُ[٧]
حَيْرَانُ مُتَّبَعٌ صَبَاهُ تَقُودُهُ وجَنُوبُهُ كِنْفٌ لَهُ ووِعاءُ[٨]
ودَنَتْ لَهُ نَكْبَاؤُهُ حتَّى إذا مِنْ طُولِ مَا لَعِبَتْ بِهِ النَّكْبَاءُ[٩]
ذَابَ السَّحَابُ فَهُوَّ بَحْرٌ كُلُّهُ وعلى البُحُورِ مِنَ السَّحَابِ سَمَاءُ[١٠]

---

(١) الأطباء : جمع « طبى » بضم الطاء وكسرها مع سكون الباء ، وهو لذوات الحافر والسباع كالثدى للمرأة والضرع لغيرها . وقد استعار الكلمة هنا للمطر على التشبيه . والبيت فى اللسان ١٩ : ٢٢٧ ولكنه محرف هناك .

(٢) السبحل : الضخم العظيم .

(٣) الرباب : السحاب المتعلق الذى تراه كأنه دون السحاب . الهيدب : السحاب الذى يتدلى ويدنو مثل هدب القطيفة . الرفيف : التلألؤ والبريق . التبعق : مفاجأة المطر واندفاعه . الديمة : المطر الدائم فى سكون . الوطفاء : الديمة السح الحثيثة .

(٤) العرفج : ضرب من النبات سهلى سريع الانقياد . الألاء : شجر حسن المنظر مر الطعم .

(٥) ريق المطر : أفضله ، أو أول شؤبوبه . الودق : المطر .

(٦) لم تمرها : لم تسيلها ، من قولهم « مريت الناقة » إذا مسحت ضرعها لتدر .

(٧) فى « الصحاح » أربع لغات : فتح الضاد وكسرها ، مع سكون الحاء وكسرها .

(٨) الكنف ، بكسر الكاف وسكون النون : وعاء يكون فيه أداة الراعى ومتاعه ، أو الوعاء الذى يكنف ما جعل فيه ، أى يحفظه .

(٩) النكباء : الريح تكون بين ريحين من الرياح الأربع .

(١٠) تشديد الواو فى « هو » و « هى » لغة همدان .

ثَقُلَتْ كُلاَهُ فَنَهَّرَتْ أَصْلاَبَهُ ... وَتَبَعَّجَتْ مِنْ مَائِهِ الأَحْشَاءُ[١]
غَدَقٌ يُنَتِّجُ بالأَبَاطِحِ فُرَّقاً ... تَلِدُ السُّيُولَ وما لَهَا أَسْلاَءُ[٢]
غُرٌّ مُحَجَّلَةٌ ، دَوَالِحُ ضُمِّنَتْ ... حَمْلَ اللِّقَاحِ ، وكُلُّهَا عَذْرَاءُ[٣]
سُحْمٌ فَهُنَّ إذَا كَظَمْنَ فَوَاحِمٌ ... سُودٌ ، وهُنَّ إذَاضَحِكْنَ وِضَاءُ[٤]
لَوْ كانَ مِن لُجَجِ السَّوَاحِلِ مَاؤُهُ ... لم يَبْقَ مِن لُجَجِ السَّوَاحِلِ مَاءُ

قال أبو محمد : وهذا الشعرُ ، مع إسراعه فيه كما تَرَى ، كثيرُ الوَشْيِ لطيفُ المعانى .

١٠٧● وكان الشَّماخ[٥] فى سفرٍ مع أصحابٍ له[٦] ، فنزل يَحْدُو بالقوم فقال :

لم يَبْقَ إلاَّ مِنْطَقٌ وأَطْـرَافْ ... ورَيْطَتَانِ وقَمِيصٌ هَفْهَافْ[٧]
وشُعْبَتَا مَيسٍ بَرَاهَا إسْكَافْ ... يَا رُبَّ غَازٍ كارِهٍ للإيجَافْ[٨]
أغْدَرَ فى الحَىِّ بَرُودَ الأَصْيَافْ ... مُرْتَجَّةَ البُوصِ خَضِيبَ الأَطْرافْ[٩]

ثم قُطع به هذا الروىُّ وتعذّر عليه ، فتركه وسَمَحَ بغيره على إِثْرِه ، فقال :

---

(١) تبعجت : انشقت ، يقال « تبعج السحاب وانبعج بالمطر » : انفرج عن الودق والوبل الشديد .

(٢) الغدق : المطر الكثير . فرق : جمع فارق ، وهى السحابة المنفردة لا تخلف ، سميت بذلك تشبيهاً بالفارق من الإبل وهى التى تفارق إلفها فتنتج وحدها . الأسلاء : جمع سلى ، وهو الجلد الرقيق الذى يخرج فيه الولد من بطن أمه ملفوفاً فيه .

(٣) الدوالح : المثقلات بالماء .

(٤) سحم : سود .

(٥) هو الشماخ بن ضرار الغطفانى الصحابى .

(٦) س ب ف « مع أصحابه » .

(٧) الريطة : الملاءة إذا كانت قطعة واحدة .

(٨) الميس : شجر عظيم تعمل منه الرحال . والبيت فى اللسان غير منسوب ، شاهداً لهذا المعنى ٨ : ١٠٩ . الإيجاف : سرعة السير . وفى س ب « كاره الإيجاب » .

(٩) البوص ، بضم الباء ، والبوص ، بفتحها : العجيزة ، وامرأة بوصاء عظيمة العجز . والأبيات الثلاثة ستأتى ، فى الفقرة : ٥٥٠ .

لَمَّا رَأَتْنَا وَاقِفِى المَطِيَّاتْ   قَامَتْ تَبَدَّى لِى بِأَصْلَتِيَّاتْ
غُرٌّ أَضَاءَ ظَلْمُهَا الثَّنِيَّاتْ   خَوْدٌ مِنَ الظَّعَائِنِ الضَّمْرِيَّاتْ(١)
حَلَّالَةُ الأَوْدِيَةِ الغَوْرِيَّاتْ   صَفِىٌّ أَتْرَابٍ لَهَا حَيِيَّاتْ(٢)
مِثْلِ الأَشَاءَاتِ أَوِ البَرْدِيَّاتْ   أَوِ الغَمَامَاتِ أَوِ الوَدِيَّاتْ(٣)
أَوْ كَظِبَاءِ السِّدْرِ العُبْرِيَّاتْ   يَحْضُنَّ بِالقَيْظِ عَلَى رَكِيَّاتْ(٤)
وَضَعْنَ أَنْمَاطاً عَلَى زِرْبِيَّاتْ   ثُمَّ جَلَسْنَ بِرْكَةَ البُخْتِيَّاتْ(٥)
مَنْ رَاكِبٌ يُهْدِى لَهَا التَّحِيَّاتْ   أَرْوَعُ خَرَّاجٌ مِنَ الدَّاوِيَّاتْ
يَسْرِى إِذَا نَامَ بَنُو السَّرِيَّاتْ

١٠٨ •قال أبو عُبَيْدَةَ: اجتمع ثلاثةٌ من بنى سَعْدٍ يُرَاجِزُون بنى جَعْدَةَ، فقيل لشيخٍ من بنى سَعْدٍ: ما عندك؟ قال: أَرْجُز بهم يوماً إلى الليل لا أُفْثَجُ(٦)، وقيل لآخر: ما عندك؟ قال: أَرْجُز بهم يوماً إلى الليل ولا أُنْكَفُ(٧)، وقيل للثالث: ما عندك؟ قال: أَرْجُز بهم يوماً إلى الليل ولا أَنكِشُ(٨)، فلما سمعتْ بنو جَعْدَةَ كلامَهُمْ انصرفوا ولم يُرَاجِزوهم.

١٠٩ •والشعراءُ أيضاً فى الطبع مختلفون: منهم(٩) مَن يَسْهُلُ عليه المديحُ

---

(١) الظلم، بفتح الظاء: الماء الذى يجرى ويظهر على الأسنان من صفاء اللون لا من الريق كالفرند حتى يتخيل لك فيه سواد من شدة البريق والصفاء. الخود: الفتاة الحسنة الشابة. الضمريات: من الضمور وهو الهزال، فالضمر من الرجال: المهضم البطن اللطيف الجسم، والأنثى ضمرة.

(٢) الصفى: المختار أو الخالص من كل شىء، يقال للذكر والأنثى، والجمع صفايا، قال سيبويه: «ولا يجمع بالألف والتاء لأن الهاء لم تدخله فى حد الإفراد».

(٣) الأشاء: صغار النخل، الواحدة «أشاءة» وجمعها هنا بالألف والتاء.

(٤) فى ١٧٩ ل ثلاثة أبيات زائدة. والسدر، بكسر ففتح: جمع سدرة، وهى شجرة النبق. والعبرى من السدر، بضم العين وسكون الباء: ما نبت على عبر النهر وعظم، نسبة نادرة، وعبر النهر

(٦) أفثج الرجل، بالبناء للفاعل، وأفثج، بالبناء المفعول: أعيا وانبهر.

(٧) لا أنكف، بالباء للمجهول: لا أنقطع.

(٨) لا أنكش: لا آتى على ما عندى، يقال نكشت البئر أنكشها، بضم الكاف وكسرها: أى نزفتها ونزحتها. ويجوز أن يكون «لا أنكش» بالبناء للمجهول أيضاً، أى لا ينفد ما عندى كما تنكش البئر.

(٩) س ف د «فمنهم».

ويَعْسُر عليه[١] الهجاء . ومنهم من يَتَيَسَّرُ له[٢] المراثى ويتعذَّرُ عليه الغَزَلُ .

وقيل للعَجَّاجِ : إنك لا تحسنُ الهجاء ؟ فقال : إنَّ لنا أحلاماً تمنعنا من أن نَظْلِمَ ، وأحساباً تمنعنا من أن نُظْلَمَ ، وهل رأيتَ بانياً لا يُحْسِنُ أن يَهْدِمَ[٣] ؟

١١١ ● وليس هذا كما ذكر العَجّاجُ ، ولا المثلُ الذى ضربه للهجاء والمديح بشكل ، لأنَّ المديحَ بناءٌ والهجاءَ بناءٌ ، وليس كلُّ بانٍ بضربٍ بانياً بغيرِه[٤] . ونحن نجدُ هذا بعينه فى أشعارهم كثيرًا . فهذا ذُو الرُّمَّة ، أحسنُ الناسِ تشبيهاً ، وأجودُهم تشبيباً ، وأوصفُهم لرَمْل وهاجرةٍ وفلاةٍ وماءٍ وقُرادٍ وحيَّةٍ ، فإذا صار إلى المديح والهجاءِ خانَه الطبعُ . وذاك أَخَّرَه عن الفُحولِ ، فقالوا : فى شعرِه أبعارُ غِزْلانٍ ونُقَطُ عَروسٍ ! وكان الفَرَزْدَقُ زيرَ نساءٍ وصاحبَ غَزَلٍ ، وكان مع ذلك لا يُجيدُ التشبيبَ . وكان جَرِيرٌ عفيفاً عِزْهَاةً عن النساءِ[٥] ، وهو مع ذلك أحسنُ الناسِ تشبيباً ، وكان الفَرَزْدَقُ يقول: ماأحوجَه مع عفَّتِه إلى صلابةِ شعرى، وما أحوجنى[٦] إلى رقَّةِ شعره لِمَا تَرَوْنَ.

---

(١) س ف « ويتعذر عليه » .

(٢) انظر ما يأتى فى ترجمة العجاج ٣٧٥ ل .

(٣) س ب « من تسهل عليه » .

(٤) س ب « يصيراً بغيره » .

(٥) العزهاة ، بكسر العين : العازف عن اللهو والنساء ، لا يطرب للهو ويبعد عنه .

(٦) س ب « وأحوجنى » .

## عيوب الشعر

### الإِقْوَاءُ والإِكْفَاءُ [١]

١١٢ ● قال أبو محمد : كان أبو عَمْرو بن العَلاء يَذكرُ أنَّ الإقواء : هو اختلافُ الإعراب في القوافي ، وذلك أنْ تكونَ قافيةٌ مرفوعةً وأخرى مخفوضةً ، كقول النابغةِ :

قالتْ بَنُو عامِرٍ : خَالُوا بَنِي أَسَدٍ ... يا بُؤْسَ للجَهْلِ ضَرَّارًا لِأَقْوَامِ [٢]

وقال فيها :

تَبْدُو كَوَاكِبُهُ والشَّمْسُ طَالِعَةٌ ... لَا النُّورُ نُورٌ ولا الإِظْلَامُ إِظْلَامُ [٣]

١١٣ ● وكان يقال إنَّ النابغةَ الذُّبْيَانيَّ وبِشْرَ بن أَبي خازمٍ كانا يُقْوِيَانِ. فأَما النابغة فدخل يَثْرِبَ فغُنِّيَ بشعره ففطِنَ فلم يَعُدْ للإقواء .

١١٤ ● وبعض الناس يسمِّى هذا « الإكفاء » ويزعم أنَّ الإقواء نقصانُ حرفٍ من فاصلة البيت ، كقول حجْلِ بن نَضْلَةَ [٤] ، وكان أَسَرَ بنتَ عمرو ابن كُلْثُومٍ وركب بها المَفَاوِزَ ، واسمُها النَّوَارُ [٥] :

---

(١) انظر هذا البحث أيضاً مفصلا في الموشح للمرزباني ١٤ — ٢٦ .

(٢) الديوان ٧١ — ٧٢ . خالوا بني أسد : تاركوهم ، خالاه : تاركه . والبيت في اللسان ١٨ : ٢٦٢ . وسيأتي ٨١ .

(٣) انظر ما يأتي ( ٧٠ ، ٧٨ ، ٨١ ل ، ١٤٥ — ١٤٦ ل ) .

(٤) حجل : بفتح الحاء وسكون الجيم ، كما ضبط في الخزانة ، وهو شاعر جاهلي ، له الأصمعية ٤٣ .

(٥) انظر البيتين مشروحين في الخزانة ٢ : ١٥٦ — ١٥٩ ونص على أنه لا ثالث لهما . ونسب الآمدي في المؤتلف ٨٤ البيتين لشبيب بن جعل التغلبي ، وهو ابن النوار بنت عمرو بن كلثوم .

حَنَّتْ نَوارُ ولاتَ هَنَّا حَنَّتِ ... وبَدَا ٱلَّذِى كانَتْ نَوَارُ أَجَنَّتِ
لمَّا رَأَتْ مَاءَ السَّلَا مَشْرُوباً ... والفَرْثَ يُعْصَرُ فى الإِنَاء أَرَنَّتِ (١)

سُمّىَ إقواءً لأنّه نقص من عَروضه قوّةٌ . (وكان يستوى البيتُ بأن تقول «مُتَشَرَّباً») . يقال «أَقْوَى فلانٌ الحَبْلَ» إذا جَعَلَ إحدى قُوَاهُ أغلظَ من الأُخرى ، وهو حبلٌ قَوٍ .

مثلِ قولِ حُمَيْد :

إنِّى كَبِرْتُ وإنَّ كُلَّ كَبِيرِ ... مِمَّا يُظَنُّ بِهِ يَمَلُّ ويَفْتُرُ

وكقول الرَّبيع بن زِيَادٍ :

أَفَبَعْدَ مَقْتَلِ مَالِكِ بْنِ زُهَيْرٍ ... تَرْجُو النسَاءُ عَوَاقِبَ ٱلأَطْهَارْ

ولو كان «بن زُهَيْرَةَ» لاستوىٰ البيت .

* * *

١١٥ ●والسِّنَادُ : هو أن يختلفَ إردافُ القوافى ، كقولك «علَيْنا» فى قافيةٍ «وفينا» فى أُخرىٰ . كقول عَمْرو بن كُلْثُوم (٢) :

* أَلَا هُبِّى بِصَحْنِكِ فاصْبَحِينَا * فالحاءُ مكسورة . وقال فى آخَرَ :

* تُصَفِّقُهَا الرِّيَاحُ إذَا جَرَيْنَا * فالراءُ مفتوحةٌ ، وهى بمنزلة الحاء .

١١٦ ●وكقول القائل : * كَأَنَّ عُيُونَهُنَّ عُيُونُ عِينٍ *

ثم قال : * وأَصْبَحَ رَأْسُهُ مِثْلَ اللُّجَيْنِ *

(١) أرنت : صاحت . وإنما صاحت وبكت لأنها أيقنت الهلاك فى تلك المفازة ، إذ لم يجدوا ماء إلا ما يعصر من فرث الإبل وما يخرج من السلا من بطونها . وهذا البيت فى اللسان ١٩ : ١٢٠ وفيه هنالك خطأ من الناسخ أو الطابع .
(٢) فى معلقته المشهورة .

١١٧ ● والإيطاءُ : هو إعادةُ القافية مرّتين ، وليس بعيبٍ عندهم كغيره .

* * *

الإجَازَةُ : اختلفوا فى الإجازة ، فقال بعضهم : هو أن تكونَ القوافى مقيَّدةً فتختلفُ الأردافُ ، كقول امْرِئِ القَيْس :

* لَا يَدَّعِي القَوْمُ أَنِّى أَفِرْ * فكَسَرَ الردْفَ ، وقال فى بيتٍ آخرَ :

* وكِنْدَةُ حَوْلِي جَميعاً صُبُرْ * فضَمَّ الرِّدْفَ ، وقال فى بيتٍ آخرَ :

* أَلحَقْتَ شَرًّا بِشَرْ * ففَتَحَ الردْفَ .

١١٨ ● وقال الخليلُ بن أحمد : هو أن تكون قافيةٌ ميماً والأُخْرى نوناً ، كقول القائل :

يا رُبَّ جعْد منهمُ لَوْ تَدْرِينْ ... يضربُ ضَرْبَ السَّبِطِ المَقَادِيمْ

أو طاءً والأُخرى دَالًا ، كقول الآخرِ :

تَاللهِ لَوْلَا شَيْخُنَا عَبَّادُ ... لَكَمَرُونا عِنْدَهَا أَوْ كَادُوا[1]

فَرْشَطَ لَمَّا كُرِهَ الفِرْشَاطُ ... بفَيْشَةٍ كَأَنَّهَا مِلْطَاطُ[2]

وهذا إنَّما يكون فى الحرفين يخرجان من مخرج واحدٍ أو مخرجين متقاربين .

١١٩ ● قال ابنُ الأَعْرابيّ : الإجازةُ : مأْخوذة من إجازة الحبلِ والوَتَرِ

* * *

---

(١) ابن السيد ٤١٥ والبيت فى اللسان ٦ : ٤٦٨ وعجزه مغلوط ، وما هنا هو الصحيح . يقال « تكامر الرجلان : نظر أيهما أعظم كرة ، وقد كامره فكمره : غلبه بعظم الكرة » عن اللسان .

(٢) البيت فى اللسان ٩ : ٢٤٦ و ٢٦٧ . والفرشطة . أن تفرج رجليك قائماً أو قاعداً ، بمعنى الفرحجة والفرشحة . والملطاط : يد الرحى التى يطحن بها البزر .

## العيبُ فى الإعراب

١٢٠ • وقد يُضطرُّ الشاعرُ فيسكِّنُ ما كان ينبغى (له) أن يحرّكه ، كقول لَبيد[١] :

تَرَّاكُ أَمْكِنَةٍ إِذَا لَمْ أَرْضَهَا    أَوْ يَعْتَلِقْ بَعْضَ النُّفُوسِ حِمَامُهَا[٢]

يريد : أتركُ المكانَ الذى لا أرضاه إلى أن أموت ، لا أزال أفعلُ ذلك .

و «أوْ» هاهنا بمنزلة «حتى»[٣] . وكقول امْرئ القَيْس[٤] :

فاليومَ أَشْرَبْ غَيْرَ مُسْتَحْقِبٍ    إِثْماً مِنَ اللهِ ولَا واغِلِ

ولولا أنَّ النحويِّين يذكرون هذا البيت ويحتجُّون به فى تسكين المتحرّك لاجتماع الحركات[٥] ، وأنَّ كثيرًا من الرواة يروونه هكذا ، لظننتُه

* فاليَوْمَ أُسْقَىٰ غَيْرَ مُسْتَحْقِبٍ *

١٢١ • قال أبو محمد : وقد رأيتُ سِيبَوَيْهِ يذكر بيتاً يحتجُّ به فى نَسَق الاسمِ المنصوبِ على المخفوض ، على المعنى لا على اللفظِ ، وهو قولُ الشاعر[٦] :

---

(١) من معلقته . انظر شرح التبريزى ١٥٥ .

(٢) س ف هـ «أو يرتبط» وهى الموافقة لرواية التبريزى .

(٣) قال التبريزى : «وقيل أن يرتبط فى موضع رفع إلا أنه أسكنه لأنه رد الفعل إلى أصله ، لأن الأصل فى الأفعال أن لا تعرب ، وإنما أعربت للمضارعة» إلخ .

(٤) من الأصمعية ٤٠ وسيأتى ( ٤٤ ل) .

(٥) هذا الإسكان لآخر الفعل المضارع هو على التخفيف . وانظر الضرائر ٢٢٥، ٢٧٠–٢٧٢ .

(٦) هو عقيبة بن هبيرة الأسدى ، شاعر جاهلى إسلامى ، . والبيت ذكره سيبويه ١ : ٣٤ مع بيت آخر منصوب القافية أيضاً . ثم ذكر عجز هذا البيت أيضاً غير منسوب ١ : ٣٥٢ ، ٤٤٨ . والأبيات مع بيت الشاهد فى الخزانة ١ : ٣٤٣ – ٣٤٥ مشروحة .

مُعَاوِىَ إِنَّنَا بَشَرٌ فأَسْجِحْ      فَلَسْنَا بالجِبَالِ ولا الحَدِيدَا

قال : كأنَّه أراد : أَسْنَا الجِبَالَ ولا الحَدِيدَا ، فردَّ الحديد على المعنى قبل دخول الباء .. وقد غلط على الشاعر ، لأنَّ هذا الشعرَ كلَّه مخفوضٌ ، قال الشاعرُ :

فهبْهَا أُمَّةً ذَهَبَتْ ضَيَاعاً      يَزِيدُ أَمِيرُهَا وأَبُو يَزِيدِ

أَكَلْتُمْ أَرْضَنَا وجَرَدْتُمُوهَا      فَهَلْ مِنْ قَائِمٍ أَوْ مِنْ حَصِيدِ[1]

١٢٢ ● ويحتجُّ أيضاً بقول الهُذَلِىّ فى كتابه ، وهو قوله :

يَبِيتُ على مَعَارِىَ فَاخِرَاتٍ      بِهِنَّ مُلَوَّبٌ كَدَمِ العِبَاطِ

وليست هاهنا ضرورة فيحتاج الشاعر إلى أن يترك صرف « مَعَارٍ » ولو قال « يَبِيتُ على مَعَارٍ فَاخِرَ اتٍ » كان الشعرُ موزونا والإعرابُ صحيحاً[2].

قال أبو محمد : وهكذا قرأتُه على أصحاب الأَصْمَعِىّ .

١٢٣ ● وكقوله فى بيت آخر[3] :

لِيُبْكَ يَزِيدُ ضَارِعٌ لِخُصُومَةٍ      ومُخْتَبِطٌ مِمَّا تُطِيحُ الطَّوَائِحُ[4]

---

(١) جردتموها : قشرتموها ، كما يجرد اللحم من العظم .

(٢) البيت للمتنخل الهذلى ، وهو من شواهد سيبويه ٢ : ٥٨ واللسان ١٩ : ٢٧٥ وعندهما « أبيت على معارى واضحات » . و « والمعارى » جمع « معرى » وهى ههنا الفرش . و « الملوب » الذى أجرى عليه الملاب وهو ضرب من الطيب ، وشبهه فى حمرته بدم العباط ، وهى التى نحرت لغير علة ، واحدها عبيط وعبيطة . وفى اللسان : « واختار معارى على معار لأنه آثر إتمام الوزن ، ولو قال معار لما كسر الوزن ، لأنه إنما كان يصير من مفاعلتن إلى مفاعلين ، وهو العصب » وقال أيضاً « ولكنه فر من الزحاف » .

(٣) البيت من شواهد سيبويه ١ : ١٤٥ ونسبه للحرث بن نهيك ، ثم أعاده مرة أخرى ١ : ١٨٣ غير منسوب . ونسبه الأعلم الشنتمرى للبيد . ونسبه الشنقيطى فى شواهد همع الهوامع ١ : ١٤٢ — ١٤٣ لضرار بن نهشل .

(٤) الضارع : الذليل الخاضع . المختبط : الطالب المعروف المحتاج .. تطيح : تذهب وتهلك.

وكان الأصمعيُّ ينكر هذا ويقول : ما اضطرَّه إليه ؟ وإنَّما الرواية :

* لِيَبْكِ يَزِيدَ ضَارِعٌ لِخُصُومَةٍ *

١٢٤ ●وكذلك قولُ الفَرَّاء :

فَلَئِنْ قَوْمٌ أَصابُوا عِزَّةً وأَصَبْنَا مِن زَمَانٍ رَنَقًا[1]
للَقَدْ كَانُوا لَدَى أَزْمَانِهِ لَصَنِيعِينَ لِبَأْسٍ وتُقَى

هو * فَلَقَدْ كانُوا * وهذا باطل .

١٢٥ ●وكذلك قوله :

مَنْ كانَ لَا يَزْعُمُ أَنِّي شَاعِرٌ فَيَدْنُ مِنِّي تَنْهَهُ المَزَاجِرُ

إنَّما هو * فلْيَدْنُ مِنى * وبه يصحُّ أيضاً وزنُ الشعرِ .

١٢٦ ●وكذلك قولُه :

فَقُلْتُ ا۟دْعِي وأَدْعُ فَإِنَّ أَنْدَى لِصَوْتٍ أَنْ يُنَادِيَ دَاعِيَانِ

إنما هو : *فَقُلْتُ ادْعِي وأَدْعُوَ إنَّ أَنْدَى[2]*

(وكقول الفَرَزْدَقِ :

رُحْتِ وفى رِجْلَيْكِ عُقَّالَةٌ وقدْ بَدَا هَنْكِ مِنَ المِئْزَرِ )[3]

* * *

---

قال الأعلم . « كان ينبغى أن يقول المطاوح لأنه جمع مطيحة ، فجمعه على حذف الزيادة ، كما قال عز وجل : وأرسلنا الرياح لواقح ، واحدتها ملقحة » .

(١) الرنق : الكدر .

(٢) البيت من شواهد سيبويه ١ : ٤٢٦ ونسبه للأعشى ، ونسبه الأعلم له أو للحطيئة : ورواية سيبويه كالتى اختارها ابن قتيبة . قال الأعلم : « الشاهد فى نصب وأدعو بإضمار أن حملا على معنى : ليكن منا أن تدعى وأدعو ، ويروى * وأدع فإن أندى * على معنى لتدع ولأدع على الأمر . وأندى : أبعد صوتاً ، والندى : بعد الصوت » .

(٣) البيت فى اللسان ٢٠ : ٢٤٤ والخزانة ٢ : ٢٧٩ .

١٢٧ ● وقد يُضْطرُّ الشاعرُ فيَقْصُرُ الممدودَ ، وليس له أن يَمُدَّ المقصور . وقد يُضْطرُّ فيصرفُ غيرَ المصروف ، وقبيحٌ ألَّا يصرفَ المصروف . وقد جاء فى الشعر ، كقول العَبَّاس بن مِرْدَاس (السُّلَمِيِّ) :

وما كانَ بَدْرٌ ولا حابِسٌ يَفُوقَانِ مرْدَاسَ فى مَجْمَعِ[1]

١٢٨ ● وأمَّا تركُ الهمز من المهموز فكثيرٌ واسعٌ ، لا عيبَ فيه على الشاعر . والذى لا يجوز أن يُهمزَ غيرُ المهموز .

* * *

١٢٩ ● وليس للمُحْدَثِ أن يتَّبع المتقدِّم فى استعمال وحشىِّ الكلام الذى لم يكثُر ، ككَثير من أبنية سِيبَوَيْهِ ، واستعمالِ اللغَّة القليلة فى العرب ، كإبدالهم الجيمَ من الياء ، كقول القائل « يَا رَب إنْ كُنْتَ قَبِلْتَ حَجَّتِجْ » يريد « حَجَّتِى » وكقولهم « جمل بُخْتِجٌ » يريدون « بُخْتِىٌّ » و « عَلِجٌ » يريدون « عَلِىٌّ » .

١٣٠ ● وإبدالهم الياء من الحرف فى الكلمة المخفوضة ، كقول الشاعر :

لَهَا أَشَارِيرُ مِنْ لَحْمٍ تُتَمِّرُهُ مِنَ الثَّعالِى ووَخْزٌ مِنْ أَرانِيها[2]

---

(١) سيأتى ١٦٦ ، ٤٧٠ ل

(٢) البيت فى اللسان ٦ : ٢٩٥ وذكره مع آخر قبله ١ : ٤١٨ ونسبه لأبى كاهل اليشكرى . و « الأشارير » جمع « إشرارة » وهى القديد المشرور ، أى المجعول على خصفة ليجف . وأصل الإشرارة : الخصفة التى يبسط عليها الأقط أو اللحم أو الثوب ليجف . و « تتمره » تقطعه . و « الثعالى » الثعالب . و « الوخز » شىء منه ليس بالكثير . وهذان الجمعان « ثعالى » و « أرانى » لثعلب وأرنب أجازهما البعض مطلقاً ، ولم يجزهما سيبويه إلا فى الشعر خاصة . والبيت ذكره أيضاً فى اللسان ١ : ٢٣١ ونسبه لرجل من يشكر تبعا لسيبويه .

يريد «مِنْ أَرَانِبِهَا» . وكقول الآخَر : «ولضَفَادِى جَمِّهِ نَقَانِقُ» يريد «ضفادع[١]» .

١٣١ • وكإبدالهم الواو من الألف ، كقولهم «أَفْعَوْ» و «حُبْلَو» (يريدون أَفْعَى وحُبْلَى) وقال ابنُ عباس : لَا بَأْسَ برَمىِ الحِدَوْ (لِلْمُحْرِم[٢]

* * *

35 ١٣٢ • وأستَحِبُّ له أَلَّا يسلكَ فيما يقولُ الأَساليبَ التى لا تصحُّ فى الوزنْ ولا تحلو فى الأَسماع ، كقول القائل :

قُلْ لِسُلَيْمَى إِذَا لَاقَيْتَهَا ... هَلْ تَبْلُغِنَّ بَلْدَةً إلا بِزَادْ
قُلْ لِلصَّعَالِيكِ لا تَسْتَحْسِرُوا ... مِنَ الْتماسٍ وَسَيْرٍ فى البِلَادْ[٣]
فالغَزْوُ أَحْجَى على مَا خَيَّلَتْ ... مِنَ اضْطِجَاعٍ على غَيْرِ وِسَادْ
لَوْ وصَلَ الغَيْثُ أَبْنَاءَ امْرِىءٍ ... كانَتْ لَهُ قُبَّةٌ سَحْقُ بِجَادْ[٤]
وبَلْدَةٍ مُقْفِرٍ غِيطَانُها ... أَصْدَارُهَا مَغْرِبَ الشَّمْسِ تَنَادْ
قَطَعْتُها صَاحِبِى حُوشِيَّةٌ ... فى مِرْفَقَيْهَا عَنِ الزَّوْرِ تَعَادْ[٥]

١٣٣ • وكقولِ المُرَقِّش[٦] :

هَلْ بالدِّيارِ أَنْ تُجِيبَ صَمَمْ ... لَوْ أَنَّ حَيًّا نَاطِقاً كَلَّمْ

(١) وفى اللسان ١٠ : ٩٤ عن الأزهرى : «الضفدع جمعه ضفادع ، وربما قالوا ضفادى ، وأنشد بعضهم * ولضفادى جمه نقانق * أى لضفادع ، فجعل العين ياء ، كما قالوا أرانى وأرانب» . وانظر سيبويه ١ : ٣٤٤ .

(٢) فى النهاية ١ : ٣٥ : «فى حديث ابن عباس : لا بأس بقتل الأفعو ، أراد الأفعى ، فقلب ألفها فى الوقف واواً ، وهى لغة أهل الحجاز . . . ومنهم من يقلب الألف ياء فى الوقف ، وبعضهم يشدد الواو والياء» . وفى اللسان ١ : ٤٧ : «وروى عن ابن عباس أنه قال : لا بأس بقتل الحدو والأفعو للمحرم . كأنها لغة فى الحدأ» .

(٣) لا تستحسروا : لا تعيوا ولا تكلوا .

(٤) السحق : الثوب الخلق الذى انسحق وبلى . البجاد : كساء مخطط من أكسية الأعراب . وهذا من إضافة الصفة للموصوف .

(٥) حوشية : يريد ناقة حوشية ، والإبل الحوشية : الوحشية ، أو هى نوع من الإبل لا يكاد يدركها التعب . يريد أن هذه الناقة كانت صاحبته فى اجتياز القفر .

(٦) مضى البيتان ١٧ — ١٨ . وسيأتى البيت الثانى ١٠٤ ل .

يَـأْبَى الشَّبَابُ الأَقْوَرِينَ ولَا تَغْبِطْ أخاكَ أَنْ يُقَالَ حَكَمْ

١٣٤ ● قال أبو محمد : وهذا يكثر ، وفيما ذكرتُ منه ما دلَّك على ما أردتُ من اختيارِكَ أحسنَ الرويِّ ، وأسهلَ الألفاظِ ، وأبعدَها من التعقيد والاستكراه ، وأقربَها من إفهام العوامِّ : وكذلك أختارُ للخطيب إذا خَطب ، والكاتبِ إذا كَتب . فإنَّه يقال : أَسْيَرُ الشعرِ والكلامِ المُطْمِعُ ، يراد الذى يَطْمع فى مثله مَن سمعه ، وهو مكانَ النجم من يَدِ المتناول .

١٣٥ ● قال أبو محمد : وقد أودعتُ « كتابَ العرب » فى الشعر أشياءَ من هذا الفنِّ ومن غيره ، وستراها هناك مجموعةً كافيةً ، إن شاء اللهُ عزَّ وجلَّ.

من كتـاب البديـــع

لعبدالله بن المعتز

٢٩٦ هـ

بسم الله الرحمن الرحيم

قال عبد الله بن المعتزّ رحمه الله . قد قدّمنا فى أبواب كتابنا هذا بعض ما وجدنا فى القرآن واللغة وأحاديث رسول الله صلّى الله عليه وسلم وكلام الصحابة والأعراب وغيرهم وأشعار المتقدمين من الكلام الذى سمّاه المحدثون البديع ليُعلمَ أنّ بشّارًا ومسلمًا وأبا نواس ومن تقيّلهم وسلك سبيلَهم لم يسبقوا إلى هذا الفنّ ولكنّه كثر فى أشعارهم فعُرف فى زمانهم حتّى سُمِّىَ بهذا الاسم فأعْرَبَ عنه ودلّ عليه. ثمّ إنّ حبيب بن أوس الطائىّ من بعدهم شُغِفَ به حتّى غلب عليه وتفرّع فيه وأكثر منه فأحسن فى بعض ذلك وأساء فى بعض وتلك عقبى الإفراط وثمرة الإسراف وإنّما كان يقول الشاعر من هذا الفنّ البيتَ والبيتين فى القصيدة وربّما قُرئت من شعر أحدهم قصائدُ من غير أن يوجدَ فيها بيتٌ بديعٌ وكان يُستحسَنُ ذلك منهم إذا أتى نادرًا ويزداد حظوةً بين الكلام المرسل وقد كان بعض العلماء يُشبّهُ الطائىّ فى البديع بصالح بن عبد القدّوس فى الأمثال ويقول لو أنّ صالحًا نثر أمثاله فى شعره وجعل

بينها فصولاً من كلامه ليسبق أهل زمانه وغلب على مدّ ميدانه وهذا أعْدَلُ كلام سمعته فى هذا المعنى

بسم الله

من الكلام البديع قول الله تعالى وَإِنَّهُ فِى أُمِّ ٱلْكِتَابِ لَدَيْنَا لَعَلِيٌّ حَكِيمٌ

ومن الشعر البديع قوله [من البسيط]

١ ... والصُّبْحُ بِالكَوْكَبِ الدُّرِّيِّ مَنْحورُ

وإنّما هو استعارة الكلمة لشىء لم يُعْرَفْ بها من شىء قد عُرِفَ بها مثل أمّ الكتاب ومثل جناح الذلّ ومثل قول القائل الفكرة مُخُّ العَمَلِ فلو كان قال لُبُّ العمل لم يكن بديعاً.

ومن البديع أيضاً التجنيس والمطابقة وقد سبق إليهما المتقدّمون ولم يبتكرهما المحْدَثون وكذلك الباب الرابع والخامس من البديع.

وقد أسقطنا من كتابنا هذا أسانيدَ الأحاديثِ عن رسول 2 الله صلّى الله عليه وآله وعن أصحابه إذ كان ذلك من التكثير ولم نذكرْ إلّا حديثاً مشهورًا . ولعلّ بعضَ من قصّر عن السبق إلى تأليف هذا الكتاب ستحدّثه نفسه وتمنّيه مشاركتنا فى

فضيلته فيسمّى فنّاً من فنون البديع بغير ما سمّيناهُ به أو يزيد في الباب من أبوابه كلاماً منثوراً أو يفسّر شعراً لم نفسّره أو يذكر شعراً قد تركناه ولم نذكره إمّا لأنّ بعض ذلك لم يبلغ في الباب مبلغ غيره فألقيناه أو لأنّ فيما ذكرنا كافياً ومُغنياً. وليس من كتاب إلّا وهذا ممكنٌ فيه لمن أراده وإنّما غرَضُنا في هذا الكتاب تعريف الناس أنّ المحدَثين لم يَسبقوا المتقدّمين إلى شيء من أبواب البديع وفي دون ما ذكرنا مبلغ الغاية التي قصدناها وبالله التوفيق.

---

الباب الأوّل من البديع وهو الاستعارة

قال الله تعالى هُوَ ٱلَّذِى أَنزَلَ عَلَيْكَ ٱلْكِتَابَ مِنْهُ آيَاتٌ مُحْكَمَاتٌ هُنَّ أُمُّ ٱلْكِتَابِ . وقال وَٱخْفِضْ لَهُمَا جَنَاحَ ٱلذُّلِّ مِنَ ٱلرَّحْمَةِ . وقال وَٱشْتَعَلَ ٱلرَّأْسُ شَيْبًا . وقال أَوْ يَأْتِيَهُمْ عَذَابُ يَوْمٍ عَقِيمٍ . وقال وَآيَةٌ لَهُمُ ٱللَّيْلُ نَسْلَخُ مِنْهُ ٱلنَّهَارَ .

---

الأحاديث . فأمّا أحاديثُ النبيّ صلّى الله عليه فقوله خير الناس رَجُلٌ مُمسِكٌ بعنان فرسه في سبيل الله كلّما سمع هيعةً طار إليها . وقوله ضمّوا ماشيتكم حتّى تذهب

لحمةُ العِشاء . وقوله إنّا لا تقبل زَبْد المشركين أى رفدَهم.
وقال صلّى الله عليه ربِّ تقبّلْ تَوْبتى واْغسل حَوْبتى . وقال
صلّى الله عليه غلب عليكم داء الأُمم الذين من قبلكم الحسد
والبغضاء وهى الحالقة حالقة الدين لا حالقةُ الشَّعر .

كلام الصحابة . قال على بن أبى طالب رضى الله عنه
فى كتابه إلى ابن عبّاس وهو عامله على البصرة فى بعض
كلامه أرْغِبْ راغِبَهم واحْلُلْ عُقَد الخوف عنهم . وسُئل
عن تغيير الشيب وما رُوِى فى ذلك عن النبىّ صلّى الله
عليه وسلّم فى قوله غيّروا الشيبَ ولا تَشبّهوا باليهود
2r فقال علىّ رضى الله عنه إنّما قال ذلك والدينُ فى قُلٍّ فأمّا
وقد اتّسع نِطاق الإسلام فكلّ امرءٍ وما اختار لنفسه . وقال
أبو بكر الصدّيق رضى الله عنه وذكر الملوكَ فقال إنّ الملوكَ
إذا ملك أحدُهم زهّده الله فى ماله ورغّبه فى مال غيره وأشرَبَ
قلبَه الإشفاقَ وهو يحسدُ على القليل ويتسخّط الكثير جَذِلُ
الظاهر حَزِين الباطن فإذا وجبَتْ نفسُه ونَضَب عمره
وضحا ظلّه [حاسبه الله عزّ وجلّ] فأشدّ حسابَه وأقلّ غفرَه .
أراد من هذا نَضَبَ عمرُه وهو من الاستعارة وروَوْا أنّ

عليًّا رضى الله عنه سأل كبيرَ فارسَ عن أحمدِ سِيَرِ مُلوكهم عندهم فقال لأَرْدَشِيرَ فضيلة السَّبْق غيرَ أنَّ أحمَدَهم سيرةً أنوشرْوانُ قال فأيُّ أخلاقه كان أغلبَ [عليه] قال الحلم والأَناةُ قال عليٌّ رضى الله عنه هما تَوْأمانِ يَنتِجهما علوّ الهمّة . وقال عليّ رضى الله عنه العلم قفلٌ مفتاحه السؤال . وروَوْا أنّ عليًّا رضى الله عنه قال لبعض الخوارج فى حديث طويل والله ما عُرِفتَ حتى نَعَرَ الباطلُ فنَجَمْتَ نُجومَ قَرْنِ الماعزة . أردنا قوله نعر الباطل . وروَوْا أنّ عمر رضى الله عنه لمّا حصّب المسجد قال له رجل لِمَ فعلتَ ذلك فقال هو أغفَرُ للنُّخامَة . وقال الشعبىّ كتب خالِد بن الوليد إلى مرازبة فارسَ عند مَقْدَمِه العراق أمّا بعدُ فالحمدُ لله الّذى فضّ خَدَمَتَكم وفرّق كلمتكم . الخَدَمة الحَلْقة المستديرة ومنه قيل للخلاخيل خِدامٌ . قال الشاعر [من المتقارب]

. . . وتُبْدِى لِذاك المَذارَى الخِداما ٢

وسُئلت عائشة رضى الله عنها هل كان النبىّ صلّى الله عليه يُفضّل بعض الأيّام على بعض قالت كان عمله ديمةً أى دائمًا . ولمّا قُتل عثمانُ رضى الله عنه قال ابو موسى هذه حَيْصَةٌ من حَيَصات الفِتَن بقيت المُثْقَلَة

الرداح . وقال الحجّاج يومًا فى حديث ذكره الشعبىّ دُلّونى على رجل سمين الأمانة . ولمّا عقدت الخوارج الرياسة لعبد الله بن وهب الراسبىّ أرادوه على الكلام فقال لا خير فى الرأى الفطير والكلام القضيب فلمّا فرغوا من البيعة له قال دعوا الرأى يغِبّ فإنّ غُبُوبَه يكشف لكم عن فَصّه . وقال بعض الصالحين فى ذمّه الدنيا دارٌ غُرست فيها الأحزان وسكنها الشيطان وذمّها الرحمن وعوقب بها الإنسان . وكان يقال راسُ المآثم الكذبُ وعمودُ الكذب البهتان . وقال ابراهيم النخعىُّ الفكرُ مُخّ العمل . وقيل لأعرابىّ إنّك لَحَسَنُ الكِدْنَة قال ذاك عنوان نعمة الله عندى . ووصف أعرابىّ قومًا فقال كانوا إذا اصطفّوا سفرت بينهم السهام وإذا تصافحوا بالسيوف فغَرَ الحِمام . وقال أكثمُ الحلمُ دعامةُ العقل . وسُئل آخر عن البلاغة فقال دُنُوُّ المأخذ ونَزْع الحجّة وقليل من كثير . وقال خالد ابن صفوان لرجل رحم الله أباك فإنّه كان يَقْرِى العينَ جمالًا والاذنَ بيانًا . وسُئل أعرابىّ عن صديق له فقال صَفِرَتْ عِيابُ الوُدّ بينى وبينه بعد امتلائها واكفهرّت وجوه كانت بمائها . وذكر اعرابىّ رجلًا فقال إنّ الناس

يأكلون أماناتِهِم لَقْمًا وفلان يحسوها حَسْوًا . وقيل لأعرابيّة أين بلغتْ قِدْرُكِ فقالت حين قام خطيبُها . وقال بعضهم من ركب ظهرَ الباطل نزل دار الندامة . وقيل لأعرابيّ كم أهلُكَ قال أبٌ وأمٌّ و ثلثة أولادٍ أنا سبيلُ عيشهم . وقيل لرؤبة كيف خلّفتَ ما وراءك قال المرَاد يابسٌ والمال عابسٌ . ومن الاستعارة قول امرء القيس [من الطويل]

وليلٍ كَمَوْجِ البَحْرِ مُرْخٍ سُدُولَهُ * عَلَيَّ بأنْواعِ الهُمُومِ لِيَبْتَلِي ٣
فَقلتُ له لمّا تمطّى بِصُلْبه * وأرْدفَ أعْجازًا وَناءَ بِكَلْكَلِ

هذا كلّه من الاستعارة لأنّ الليل لا صُلْبَ له ولا عَجُزَ .

وقال [من الطويل]

يُضِيءُ سَناهُ أوْ مَصابيحُ راهبٍ * أمالَ السَّليطَ بالذُّبالِ المُفتَّلِ ٤

أردنا من هذا البيت قوله أمال السليط . وقال زهير [من الطويل]

إذا لَقِحَتْ حَرْبٌ عَوانٌ مُضِرَّةٌ * ضَرُوسٌ تُهِرُّ الناسَ أنْيابُها عُصْلُ ٥

تُهِرّ أي تحملهم على أن يكرهوا يقال هرّ فلان كذا إذا كرهه وأهررتُه أنا حملته عليه وهريرُ الكلب صوتٌ يُرَدّده إلى جوفه إذا كره الشيء أو الشتاء لشدّة البردْ او لغيره . وقال ابو سعيد القول تَهِرّ ومن قال تُهِرّ الناس أراد أنّها

أساءتْ أخلاقهم لشدّتها وتَهِرّ كأنّها تنبح فى وجوههم .

وقال أيضًا [من الطويل]

٦ صَحَا القلبُ عن سَلْمَى وأقصرَ باطِلُهْ

وعُرِّىَ أفراسُ الصِّبى ورَوَاحِلُهْ

وقال أيضًا [من الوافر]

٧ إذا سُدَّتْ به لَهَوَاتُ ثَغرٍ * يُشارُ إليه جانِبُه سَقيمُ

وقال النابغة [من الطويل]

٨ وصَدْرٍ أراحَ اللّيلُ عازِبَ هَمِّه

تَضاعَفَ فيهِ الحزْنُ من كُلِّ جانِبِ

أراد قوله أراحَ الليلُ عازب همّه هذا مستعارٌ من إراحة الراعى الإبلَ إلى مباءتها أى موضع تأوى إليه . وقال أيضًا [من الطويل]

٩ على أنّ حِجْلَيْها إذا قُلْتَ أوسِعا * صَمُوتانِ مِن مَلْءٍ وقِلّةِ مَنْطقِ

وقال الأعشى [من الكامل]

١٠ إذْ لِمّتى سوْداء أتبَعُ ظِلَّها * غزَلاً قَعودَ بَطالةٍ أمشى دَدَا

وقال أيضًا [من الطويل]

١١ سَنَا لابن هُبَيْرَ فى الهِثار بِطعنةٍ * تفورُ على سِرْباله نَعَراتُها

وقال أيضًا [من الوافر]

فإنّ الحربَ أمسى فخَشْلُها فى الناس مُتَّلِما ١٢

وقال أوسُ بن حجر [من الطويل]

وإنّى امرؤٌ أعددتُ لِلحَرْب بَعْدما ١٣

رأيتُ لها نابًا مِن الشرّ أعصلا

وقال عنترة بن معاوية العبسىّ [من الكامل]

جادَتْ عليه كلُّ بِكْرٍ حُرَّةٍ * فتركْنَ كُلَّ قرارةٍ كالدرهمِ ١٤

البكر أوّل السحاب أراد أنّها لم تمطر قبل ذلك . وقال مُهلْهِل [من الكامل]

تَلْقى فوارسَ تَغْلِبَ ابنةِ وائلٍ ١٥

يَسْتطعمون الموتَ كلَّ هُمامِ

وقال الأفوه الأوْدىّ [من الرمل]

مُلْكُنا مُلْكٌ لَقاحٌ أوّلٌ * وأبونا مِن بَنى أوْدٍ خِيارْ ١٦

قال ابو سعيد اللقاح من العرب الذين لا يدينون للملوك وهو مأخوذ من لقاح الإبل أى هم مستغنون بما عندهم من العزّ عن غيرهم . وقال علقمة بن عبدة [من البسيط]

بَلْ كُلّ قومٍ وإن عَزّوا وإن كرُموا ١٧

عريفُهم بأثافى الشرّ مرجومُ

وقال المسيّب بن علس [من المتقارب]

١٨ وإنّهمُ قد دعَوْا دعوةً * سيَتْبعُها ذنَبٌ أهلَبُ

وقال الأسود بن يعفر [من الوافر]

١٩ فأدِّ حقوقَ قومِك واجتنِبْهم * ولا يطمَحْ بك العِزُّ الفطيرُ

قال أبو سعيد أراد عزًّا ليس بالمُحْكَم كما أنّ الفطير من العجين ليس بمستحْكِمٍ والفطير في غير ذا الجِلدُ الّذى لم يُدْبَغ وقال طُفيل [من الكامل]

٢٠ وجعلتُ كورى فوق ناجِيَةٍ * يقْتاتُ لَحْمَ سَنامِها الرَّحْلُ

وقال أيضاً [من الطويل]

٢١ جذَبتْ حولَ أطْنابِ البيوتِ وسَوّفتْ

مرَاداً فإنْ تُفْزَعْ عصا الحَرْب تُرْكَبِ

سوّفت شمّتْ مَرادَها الموضع الذى ترود فيه . وقال الحرث ابن حِلِزّة [من الكامل]

٢٢ حتّى إذا الْتَفَعَ الظِباءُ بأطْرافِ الظلالِ وقِلْنَ في الكُنُسِ

قال ابو سعيد التفع من اللفاع وهو اللِحافُ الّذى يُلتَفَعُ به ثمّ صار كلُّ ثوب يُجَلِّلُ به الانسان لِفاعًا . و قال عمرو ابن كلثوم [من الطويل]

٢٣ ألا أبْلِغ النُعْمانَ عنّى رسالةً * فمجْدُك حَوْلِيٌّ ولُؤْمُك قارحُ

وقال النابغة الجعدى [من المتقارب]

إذا أغلَقَ الأمـرُ أبـوابَه * وعَىّ ذَوُو الحزْم بالمَـذْهَبِ ٢٤
عـلا بـهـمُ لُجّةَ مَهْلِكا * وإنْ يَطْفُ أصحـابُه يَرْسُبِ

وقال الحطيئة [من الطويل]

ألا مَن لِقَلْبٍ عارِمِ النظَراتِ * يُقَـطِّعُ طولَ الليْلِ بالزفَراتِ ٢٥

وقال أبو ذؤيب الهذليّ [من الكامل]

وإذا المنيّةُ أنشبَتْ أظفارَها * ألفيْتَ كلَّ تميمةٍ لا تنفعُ ٢٦

وقال ابو خراش الهذليّ [من الطويل]

أرُدُّ شُجاعَ البَطْنِ قد تعْلَمِينَهُ ٢٧
وأُوثِرُ غيْرِي من عِيالِكِ بالطُّعْمِ

وقال لبيد [من الكامل]

فبِتِلْكَ إذْ رقص اللوامعُ بالضحى ٢٨
واجتابَ أرديَةَ السرابِ إكامُها

[وقال أيضا من الكامل]

وغداةِ ريحٍ قد كشفتُ وقِرّةٍ * إذْ أصبحَتْ بِيَدِ الشَمالِ زمامُها ٢٩ ٤٢

وقال أوس بن مغراء يهجو بنى عامر [من الطويل]

يَشيبُ على لُؤْمِ الفعالِ كبيرُها ٣٠
ويُغْذَى بِثَدْيِ اللُؤمِ فيها وَليدُها

وقال مُزَرِّد [من الطويل]

٣١ عَسوفُ السرى خبّازةٌ فى عَشائها
رُؤوسَ الأفاعى بين خُفٍّ ومَنْسِمِ

هو ضربُها بيدها ومنه أُخِذَ الخبزُ لإلصاقِهِ بالتنّور . وقال الأخطلُ [من الطويل] .

٣٢ وأهجُرُ هِجرانًا جميلاً ويَنتحِى * لنا من لَيالينا الأوائل أوّلُ .

وقال جرير [من الطويل]

٣٣ لحقتُ وأصحابى على كُلِّ حُرّةٍ * مَرُوحٍ تُبارى الأَحْمَسِىَّ المُكارِيا

وقال المرّار الفقعسىّ [من البسيط]

٣٤ والقومُ قد طَلّحوا والعيسُ رازحةٌ
كأنّ أعيُنَها نُزْحُ القَواريرِ

وقال الفرزدق [من الطويل]

٣٥ لِيَمْنِزَ عِزًّا قد عَسا عَظْمُ رأسِهِ * قُراسِيَةٌ كالفَحْلِ يَصْرِفُ بازِلُهُ

---

ومن البديع والاستعارة من كلام المحدَثين وأشعارِهم قول مالك بن دينار القلبُ إذا لم يكن فيه فكرة خرب . ورأى المأمون بعض ولده وفى يده دفتر فقال ما هذا يا بُنَىّ فقال بعض ما يَشْحَذ الفطنة ويُؤنس فى الوحدة . فقال المأمون الحمد لله الذى أرانى من ذرّيّتى من ينظر بعين عقله .

وقال المنصور لمحمّد بن عمران التيميّ قاضي المدينة بلغني أنّك بخيل قال والله ما أجمُدُ في حقّ ولا أذوبُ في باطلٍ . وقال اسحق بن ابراهيم الموصليّ حدّثني أبو دُلَف قال دخلت على الرشيد وهو في طارمة وإذا بباب الطارمة شيخ جليل على طنفسة فلمّا سلّمت قال لي الرشيد كيف أرضُك قلت خرابٌ يبابٌ خرّبها الأعرابُ والأكرادُ فقال قائل هذا آفة الجبل هو أفسده فقلت فأنا أُصلحه فقال الرشيدُ وكيف ذاك قلت أفسدتَه وأنت عليّ فأُصلحُه وأنت معي فقال الشيخ إنّ هِمّتَه لتَرمِي به من وراء سِنّه مَرْمًى بعيدًا فسألتُ عنه فقيل لي العبّاسُ بنُ الحسن العلويُّ . ووقع بين أحمدَ بن ٥ يوسفَ وبين رجل شرٌّ بين يدي المأمون فقال أحمدُ للمأمون قد والله رأيته يا أميرَ المؤمنين يَستَمْلِي من عينَيك ما تَلْقاني به . وقال الرشيد وقد أنشده النَّمَريّ [من البسيط]

ما كُنتُ أُوفي شبابي كُنْهَ غِرّته * حتّى انقضى فإذا الدنيا له تَبَعُ ٣٦

وما خيرُ الدنيا لا يُخْطَر فيها بِرِداء الشباب . وكتب خالد بن برمك إلى ابنه يحيى لعمرو بن عثمان التيميّ عافانا الله وإيّاك من السوء برحمته قد عرفتَ حال عمرو بن عثمان التيميّ وتقادُمَ وُدّه وانخراطَه في سِلْكنا فوَلِّ من أمره ما يُشْبِهُك أو يُشبهه

من كتاب طبقات الشعراء

لابن المعتز

تحقيق عبد الستار احمد فراج

# أخبار ابن هَرْمَة(١)

هو إبراهيمُ بن عليٍّ بن سَلَمَة [ بن عامر ](٢) بن هَرْمَةَ القُرَشيُّ ، أحدُ بنى قيس بنِ الحارث بن فِهْرٍ ، ويقال لهم : الخُلُجُ . حجازيٌّ سكن المدينة ، ويكنى أبا إسحاق .

قال الأصمعى : خُتِمَ الشعرُ بابن هَرْمَةَ ، فإنه مدح ملوك بنى مروان ، وبقى إلى آخر أيام المنصور .

فمن شعره فى عبد الواحد بن سليمان :

إذا قيل مَنْ خيرُ مَنْ يُجتدَى ... لِمُعْتَـرِّ فِهْرٍ ومحتاجِها
ومن يُعْجِلُ الخيلَ يوم الوغى ... بإلجامِها قبلَ إسراجِها
أشارتْ نساءُ بنى مالكٍ ... إليكَ بها قَبْلَ أزْوَاجِها

وكانت له مدائحُ فى عبد الله بن حسن بن حسن بن على بن أبى طالب ، وفى حسن بن زيد عليهما السلام ، وكان منقطعاً إليهما . فلما خرج محمد ابن عبد الله علَى المنصور قعد عنه وقيل له يوماً ، وقد اتُّهم فى التشيع : أنت القائل :

ومهما أُلاَمُ على حُبِّـه ... فإنى أحبُّ بنى فاطمَهْ

(١) لم يذكر ابن هرمة فى النسخة التى بأيدينا وذكر فى المختصر ، ويزيد أنه سقط من الطبقات ما رواه شارح القاموس فى مادة هرم فى قوله « وفى كتاب طبقات الشعراء لابن المعتز قيل لابن هرمة : هرمت أشعارك ، قال : كلا ولكن هرمت مكارم الأخلاق بعد الحكم بن المطلب : كذا فى تاريخ حلب لابن العديم » وقد أشار إلى ذلك أيضاً « ق » .

وهذا النص غير موجود فى المختصر . كما أن المطبوع من كتاب تاريخ حلب ناقص ليس فيه النص الذى ذكره شارح القاموس . على أن ما أثبتهُ نقلا عن المختصر لا يقطع بأنه كان كله فى طبقات ابن المعتز فالمبارك كان يختار للشاعر أشياء لا توجد فى الطبقات .

(٢) الزيادة من شرح القاموس وانظر فيه بقية النسب .

بنى بِنت من جاءَ بالمحكما ت والدِّين والسنَّة القائمهْ

فقال : قائلها من عَضَّ بَظْرَ أمِّه ؛ فقال له ابنه : يا أبت ألستَ تقولُهُما فى وقتِ كذا وكذا ؟ فقال : يا بنىَّ ، أيهما خير ، أعَضُّ بظر أمِّى ، أم يأْخذنى ابن قَحطبة ؟

وله فى الحكم بن المطلب[1] يمدحه :

لا عيب يوجد فيك إلا أننى أُمسى عليك من المنون شفيقا

قال ابن المعتز : ومما يستجاد من شعره قوله :

« قد يُدرك الشرفَ الفتى [ ورداؤه[2] خَلَقٌ وجيبُ قميصِـــه مرقوعُ ]

## بشَّار بن بُرد

كان شاعرًا مُجيدًا مُفْلِقاً ظريفاً محسناً ؛ خدم الملوكَ وحضر مجالسَ الخلفاء ، وأخذ فوائدهم ، وكان يمدح المهدىَّ ويحضُر مجلسه ؛ وكان يأْنس به ويُدْنِيه ويُجْزِل له فى العطايا ، وكان صاحب صوت حسن ومنادمة . وكان إذا حضر المهدىُّ فى مجلس مَعَ جواريه بعث إليه لأَجل المسامرة والمحادثة وكان بشارٌ يُعَدُّ من الخطباء البلغاء الفصحاء وله قصائد وأشعار كثيرة ، فوشَى به بعض من يُبغضه إلى المهدى بأنه يدين بدين الخوارج فقتله المهدى . وقيل : بل قيل للمهدى : إنه يهجوك ، فقتله والذى صح من الأَخبار فى قتل بشار أنه كان يمدح المهدىَّ ، والمهدىُّ ينعم عليه ، فَرُمِىَ بالزندقة فقتله ؛ وقيل : ضربه سبعين سوطاً فمات ؛ وقيل : ضرب عنقه . وكانت وفاته بسنة سبع ، وقيل : ثمان وستين ومائة فى أيام المهدى .

(١) فى المختصر : عبد المطلب .

(٢) تكلة البيت ذكرها « ف » من ابن خلكان والشعر والشعراء .

ولما توفى تذكره المهدى وحسنَ معاشرته له .

كان أنيس مجلسه ، وقد كان معجباً به وبشعره ، وكان يُدنيه ، وكان بشار كفيفاً قبل موته بأربعين سنة [١] ، ولهذا كان يحضر المجلس والجوارى عند المهدى لكونه لا يبصرهن .

وحكى أن المهدى لما قتل بشارًا ندم على قتله وأحبَّ أن يجد شيئاً يَتعلَّقُ به ، فبعث إلى كُتُبِه ، فأحضرها وأمر بتفتيشها طمعاً فى أن يجد فيها شيئاً مما حَزَبهُ عليه ، فلم يجد من ذلك شيئاً ، ومرَّ بِطومار مختوم ، فظن أن فيه شيئاً ، فأمر بنشره ، فإذا فيه :

بسم الله الرحمن الرحيم ، إنى أردت أن أهجو آل سليمان بن على بن عبد الله بن العباس ، فذكرت قرابتهم من رسول الله صلى الله عليه وسلم وآله ، فمنعنى ذلك من هجوهم ، ووهبت جُرْمَهم لله عز وجل ، وقد قلت بيتين لم أذكر فيهما عِرْضاً ولم أقدح فى دين ، وهما :

دينار آل سليْمانٍ ودِرهَمهُمْ ... كالْبَابليِّيْن شُدَّا بالعَفَاريتِ

لا يُوجَدَان ولا يُرْجَى لِقاؤُهُمَا ... كما سمعتَ بِهارُوتٍ وَمَارُوتِ

فقال : الآن والله صحَّ الندمُ .

وحدثنى أبو جعفر قال : قال ابن أبى أفلح : قال رجل لبشار : إن الله عز وجل ما سلب أحدًا كريمتيه إلَّا عوضه عنهما حُسْنَ صوت أوذكاء ، فأنت فماذا عوضك من بصرك ؟ فقال : عوضنى فُقدْانَ النظر إلى ابن زانيةٍ مثلِكَ منذُ أربعين سنة .

قال السدرى [٢] : كان عمِّى بشارٌ من أفقه الناس وأعلمهم بكتاب الله ،

---

(١) الذى فى كتب التراجم أنه ولد أكمه .

(٢) فى المختصر « السدى » .

فعاشر قوماً من الحرّانيّين(١) فخبث(٢) دينه وكان مفتنًّا بارعاً، وكان من الشعر(٣) بمكان لم يكن به أحد غيره، وكان يقول : ما أعلم شيئاً مما عندى أقلّ من الشعر .

حدثنى ابن أبى أفلح قال : أخبرنى أبو حاتم السجستانى قال : سُئل أبو عبيدة – وأنا حاضر – عن شعر بشار فقال : شَذْرَةٌ ونُقْرَة(٤).

قال : ودخل المهدىّ أيام خلافته على جماعة من جواريه، وهنّ مجتمعات فى حجرة بعضهن ، فجلس عندهن يشرب ، فقلن له : لو أذنت لبشار فى الدخول علينا لنسامره ونحادثه – وكان من أحسن الناس حديثاً، وأظرفهم مجلساً، وأكثرهم مُلحا – فأمر به فأحضر . واجتمعن عليه فحدثهن : وجعل يسرد عليهن من نوادره ومُلحه وينشدهن عيون شعره، فسررن بذلك سرورًا شديدًا، وقلن له : يا بشار ، ليتك أبونا(٥) فلا نفارقك أبدًا . قال : نعم ، وأنا على دين كسرى(٦) . فضحك منه المهدى ، وأمر له بجائزة .

وأطلع المهدى يوماً على بعض جواريه، وهى عريانة تَغتسل ، فأحست به ، فضمت فخذيها، وسترت متاعها بكفيها ، فلم يشملاه ، حتى انشمت

---

(١) فى الأصل : الحرابلين . وفى المختصر : الحرانيم . وقد رجح « ق » ما أثبته بالأصل . هذا وفى نكت الهميان أن بشاراً كان يرى رأى الكاملية وهم فرقة من الرافضة يتبعون رجلا كان يعرف بأبى كامل ، كان يزعم أن الصحابة كفروا بتركهم بيعة على بن أبى طالب . وكفر على بتركه قتالهم ... إلخ.

(٢) فى الأصل : فحنث . وقد تصح على معنى : حنث : مال من حق إلى باطل . وفى المختصر : فخبث .

(٣) فى الأصل : الشعراء ، واخترت رواية المختصر لأنها أدق .

(٤) الشذرة : القطعة من الذهب أو هى اللؤلؤة الصغيرة . والنقرة : الفضة المذابة جمعها نقار . وفى الأصل سدره وفقره وصوبهما « ق » هذا إذا أراد أبو عبيدة مدح جميع شعر بشار أما إذا كان يريد مدح بعضه وذم بعضه الآخر فتكون الجملة : شذرة وبعرة .

(٥) فى الأصل : أبانا ، وهى جائزة على لغة من يلزم المثنى والأسماء الخمسة الألف وهى لغة كنانة وغيرها .

(٦) فى المجوسية يجوز عندهم تزوج الأخوات والبنات ، انظر شرح الواحدى ص ٣٤٠ .

فَسَتَرتْهُ بعُكن(١) بطنها ، فخرج المهدى ضاحكاً ، وبشار فى الدار ، فقال : أَجِزْ هذا البيتَ .

أَبْصَرَتْ عَيْنِى لِحَيْنِى

فقال بشار على البديهة :

. . . . . . . . . . . . . . . مَنْظَــرًا وَافَق شَيْنِى
سَتَرَتْه إِذْ رَأَتْنِى تَحتَ بَطْنِ الرَّاحَتَيْن
فَبَدَتْ مِنْهُ فُضولٌ لَمْ تُوَارَ بالْيَدَيْنِ
فَانْثَنَتْ حَتَّى تَوَارَتْ بين طَىٍّ الْعُكْنَتَيْنِ

فقال المهدىّ : والله ما أنتَ إلاَّ ساحِرٌ ، ولولا أنك أعمى لضربتُ عنقك ، ولقد حكيتَ الأمرَ على وجهه حتى كأنَّك رأَيته ، ولكنى أعلم أن ذلك من فرط ذكائك ، وجودة فطنتك .

وكان بشارٌ مولًى لبنى عُقيل . وقال بعضهم : لبنى سَدوس ، وكان يلقب المُرعَّث . والمرعَّثُ : المقرَّطُ ، والرِّعاثُ : القُرْطُ . وكان يرمى بالزندقةِ ، وهو القائل :

كَيْفَ يَبْكِى لِمَحْبَسٍ فى طُلُول مَنْ سيبكى لحَبس يوم طويل
إنَّ فى البعث والحساب لَشُغْلًا عن وقوفٍ برسم دارٍ مُحِيلِ(٢)

وهذان البيتان يدلان على صحة إيمانه بالبعث . وكان مطبوعاً جدًّا لا يتكلف ، وهو أستاذ الْمُحْدَثِينَ وَسَيِّدُهم ، ومن لا يُقَدَّم عليه ، ولا يُجارى فى ميدانه .

والصحيح عند أهل العلم أن المهدى قتله بهجوه يعقوب بن داوود وزيره بقوله :

---

(١) العكن جمع عكنة وهى ما انطوى وتثنى من لحم البطن سمناً .
(٢) المحيل : الذى أتت عليه أحوال وغيرته .

بَنِى أُمَيَّةَ هُبُّوا طال نومُكُمُ  إنَّ الخليفةَ يعقوبُ بنُ داوودِ
ضاعتْ خلافتكم ياقومُ فالتمسوا  خليفةَ الله بين الزِّقّ والعودِ

وقال قوم : بل قتله على قوله :

لا يُؤْيِسَنَّكَ من مُخَبَّـأَةٍ  قَوْلٌ تُغَلِّظُهُ وَإنْ قَبُحَـا
عُسْرُ النِّسَاءِ إلى مُيَاسَرَةٍ  والصَّعْبُ يُمْكِنُ بَعْدَماجَمَحَا

فقال المهدى : رميتَ جميعَ نساء العالمين بالفاحشةِ .

والقولُ الأَوّلُ أثبتُ .

وكان حمّادُ عَجْرَدٍ يهجو بشارًا ولايلتفت إليه حتى قال فيه :

ويا أقبح من قردٍ  إذا ما عَمِىَ القِرْدُ

ومما اشتد عليه قوله :

لو طُلِيَتْ جِلدتُهُ عَنْبَرًا  لَنَتَّنَتْ جِلْدَتُهُ العنبرَا
أو طُلِيَتْ مِسْكاً ذَكِيًّا إذًا  تَحَوّلَ المسكُ عليه خرا

وكان حمادٌ مُفْلِقاً مجيدًا ، إلا أن موضعَه لم يُدانِ بشارًا ولا يقاربه .

ومن جيد شعر بشار كلمته فى عُمر بن العلاء :

إذا نبَّهتْكَ حروبُ العُدَاةِ  فَنَبِّهْ لها عُمَرًا ثُمَّ نَمْ
ولولا الذى زعموا لم أكُنْ  لأَمْدَحَ رَيْحَانَةً قَبْلَ شَمّْ

وحضر بشارٌ يوماً مجلس عُقْبة بنِ سَلْمٍ الهِنَائى ، وقد حضرَ عقبة بنُ رؤبةَ بنِ العَجاج ينشد أرجوزةً ، فاستحسنها بشار . فقال عقبة : يا أبامُعَاذ ، هذا طرازٌ لا تحسنه أنت ولا نظراؤك ، فغضب بشارٌ فقال : أَلِى تقول هذا ؟ والله إنى لأَرْجَزُ منك ومن أبيك ومن جَدِّك . ثم غدا على عقبةَ ابنِ سلمٍ الهنائىِّ بأرجوزته الدَّاليّة التى يقول فيها :

يا طَلَلَ الدارِ بذاتِ الصَّمْدِ  باللهِ خَبِّرْ كيف كُنْتَ بَعْدِى

وفيها يقول :

الحُرُّ يُلْحَى[1] والعَصَا لِلْعَبْدِ     وليسَ للمُلْحِف مثلُ الردّ
وصَاحِبٍ كالدُّمَّلِ المُمِدِّ[2]     حَمَلْتُه فى رُقْعَةٍ فى جِلْدِي

فأُعْجِب به عقبةُ ، وقال لابن روْبة : واللهِ ما قلتَ أنتَ ولا أبوك ولا جدُّك مثلَ هذا . ووصل بشارًا وأجزل له العطية .

وكان بشار أُستاذ أهلِ عصره من الشعراء غير مدافع ، ويجتمعون إليه وينشدونه ويرضون بحكمه .

وتشبيهاته – على أنه أعمى لا يبصر – من كل[3] ما لغيره أحسن . ومن ذلك قوله :

كأنَّ مُثَار النقع فوق رءوسنا     وأسيافَنَا ليلٌ تهاوت كواكبُهْ

ومن خبيث هجائه قوله :

فلا تَبْخَلا بُخْلَ ابن قزْعةَ[4] إنه     مخافةَ أن يُرْجَى نداه حزينُ
إذا جئته للعُرْف أغلقَ بابَه     فلم تَلْقَه إلاَّ وأنت كمينُ
فقل لأبى يحيى : متى تبلغُ العلا     وفى كلِّ معروف عليك يمين؟

وفيه يقول :

بِجَدِّك يا بن قزْعةَ نِلتَ مالاً     ألاَ إن اللئام لهم جُدودُ[5]

---

(1) يلحى : يلام .
(2) أمد الجرح فهو ممد : حصلت فيه المدة .
(3) أى أحسن من كل ما لغيره .
(4) فى الأصل فلا تتحل بخل ابن فرعث . والتصويب من عيون الأخبار ج 1 ص 88 والبديع ص 60 . والشعر والشعراء والصناعتين ص 318 وابن خلكان ترجمة حماد عجرد وطراز المجالس ص 90 وغيرها .
(5) الجد وجمعه جدود : الحظ .

ومن حَذَرِ الزيادةِ فى الهدايا . أقمتَ دَجاجَةً فيمن يزيدُ[1]

ومما يستحسن لبشار ، لإحكام رصفه وحسن وصفه ، كلمته التى يقول فيها بيته الذى ذكرناه فى التشبيه ، فأولها :

جفا جفوةً فازورّ[2] إذ ملّ صاحبُهْ وأزرى به أن لا يزال يُصاحبُهْ
خليلىَّ لا تستكثرا لوعةَ الهوى ولا لوْعَةَ المحزونِ شطَّتْ حبائِبُهْ
شَفَى النفسَ ما يلقى بِعَبْدَةَ مُغْرَماً وما كان يَلْقَى قلبُهُ وضرائبهْ[3]
فأقصرَ عن داعى الفؤاد وإنما يَمِيلُ به أَمسُ الهوى ويُطالبه
إذا كان ذوّاقاً أخوك من الهوى تُوجِّهُهُ فى كلِّ أوْبٍ[4] رَكائبه
فخلِّ له وجهَ الطريق ولا تكُنْ مطيّةَ رحّالٍ كثيرٍ مَذَاهبه
أخوكَ الذى إن ربْتَه قال إنما أَرَبْتُ وإن عاتبْتَه لانَ جانبه[5]
إذا كنتَ فى كلِّ الأُمورِ معاتباً أخاً لك لم تلْقَ الذى لا تُعاتبه
فعِشْ واحدًا أَوْ صِلْ أخاك فإنّه مقارِفُ ذنبٍ مرّةً ومجانِبه
إذا أنت لمْ تشربْ مِرارًا على القذى ظمِئْتَ وأىُّ الناسِ تَصفو مَشاربه؟
من الحىِّ قيسِ قيسِ عَيْلان إنهـا عيونُ الندى منها تُرَوَّى سحائبه
وما زال منها مُمْسِكٌ بمدينةٍ -يراقِبُ- أوْ ثغرٍ تُخَافُ مَرَازِبُه[6]

(١) فى الأصل : « أقمت ودائة فيمن يزيد » والتصويب من الشعر والشعراء . ومن يزيد : هى السوق التى يتزايد فيها الناس . تزايد أهل السوق على السلعة إذا بيعت فيمن يزيد . انظر تاج العروس واللسان مادة زيد .

(٢) ازور : عدل وانحرف .

(٣) ضرائبه جمع ضريبة وهى الطبيعة والسجية .

(٤) الأوب : الطريق . ورواية الديوان : موجهة .

(٥) رابه : أوقعه فى الريب . وأراب : صار ذا ريب .

(٦) المرازب هنا جمع مرزبان وهو الرئيس من العجم والفارس الشجاع . وإن كان جمع مرزبان مرازبة . وقد تكون المرازب جمع المرزاب وهى السفينة العظيمة لكن جمعها هو مرازيب .

إذا الملِكُ الجبَّارُ صعَّرَ[1] خدَّه … مَشَيْنَا إليه بالسيوف نُعَاتبه
وكنَّا إذا دَبّ العدوُّ لِسُخْطِنَا … وراقبَنَا فى ظاهِرٍ لا نُراقبه
غدوْنا له جَهْرًا بكلِّ مُثَقَّفٍ[2] … وأبيضَ تَستسقِى الدماءَ مَضَاربه
كأَنَّ مُثَار النقع فوق رءوسنا … وأسيافَنا ليلٌ تَهاوَتْ كواكبه
وأَرْعَن[3] يُغْشى الشمسَ لونُ حديده … وتَخْلِسُ أبصارَ الكماةِ كتائِبه
تُغَصُّ به الأَرضُ الفضاءُ إذا غدا … تُزاحِم أَركانَ الجبالِ مَنَاكبه
تَركْنا به كَلْباً وقَحطانَ تَبتغِى … مُجيرًا من الهبْلِ المطَلِّ مُغَالِبه[4]

وكان بشار يعد فى الخطباء والبلغاء . ولا أعرف أحدًا من أهل العلم والفهم دفع فضله ولا رغب عن شعره . وكان شعره أنقى من الراحة ، وأصفى من الزجاجة وأسلس على اللسان من الماء العذب . ومما يستحسن من شعره ـ وإن كان كله حسناً ـ قوله :

أَمِنْ تَجَنِّى حبيب راح غضبانَا … أَصبحتَ فى سكراتِ الموت سكرانَا
لا تعرفُ النوم، من شوق إلى شَجَن … كأنَّما لا تَرى للناس أشجانا
أودّ مَنْ لم يُنِلْنِى من مـــودَّتِه … إلا سلاماً يردّ القلبَ حيرانا
يا قومُ أُذْنى لبعض الحىِّ عاشقةٌ … والأُذْنُ تعشق قبلَ العين أَحيانا

---

(١) صعر خده : أماله عن النظر إلى الناس كبراً وتهاوناً بهم .

(٢) المثقف : الرمح .

(٣) الأرعن : الأهوج فى كلامه والأحمق والجبل ، ويريد به هنا الجيش .

(٤) هبلت فلاناً أمه هبلاً مثل « فرحاً ... » وهو هنا سكن الباء . وأطل دمه : أهدره وأطل بالبناء للمجهول : أهدر . وأطل عليه أشرف . وغالبه نازعه . والمعنى : تطلب مجيراً من الثكل الذى أهدر دم من ينازع فيه . أو تطلب مجيراً من الثكل الذى يشرف عليه من ينازعهم فى الحرب ودم قيس عيلان . أما رواية الديوان فهى : مجيراً من القتل المطل مقانبه . والمقانب جماعات من الخيل تجتمع للغارة ، ومخالب الأسد .

وهذا معنى بديع لم يسبقه إليه أحد . وهذه قصيدة طويلة وقد قدمنا فى كتابنا هذا أنا نروم الإيجاز والاختصار .

ومما يستحسن من شعره أيضاً وهو المعنى الذى لم يُسْبَق إليه :

لم يَطلْ ليلى ولكنْ لم أَنَمْ ... ونفى عنى الكَرَى طَيْفٌ أَلَمّْ
فاهجر الشوقَ إلى رُؤْيتها ... أَيُّها المهجورُ إلا فى الحُلُمْ
خدِّثيني عن كِتَابٍ جاءنى ... منكِ بالذمّ وما كنتُ أُذَمّْ

ومن مستحسن شعره رائيته العجيبة البديعة المعانى الرفيعة المبانى :

رأيتُ صَحابتى بِخُنَاصِرَاتٍ [1] ... حُمُولاً بعد ما مَتَعَ النَّهارُ [2]
فكاد القلبُ من طربٍ إليهم ... ومن طــولِ الصَّبابة يُسْتَطارُ
وفى الحىّ الذين رأيتُ خَوْدٌ ... خَلُوبُ الدَّلِّ آنسةٌ نَوَارُ [3]
بَرُودُ العَارِضَين كأَنَّ فاها ... بُعَيْدَ النَّوْمِ عَانَقَهُ عُقَارُ [4]
كأَنَّ فؤاده كُرَةٌ تَنَزَّى ... حِذَارَ البينِ لو نَفَعَ الحِذَارُ
يُرَوِّعه السِّرارُ بكلّ شيء ... مخافةَ أن يكونَ به السِّرارُ [5]
ودَّ ا لليلَ زِيدَ إليه لَيْلٌ ... ولم يُخْلَقْ له أبدًا نهارُ
جَفَتْ عينى عن التَّغْميضِ حتَّى ... كأَنَّ جفونَها عنها قِصَارُ

وبلغنى أنَّ مسلم بن الوليد وجماعة ، منهم أبو الشيص وأبو نواس وغيرهما ، كانوا عند بعض الخلفاء ، فسألهم عن ديباج الشعر الذى لا يتفاوت نمطه ،

---

(١) خناصرات : بليدة من أعمال حلب تحاذى قنسرين نحو البادية ( انظر معجم البلدان )
(٢) متع النهار : ارتفع أو بلغ غايته .
(٣) فى الأصل : خوذ . . . حلوب . هذا والنوار كسحاب : المرأة النفور من الريبة .
(٤) العارض : من معانيها السن التى فى عرض الفم بين الثنايا والأضراس . وعانقه قد تكون محرفة أيضاً عن عاتقة وإن كان قد ورد خمر عاتق بغير تاء .
(٥) السرار : المسارة .

فأنشدوه لجماعة من المتقدمين والمحدثين ، فكأنه لم يقع منه بالغرض . و ..
عن أحسن من ذلك ، فقال أبو نواس : أنا لها يا أمير المؤمنين . وأنشد هذه
الأبيات الرائية لبشار ، فاستحسنها جدًّا ، وقال [1] :

ومما أجاد فيه وأفرط قوله فى الافتخار :

إذا ما غضِبْنا غضبةً مُضَرِيَّةً ... هتكنا حجابَ الشمس أو قطرت دمًا
إذا ما أعَرْنَا سيِّدًا من قبيلة ... ذُرَى منبرٍ صلَّى علينا وسلَّمَا

ومما يستحسن له قوله فى عقبة بن سلم :

حيِّيَا صاحبيَّ أمَّ الْعَلاءِ ... واحذرا طرفَ عينها الحوراءِ
إن فى طرفها دواءً وداءً ... لمحبٍّ ، والداءُ قبلَ الدواءِ
عذَّبَتْنى بالحبِّ عذَّبها اللـ ... ـهُ بما تشتهى من الأهواءِ
يقع الطير حيث يُلْتَقَطُ الحـ ... ـبُّ وتُغْشَى منازلُ الكرماءِ
إنما هِمَّةُ الجوادِ ابنِ سَلْمٍ ... فى عَطاءٍ ومَوْكِبٍ أوْ لقَاءِ
ليس يعطيك للرجاءِ وللخَوْ ... فِ ولكنْ يَلَذُّ طعْمَ العطاءِ

ومما يختار من مديحه قوله فى ابن العلاء :

فتى لا يَبيت على دِمْنَةٍ [2] ... ولا يَلْعَقُ الشهدَ إلا بِسَمّْ

ثم يأخذ فى الافتخار فى قوله منها :

ألاَ أيُّها السائلى جاهلاً ... لتعرفنى أنا أنْفُ الكَرَمْ

---

( ١ ) لعل القائل هو الخليفة أو أبو نواس ، وقد تكون الواو زيادة من الناسخ .

( ٢ ) الدمنة هنا معناها الحقد الذابت .

نَمَتْنِى الجيادُ : بنو عَامِرٍ    فروعى ،وأَصْلِى قريشُ العجمْ
وإنِّى لأُغْنِى مقامَ الفتى    وأُصْبِى الفتاة ولا تَعْتَصِمْ

ومن غزله الطيب الحسن المليح قوله :

يا مُنْيَةَ الْقَلْبِ إنِّى لا أُسَمِّيكِ    أَكْنِى بأُخرى أُسمِّيها وأَغْنِيكِ
يا أَطيبَ الناسِ ريقاً غيرَ مختَبر    إلَّا شهادة أَطرافِ المساويك
قدْ زُرتنا زورةً فى الدّهر واحدةً    فاثْنِى ولا تجعليها بيضَةَ الدِّيك
يا رحمةَ اللهِ(١) حُلِّى فى منازلنا    حسبي برائحةِ الفِرْدَوْسِ من فِيكِ

ومن بدائعه قوله :

وخريدةٍ سُودٍ ذوائبُهــا    قد ضُمِّخَتْ بالمسك والوَرْسِ
أقبلْن فى رَأْدِ الضَّحَاءِ بها    فسترْنَ عَيْنَ الشَّمْسِ بالشَّمْسِ

وله القصيدة المشهورة التى يقول فيها هذا البيت [يا رحمة الله .. إلخ] (٢)
وقد ضمنه أبو نواس بشعره وهو هذا البيت :

يا رحمة الله حلّى فى منازلنا    وجاورينا(٣) فدتْكِ النفسُ من جار

وأخبار بشار كثيرة ونوادره فى الشعر وطرائفه أكثر من أن يتضمنها(٤) هذا الكتاب على ما قدمْنَا فيه من إيثارِنا الإيجاز والاختصار وقد أَتينا بما يستدل على ما سواه .

---

(١) رحمة الله : جارية كانت بالبصرة انظر ثمار القلوب ص ٢٤ .
(٢) زيادة يحتاج إليها السياق .
(٣) فى الأصل « وحاربينا » وهو تصحيف والتصويب من الإعجاز ص ١٥٩ والمحاضرات ج ٢ ص ١٤ وغيرهما .
(٤) فى الأصل « يتضمنه » .

# أَخبار مُسْلِم بن الوليد الأنصارى

وهو صَريع الغوانى .

حدثنى صالح بن محمد العوفى قال : [حدثنا إبراهيم بن أبى يحيى المدنى الأَنصارى قال][1] :

(١) زيادة من المختصر .

كان مسلمُ بن الوليد صريعُ الغوانى مدّاحاً مُحْسناً مجيدًا مفلقاً ، وهو أوّل من وسّع البديع ، لأنّ بشّار بن برد أول من جاء به . ثم جاء مسلم فحشا به شعره ، ثم جاء أبو تمام فأفرط فيه وتجاوز المقدار .

وجلّ مدائح مسلم فى يزيد بن مَزْيد ، وداود بن مَزْيد ، وفى البرامكة . وقد مدح الخلفاء .

حدثنى ابن المغير [١] قال .

كان مسلمُ بن الوليد مدح الرشيد باللامية السائرة ، فلما دخل عليه فأنشده وبلغ قوله :

هل العيشُ إلّا أن تروح مع الصِّبا ... وتغدو صريعَ الكأْس والأعين النُّجْلِ

قال له : أنت صريع الغوانى. فسمى بذلك حتى صار لا يعرف إلّا به .

ويقال : إن الرشيد كتب شعره بماء الذهب . وأوّل القصيدة :

أديرا علىَّ الكأْس لا تشربا قبلى ... ولا تَطْلُبا مِن عندِ قاتلتى ذَحْلِى [٢]

وهى مشهورة سائرة جيدة عجيبة . ومما يستحسن له ــ على أن شعره كله ديباج حسن لا يدفعه عن ذلك أحد ــ قوله :

فإنى وإسماعيــل يوم وَدَاعه ... لكالغِمْد يومَ الرَّوْع زايلَه النَّصْلُ
فإن أغشَ [٣] قوماً بعده أو أَزُرْهُمُ ... فكالوحشِ يُدْنيها مس الأَنَسِ [٤] المحل

وهذا معنى لا يتفق للشاعر مثله فى ألف سنة .

وهو القائل فى يزيد بن مَزيد فى قصيدة له جيّدة طويلة عجيبة :

مُوفٍ على مُهَجٍ فى يوم ذى رَهجٍ ... كأنّه أَجَلٌ يسعى إلى أَمَلِ

---

(١) المختصر : حدثنى يعقوب بن إسحاق قال : حدثنى أبى .
(٢) الذحل : الثأر .
(٣) فى الأصل : أعس .
(٤) الأنس : الإنس .

لا يَرْحلُ الناسُ إلا نحوحُجْرته(١) . . . كالبيت يُضحي إليه ملتقى

يكسو السيوفَ(٢) نفوسَ الناكثين به . . . ويجعل الرُّوسَ تيجاناً على الذُّبُل

قد عوَّد الطير عادات وَثِقْنَ بها . . . فهنَّ يتبعْنَه في كُلِّ مُرْتَحل

تراه(٣) في الأَمْن في دِرْعٍ مُضاعفة . . . لا يأمن الدهرَ أن يُدعى على عجل

لله مِنْ هاشم في أرضه جبل . . . وأنت وابنك رُكنا ذلك الجبل

صدَّقْتَ ظني وصدّقت الظنون به . . . وحَطَّ جُودك جُلَّ الرحْل عن جملي

وأول هذه القصيدة :

أجْرَرْتُ حَبْلَ خليعٍ في الصِّبا غزلٍ . . . وشَمّرتْ هِمَمُ العُذَّال في العَذَلِ

وهي كما قلنا مشهورة ، فتركناها إلّا هذه الأبيات فإنها من عيون القصيدة ، وإن كانت القصيدة كلها عينا .

ومما سار له من هجوه قوله :

يا ضيفَ موسى أخي خُزَيمَةَ صُمْ . . . أو فتزوَّدْ إن كنت لم تَصُمِ

أطرقَ لمّا أتيتُ ممتدِحاً . . . فلم يَقُل لا فضْلاً على نَعم

فخفْتُ إن مات أن أُقاد به . . . فقمت أبغي النجاةَ من أَمَمِ

لو أنَّ كنز البلاد في يده . . . لم يَدَعِ الإعتلال بالعَدَم

ومما يختار له أيضاً قوله :

لن يُبطئ الأمرُ ما أمّلْتَ أوْبَتَهُ . . . إذا أعانَكَ فيه رِفقُ متّئِدِ

والدهرُ آخذُ ما أعطى مكدِّرُ ما . . . أصْفَى ومُفسدُ ما أهْوى له بيدِ

فلا يغرّك من دهرٍ عطيّتُه . . . فليس يترك ما أعطى على أحد

---

(١) الحجرة ، بفتح الحاء وضمها يراد بها هنا : الناحية .

(٢) في الأصل : يكسو الرو نفوس .

(٣) في الأصل : بداه .

ومما يستملح له قوله :

شَجَجْتُها بلُعاب الْمُزن فاعتزلت ... نَشْجين[1] من بين محلول ومَعقودِ
أهْلاً بوافدة للشيب واردة ... وإن تراءت بشخص غير مودود
لا أجمع الحلم[2] والصهباء قد سكنتْ ... نفسى إلى الماء عن ماء العناقيد

ومما يختار له قوله للفضل بن يحيي أو الفضل بن جعفر بن يحيي :

تُسَاقطُ يُمناه النَّدى وشماله الـ ... رَّدى وعيونُ القول منطقه الفصلُ[3]
عَجولٌ إلى أن يُودِعَ الحمدَ مالَه ... يَعُدّ النَّدى غُنماً إذا اغتُنِم البخلُ
بكفِّ أبي العباس يُسْتَمْطَرُ الغنى ... وتُسْتنزَل النُّعْمى ويَسترِعف النَّصلُ
متى شئتَ رفَّعْتَ الستور عن الغنى ... إذا أنت زرتَ الفضلَ أو أذِن الفضل

ومن السائر الذى يروى له قوله فى السفينة :

كشفت[4] أهاويل الدُّجى عن مَهُولِهِ ... بجارية محمولةٍ حاملٍ بِكْرِ
إذا أقبلتْ راعَتْ بِقُلَّة قَرْهَب[5] ... وإن أدبرتْ راقَتْ بقادِمَتَىْ نَسْرِ
أُقِلّت بمجدافين يعتورانها ... وقوَّمها كَبْحُ اللِّجام من الدُّبْر
كأنّ الصَّبا تحكى بها حين واجهت ... نسيمَ الصَّبا مَشْىَ العروسِ إلى الخِدْر
ركبنا إليه البحر فى أُخْرَياته ... فأوْفَتْ بنا من بعد بحرٍ إلى بحر

ومما يستملح له حُسْنَ تشبيه وجوْدَةَ معنى قولُه :

إبريقُنا سَلَبَ الغزالةَ جِيدَها ... وحكى المديرُ بمقلَتَيه فزالَا

---

(١) فى الأصل : فاعتدلت شجين .
(٢) فى الأصل : المال . والتصويب من الديوان وغيره .
(٣) فى الأصل : الفضل .
(٤) فى الأصل : كسفت .
(٥) القلة : أعلى الرأس . والقرهب : الثور الكبير .
(٦) فى الأصل : . . . كبح اللحام . وفى الشعر والشعراء : أطلت بمجذافين . هذا وأقلت : رفعت .

يسقيك باللَّحظات كأس صَبَابةٍ ... ويُعيدَها من كفه جِرْيالا[1]

ومن مختاراته أيضاً قوله :

إذا شئتما أن تسقيانى مُدامةً ... فلا تَقْتُلاها ، كلُّ مَيْتٍ مُحَرَّمُ

خلطْنادَماً مِنْ كَرْمَةٍ[2] بدمائنا ... فأظهر فى الألوان مِنَّا الدَّمَ الدَّمُ

ومن بديع ما يُروى له قوله :

إنْ كنتِ تسقين عَيْنَ الراح فاسقينى ... كأساً أَلَذُّ بها من فيك تشفينى

عيناك راحى وريحانى حديثُك لى ... ولونُ خدَّيْك لونُ الورد يكفينى

ومن بدائعه أيضاً قوله :

خَفِينَ على رَيْب المنون وغَصَّتِ[3] الـ ... بُرِينَ[4] فلمْ ينطق لها أبداً حِجْلُ

ولما تلاقينا قضى الذَّيْلُ نَحْبه ... بوجه كوجه الشمس ما إنْ له مِثْلُ

وخال كخال البدر فى وجه مثله ... لقينا المُنَى فيه فَحَاجَزَنا[5] البَذْل

وماء كماء الشمس لا يَقْبل الأذى ... إذا درجتْ فيه الصَّبَا خِلته يغلو

من الضُّحَّك الغُرِّ اللَّواتى إذا التقت ... تُحَدِّث عن أسرارها السُّبْلَ السُّبْلُ

صَدَعْنَا به حَدَّ الشَّمول وقد طَغَتْ ... فألبسها حِلْماً وفى حلمها جهل[6]

ومما يستحسن من لاميته فى الرشيد قوله :

ومانحةٍ شُرَّابَها المُلك قهوةٍ ... يهودية الأصهار مُسْلِمة البَعْلِ

بعثنا لها منَّا خطيباً لِبُضْعِها[7] ... فجاء بها يمشى العِرِضْنَةَ فى مَهْل

(١) الجريال : الخمر .
(٢) فى الأصل : من ذكره .
(٣) فى الأصل : وعضت .
(٤) البرين : جمع برة وهى : الخلخال أو كل حلقة من سوار وقرط وخلخال وما أشبهها .
(٥) فى الأصل : فحاجزنا .
(٦) فى الأصل : والبسها .
(٧) فى الأصل : لبعضنا .
(٨) العرضنة : مشى فى تيه .

قد اسْتُودِعَتْ دَنًّا لَها فهو قائمٌ    بها شَغَفًا بين الكروم على رِجْل
شَقَقْنا لها فى الدَّنِّ عَيْناً فأَسْبَلَتْ    كألسنة الحيَّاتِ خافتْ من القَتْل

ويختار من قوله هجوه لسعيد بن سَلْم :

وأحْبَبْتُ من حُبِّها الباخلين    حتى وَمِقْتُ ابْنَ سَلْمٍ سَعِيدَا
إذا سِيلَ عُرْفاً كسا وجْهَهُ    ثياباً من اللُّؤْم صُفْرًا وسُودا

ومما السِّحرُ معناه رقَّة وحسناً :

إذا التَقَيْنَا منعْنا النَّومَ أَعينَنَا    ولا نلائم غمضاً حين نفترقُ
أُقِرُّ بالذَّنب منِّى لستُ أعرفه    كيما أقول كما قالت فنتفق
حَبَسْتُ دمعى على ذنبٍ تجدِّده    فكلَّ يومٍ دموعُ العين تَسْتَبق

ومن جيد ما يروى له قوله :

فما سلوتُ الهوى جهلاً بلذَّته    ولا عصيْتُ إليه الحِلْمَ من خَرَقِ
يا واشياً أَحْسنَتْ فينا إساءتُه    نجَّى حِذَارُك إنْسَانى من الغَرَق

ويختار له أيضاً قوله فى غلبة اليأْس على النفس والرجوع إلى الطمع :

أعـــاود ما قدَّمتُه من رجائِها    إذا عاودت باليأْس منها المطامعُ
رأتنى عَمِىَّ الطرف عنها فأعرضتْ    وهلْ خِفت إلَّا ما تُشير الأَصابع
وما زيَّنَتْها النفسُ لى عن لجَاجة    ولكن جرى فيها الهوى وهْوَ طائع
مللتُ من العُذَّال فيها فأطرقتْ    لهم أُذُن قد صُمَّ عنها المسامع
فأَقسمتُ أنسى الدَّاعيات إلى الصِّبا    وقد فاجأتها العينُ والسِّتْرُ واقع

ومما يستحسن له فى الزهد قوله :

كم رأينا من أُناس هَلَكوا    فبَكَى أَحبابُهم ثم بُكُوا

---

(١) فى الأصل : قد استودعت ذيالها . . . بها شفعاً .

(٢) فى الأصل : ولا نلائم . . . يفترق .

تركوا الدُّنيا لمن بعدَهُمُ     وُدُّهم لو قدَّموا ما تركوا
كم رأينا من ملوك سَوَّقُوا[1]     ورأَيْنا سُوقَةً قد ملكوا
وضعَ الدهرُ عليهم بَرْكَهُ[2]     فاستداروا حيث دار الفلك[3]

## أخبار أبان بن عبد الحميد اللَّاحِقِىّ

حدثنى عبد الرحيم بن ميمون البصرى قال : حدثنى أبو هِفَّان قال :

كان أبانٌ اللاحقى شاعرًا أديباً ، عالمًا ظريفاً منطيقا ، مطبوعاً فى الشعر ، مقتدرًا عليه ، يقتضب[4] الخطب ، ويرسل الرسائل الجياد ، وهو صاحب البرامكة وشاعرهم وصاحب جوائزهم للشعراء ، وهو يستخرجها لهم ويفرقها عليهم ، وهو الذى نقل كليلة ودمنة شعرًا بتلك الألفاظ الحسنة العجيبة ، وهى هذه المزدوجة التى فى أيدى الناس ، وكان الذى استدعى ذلك وأراده يحيى بن خالد بن برمك ، وكان قد اختار له أبا نواس ، فصار إليه أبان اللاحقى فقال له كالمتنصِّح : أنت رجل مغرم بهذا الشراب لا تصبر عنه وعن الاجتماع مع إخوانك عليه ، وهو لذتك من الدنيا ومتعتك ، وهذا الكتاب كتاب مشهور ، ولم ينقل إلى هذا الوقت من المنثور إلى الشعر ، وإذا فُعِل ذلك تداوله الناس وطلبوه ونظروا فيه ، فإن أنت تولَّيته مع تشاغلك بلهوك ولذتك لم يتوفر عليه فكرك وخاطرك ، ولم يخرج بالغاً فى الجودة

(١) فى الديوان وغيره : سوقة .
(٢) فى الأصل : وضع الدار . هذا والبرك الصدر .
(٣) ورد فى الأصل بعد هذا البيت ما يأتى : « توفى فى حدود المائتين ، قال لى محمد بن شاكر أحمد الكتبى فى كتاب فوات الوفيات » وهذه الجملة ظاهر أنها مقحمة فى الكتاب ، فما لا شك فيه أن شاكر الكتبى متأخر جدا عن ابن المعتز ، يضاف إلى هذا أن كتاب فوات الوفيات المطبوع لا تورد ترجمة لمسلم بن الوليد .
(٤) اقتضب الكلام : ارتجله .

والحسن ، وإن توفَّرت عليه واهتممت به قطعك ذلك عن لهوك ولذتك ومتعتك . فلا تُقْدِم عليه إلّا بعد إنعام النظر فى أمرك . فظن أبو نواس أنه قد نصح له ، واستثقال الأمر فيه ، فاستعفى عنه ، وتخلى به اللاحقىُّ ، ولزم بيته لا يخرج حتى فرغ منه فى أربعة أشهر ، وهى قريبة من خمسة آلاف بيت ، لم يقدر أحد من الناس أن يتعلق عليه بخطإ فى نقله ، ولا أن يقول : ترك من لفظ الكتاب أو معناه . ثم حمله إلى يحيى بن خالد ، فسُرّ به سرورًا عظيمًا ؛ وأعطاه على ذلك مائة ألف درهم . فحزن أبو نواس وحسده ، وتبين له أنه كان احتال عليه . فهذا سبب ما كان بينهما من العداوة[1] . وكان فى جميع أحواله أرفع طبقة من أبى نواس . وقد هجاه أبو نواس بشعر كثير . فما سار له فيه شىء على شهرة شعره ، ولم يقل فى أبى نواس غير ثلاثة أبيات ؛ وقد سارت فى الدنيا ، وهى هذه :

أبو نواس بنُ هانى وأمُّه جُلُّبانِ[2]
والناسُ أفطنُ شىءٍ إلى حروف المعانى
إن زدت بيتاً على ذى ما عشتُ فاقطعْ لسانى

# أَخبار أَبي تمام بن أَوس الطائى

حدثنى أَبو الأَسود الموصلى قال :

قال الحسن بن رجاء الضحاك : كنا مع أَمير المؤمنين المعتصم بالرَّقَّة فجاءَ أَبو تمام ، وأَنا فى حَرَّاقتى ، فجعل ينشدنى ويلتفت إلى الخدم والغلمان الوقوف بين يدىّ ، ويلاعبهم ويغامزهم — وكان الطائى من أكثر الناس عبثاً ومزاحاً — فقلت له : يا طائى قد ظننت أَنك ستصير إلى أَمير المؤمنين مع الذى أَرى من جودة شعرك ، فانظر : إنك إن وصلت إليه لا تمازح غلاماً ولا تلتفت إليه ، فإنه من أَشد الناس غَيْرة ؛ وإنى لا آمن إنْ وقف منك على شىءٍ أَن يأْمر غلمانه فيصفعك كل واحد منهم مائة صفعة . فقال : إذًا أَخرجُ من عنده بِبِدَرٍ مملوءة صفعاً .

وحدثنى عبد الصمد الراوى قال :

حدثنى محمد بن حسان الضَّبِّى قال : قدمت[١] بأبى تمام معى من الشام إلى العراق ، وكان معى فى سفينتى مُنجم قد حملته فى حملتى ، فكان الطائى قد أولع به يضربه ويَخْرق[٢] ثيابه ، فكنت ألومه على ذلك وأعذله ، وأقول : ويحك ، رجل قد صحبنا ، ووجب حقه علينا ، لِمَ تفعلُ به مثل هذا ؟ والله ما هذا من فعل الكرام ، ولا من شأن أهل الأدب . وكان من جوابه لى أن قال : هذا العاض بظر أمه ، لو كان منجماً ، وكان يعلم شيئاً كما يزعم ، لما ركب معنا هذه السفينة ، وأنا أضربه هذا الضرب وأوذيه هذا الأذى .

وحدثنى أبو الغصن محمد بن قدامة قال : دخلت على حبيب بن أوس بقزوين وحواليه من الدفاتر ما غرق فيه فما يكاد يرى ، فوقفت ساعة لا يعلم بمكانى لما هو فيه ، ثم رفع رأسه فنظر إلىَّ وسلم علىَّ ، فقلت له : يا أبا تمام إنك لتنظر فى الكتب كثيرًا وتدمن الدرس فما أصبرك[٣] عليها ! فقال : والله ما لى إلْف غيرها ولا لذة سواها ، وإنى لخليق إنْ أتَنَقَّدْها أنْ أُحْسن .

(١) فى الأصل : أنا قدمت .

(٢) فى الأصل : يحرق ، وصوبها أيضاً « ق » .

(٣) فى الأصل : ما أصبر عليها .

وإذا بحُزْمتين : واحدة عن يمينه وواحدة عن شماله ، وهو مسهم.. فيهما ويميزهما[1] من دون سائر الكتب ، فقلت : فما هذا الذى أرى عنايتك به أوكد من غيره ؟ قال : أما التى عن يمينى فاللّات ، وأما التى عن يسارى فالعُزّى ، أعبدهما منذ عشرين سنة . فإذا عن يمينه شعر مسلم بن الوليد صريع الغوانى ، وعن يساره شعر أبى نواس .

ومما يستملح من شعره – وشعره كله حسن – داليته فى المأمون التى أولها :

* كشف الغطاءُ فأوقدى أو أخمِدى *

وهى أشهر من الفرس الأبلق ، وكذلك كل ما نذكر من قصائده ها هنا ، فإنا نقتصر على ذكر أوائلها نحو قوله :

* وأبى المنازل إنها لشُجُونُ *

وقوله :

* سرت تستجير الدمع خوف نوى غدِ[2] *

وقوله :

* متى أنت عن ذُهليّةِ القوم ذاهلُ *

وقوله :

* أصغى إلى البين معتزًّا فلا جرما *

وقوله :

* دِمَنٌ ألَمَّ بها فقال سلامُ *

---

(١) فى الأصل : يميز منها . ويميزها : يفضلهما .

(٢) فى الأصل : سرت تسحر الطرف خوف فواغد . وفى الديوان : غدت تستجير الدمع ... الخ ما أثبته ، فوضعت سرت من الأصل وكلت من الديوان .

وقوله :

* بدِّلَتْ عــبرة من الإيماضِ *

وقوله :

* الحقّ أبلج والسيوف عوارى *

وقوله :

* السيف أصدق أنباءً من الكتبِ *

وقوله :

* نسج المشيب له قناعاً مغدفا[1] *

وقوله :

* خشُنْتِ عليه أختَ بنى خُشَيْن[2] *

وقوله :

* خذى عبرات عينك من[3] زماعى *

وقوله :

* يوم الفراق لقد خُلِقت[4] طويلا *

ولو استقصينا ذكر أوائل قصائده الجياد التى هى عيون شعره لشغلنا قطعة من كتابنا هذا بذلك وإن لم نذكر منها إلا مصراعاً ، لأن الرجل كثير الشعر جدًّا ، ويقال[5] إن له ستمائة قصيدة وثمانمائة مقطوعة ،وأكثرُ مَالَه

(١) فى الأصل : مغدقاً .

(٢) فى الأصل : خشنت عليه أخت بنى خبدش . والتصويب من الديوان .

(٣) فى الديوان : عن .

(٤) فى الأصل : حلقت . والتصويب من الديوان .

(٥) فى الأصل : جدا وأكثر الجيد يقال : وقد حذفنا هذه الزيادة لأنها حشو وتكرار لما سيأتى بعد.

جيدٌ ، والرديء الذى له إنما هو شيءٌ يستغلق لفظه فقط . فأمّا أن يكون [ فى ] شعره شيءٌ يخلو من المعانى اللطيفة والمحاسن والبدع الكثيرة فلا . وقد أنصف البحترى لما سئل عنه وعن نفسه فقال : جيده خير من جيدى ، ورديى خير من رديِّه . وذلك أن البحترى لا يكاد يغلط لفظه إنما ألفاظه كالعسل حلاوة ، فأما أن يشقّ غُبار الطائى فى الحذق بالمعانى والمحاسن فهيهات ، بل يغرق فى بحره . على أن للبحترى المعانى الغزيرة ، ولكن أكثرها مأخوذ من أبى تمام ، ومسروق من شعره . وأبو تمام هو الذى يقول :

يا لابساً ثوب الملاحة أبْلِهِ ... فلأنت أولى لابسيه[1] بلبسِهِ
لم يعطك الله الذى أعطاكه ... حتى استخفّ ببدره وبشمسه
رشأٌ إذا ما كان يُطلق طَرْفه ... فى فتكه أمَرَ الحياءُ بحبسه
وأنا الذى أعطيته غضّ الهوى ... وضممته فأخذت عُذْرة أُنسه
وغرسته فلئن جنيت ثماره ... ما كنت أوّل مجتنٍ من غرسه
مولاك ، يامولاى ، صاحبُ لوعة ... فى يومه وصبابة فى أمسه

وهو القائل :

محمد بن حُمَيْدٍ أخلقت رِمَمُهْ ... هُرِيق ماءُ المعالى مُذْ هُرِيق دَمُهْ
تَنَبَّهتْ لبنى نَبْهانَ يوم نَوى ... يدُ الزمان ـ فعاثت فيهمُ ـ وفَمُهْ
رأيته بنِجاد السيف مُحْتَبياً[2] ... كالبدر لما جلت عن وجهه ظُلَمُه
فى روضة قد كسا أطرافَها زهَرٌ ... أيقنتُ عند انتباهى أنها نِعَمُه
فقلت والدمع من حزن ومن فرح ... فى اليوم قد أخضل الخدّين مُنْسجمهْ
ألم تمت[3] ياشقيق النفس مُذْ زمن ... فقال لى : لم يمت من لم يمت كَرَمُه

وهذه أخبار أبى تمام

---

(١) فى الأصل : . . . لابستيه لبسه . والتصويب من الديوان .
(٢) فى الأصل : مجتنباً . (٣) فى الأصل : يمت .

فهرس


Bibliotheca Alexandrina
0961313